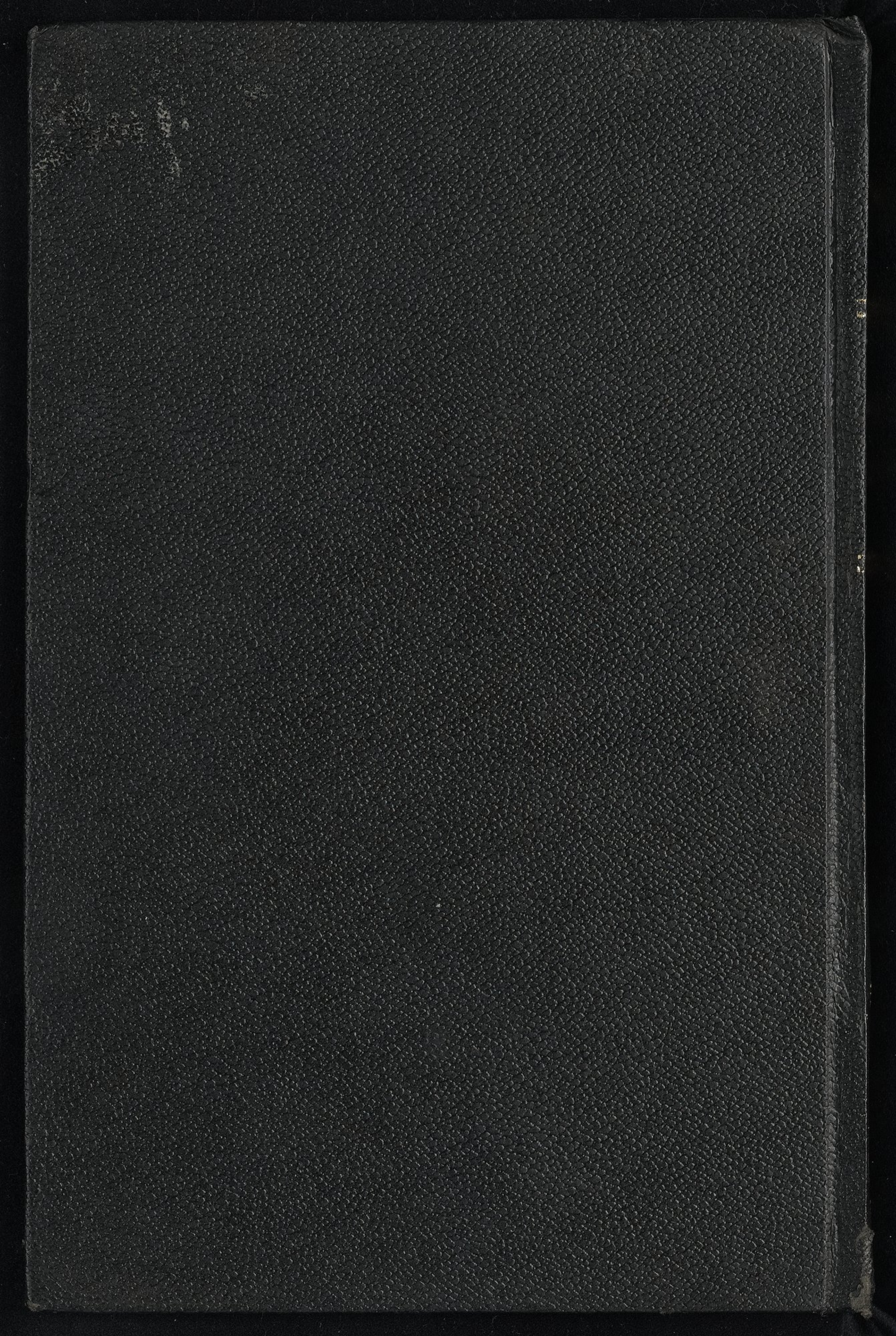
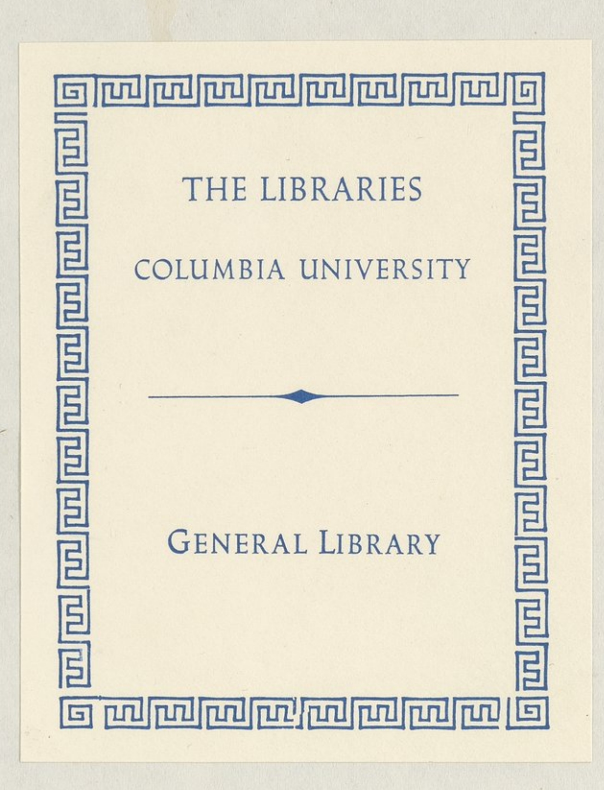




أعلام العراق

كتاب تاريخي أدبي انتقادي
يتضمن سيرة الإمام الألوسي الكبير
وتأبين العلماء والأدباء وتراجم نوابغ الألوسيين

تصنيف

محمد بهجة الأثري

القاهرة

١٣٤٥

المطبعة السلفية - ومكتبتها
لصاحبيهما : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

أعلام العراق

كتاب تاريخي أدبي انتقادي

يتضمن سيرة الإمام الألوسي الكبير

وتأبين العلماء والأدباء وتراجم نوابغ الألوسيين

تصنيف

محمد بهجة الأثري

١٣٤٥

المطبعة السلفية - ومكتبتها

لصاحبيهما : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

الى

المجمع العلمي العربي الجليل

هذه زهرة اقتطفتها من رياض الشباب وآثرت أن
أقدمها اليك والهدايا على مقدار مهديها

بهجة الأثري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على خاتم النبيين
وعلى آله وصحبه اجمعين

في زَمن سادت فيه الجهالة ، وانتشرت الضلالة ، وكان العراقُ فيه أشدَّ ما يكونُ حاجةً الى رجالٍ مُخلصين يسيرون به على النَّهْج السَّوِيِّ ، وينهضون بجناحه المهيض من حضيض المكانة الى مَطار السُّؤدد والمجد ، ـ فقدتِ الأُمَّة رجلاً ـ والرجال قليل ـ هو ذخرها الباقي ، وعزاؤها الوحيد ، عما خسرت من تراثٍ ومقوِّمات ومشخّصات ؛ بل هو كل أملها ، ومَنَاط رجائها ، في إصلاح حياتها العلمية والعملية ، فكان لمنعاه من الوقع ما هزَّ عالمَ العلم من مطلعه الى مغربه ، ومن الدويّ ما ردَّدت صَدَاهُ ضِفافُ النيل ، وشواطئ بَرَدَى ، وصحارى الجزيرة . . .

ذلكم هو أُستاذنا الإمام الجليل السيد محمود شُكْرِي الألوسيّ ، وكفى بٱسْمه غُنية عن الإشادة بذكره . ولما كنتُ أشد الناس اتصالاً به ومُشافَهَةً له ، ومعرفة بأحواله ، فقد بعثني باعث الواجب والوفاء له وللتاريخ معًا على أن أشرح سيرته العِلْمية والعَمَلية وأخدم بها التاريخ الحديث ، فقمت بذلك فى أوقات مختلفة كنت أختلسها من سوانح الدهر على قدر ما وسعني وبلغت اليه يد الإمكان . ثم صدّرتها بمقدّمة شرحتُ بها تاريخ أُسرته ورهطه الأَدنين وذيلتها من كلمات التعازي وتأبين العلماء والشعراء بشذرات هي الى الحقيقة أقرب منها الى الخطابة والشعر ، فتألف منها هذا الكتاب الذي بَيْنَ يديك ؟

محمد بهجة الأثري



المقدمة

الالوسيون

الالوسيون

﴿ تمهيد ﴾

في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة ـ بعد أن تدهور العراق الى الحضيض الاسفل بحين من الدهر مذكور ـ نشأت في عاصمة عواصم الدولة العباسية بالأمس فئة نبيلة شعرت بحاجة الامة الى العلم فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد وولت وجهها شطره واستحثت مطايا هممها نحو كعبة الآداب آناء الليل وأطراف النهار ، ودأبت في سبيل السعى والعمل ، من غير أن يعروها فتور أو كلل ، حتى أعادت لنا ذكريات تلك العزة وذلك المجد : عزة أيام بغداد الزاهرة في العهد العباسي المجيد ، ومجد دار السلام ـ مهد الحضارة ومركز العلم ـ التى أضاءت بأنوار معارفها أرجاء المعمورة وأوربة « المتمدنة اليوم ! » في ظلام من الجهل دامس ، وأحيت ما أندرس من رسوم العلم ، وشادت ما عفّته أعاصير الجهل والخمول من معالم الآداب ، ورفعت منار مجدنا الغابر ، وعزنا الداثر ، في ربوع الرافدَين ومغاني العراق ـ فازدادت صحائف التاريخ العراقي بل العربي الاسلامي أجمع بما خلدوا من الايادى البيضاء ، والمآثر الغراء ....

ولئن كان فى العراق اليرم رجال يذكرون فهم ولا ريب غرس ذلك السلف الصالح ، أو كان في العراق اليوم أثر لنهضة أدبية فهم ولا شك واضعو أُسسها بل العامل الوحيد فى تكوينها

﴿ الاسرة الالوسية ﴾

أنجبت دار السلام في هاتيك الاعوام ، اسراً عديدة رفيعة العماد كريمة المحتد : نبغ بينها رجال برزوا في حلائب العلم والأدب ، وضربوا في كل فن م

فنونهما بسهم وافر . وكان لهم من علو الكعب وطول الباع ونباهة الشأن وبراعة الأدب ما أذاع صيت هذا القطر في الآفاق ، ونشر ذكره في الاصقاع والبقاع ومن هذه الاسر : « الاسرة الألوسيّة » و « السُّوَيْدِية » و « الحيدرية » و « الرحبية » و « الشاوية الحِمْيَرية » وغيرها ؛ فقد كان لها من الصيت الطائر ، والشهرة الواسعة ما لا يدانيه شيء . حتى اذا دار الزمان ، وتغير كل أمر عما عليه كان ؛ أخذت شهرة بعض هؤلاء تتلاشى وتضمحل لاضمحلال أبنائهم أو عدم وجود من يسدّ مسدهم منهم ، أو ينشر آثارهم ويرفع ذكرهم . اللّهم إلاّ « الأسرة الألوسيّة » ذات المجد الشامخ ، والشرف الباذخ ، والعز الأقعس ، والخيم الأنفس ، والمحتد العريق ، والفضل الاتلد العتيق . فقد تقدمت تقدماً باهراً ، وتضاعفت على تعاقب الليالي والأيام شهرتها ، حتى جابت الاصقاع ، وملأت الاودية والبقاع ، وكاد لم يبق أحد لم يسمع باسمها أو لم يعرف عنها شيئاً . ذلك بفضل نبوغ أبنائها ، وسيرهم على سنن العلم ، وسعيهم عند انتشار المطابع في نشر آثارهم المحبرة ، وبث ثمرات قرائحهم الناضجة . ولَعَمْري إنْهم لو حادوا عن سَنَن أسلافهم ومالوا عنه الى الطريق الأميل ولم يجدّوا في سبيل التأليف والنشر لا ندثراسم «ألوس »وقبر مع من رفع ذكر ألوس ، وكان كأن لم يكن شيئاً مذكوراً !

نسبتها ونسبها

تنسب هذه الاسرة الى (ألُوس) بالقصر على الأصح ، وهي قرية على الفرات ، قرب عانات ، يقال ان سابور ذا الاكتاف كان بناها ؛ وينسب اليها من القدماء محمد بن حصن بن خالد بن قيس أبو عبد الله البغدادي الألوسي الطرسوسي ، والمؤيد الالوسي الشاعر المتوفّى سنة ٥٥٧ ه الذى اتهمه المقتفي لأمر

الله بممالأة السلطان ومكاتبته فأمر بحبسه في خبر ليس هذا محل ذكره [١]

ولو رجعنا الى تاريخها القديم لوجدناها بغدادية السِنْخ لا ألوسيّة. وإنما انتسبت الى ألوس لأن أحد أجدادها (على ما يقال والله أعلم) فرّ اليها من وجه هولاكو التترى حينما دهم بغداد وفتك بأهلها، ومنذ نحو ثلثمائة سنة رجع أبناؤه الى بغداد ولبثوا فيها حتى الآن. ولكنني لست من هذا الخبر على يقين تام، وانما ذكره بعض أدباء العصر فتابعناهم عليه في ترجمتنا لأستاذنا الإمام الألوسي التي تناقلتها الصحف والمجلات، ولم أسمع من أبناء هـذه الاسرة ما يؤيّده، ولعل ما ذكر في (حديقة الورود) هو أصح ما يعتمد عليه في تحقيق هذا الامر. قال ما ملخصه: —

«... كان كثير من أسلاف شيخنا (يعني به أبا الثناء الألوسي صاحب تفسير روح المعاني) من قبل ساكنين في بغداد وذلك زمن العـلامة الشيخ اسماعيل المفتي الألوسي — كان مفتي بغداد في أواخر المائة الحادية عشر، وكان ذا شهرة عظيمة، واستعفى عن الإفتاء، وذهب الى الاستانة، وعظم فيهـا، ووجهت اليه عدة أراضي وجزائر في عانات وألوس وغيرهما، فتوطن عانات، وسكن بعض ذريته فيها وبعض منهم في ألوس — وفي تلك الأوقات ارتحل من كان ساكناً بهـا في بغداد من أسلاف شيخنا الى الحديثـة وألوس ثم في سنة السبعين أو قريباً منها من المائة الثانية عشر جاء جده السيد محمود (الخطيب بن السيد درويش) الى بغداد واتخذها وطناً وتوفي فيها في أوائل المائة الثالثة عشر ودفن هو وزوجته في مقبرة الشيخ احمد الموصلي قرب مقبرة الشيخ معروف...».

***

---

(١) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (ج ١ ص ٣٢٦) ط مصر

و (الأُلوسيّون) سادة أشراف ، محبوكو الأطراف ، ضموا الى زينة النسب ، حلية الأدب ، فتفيأوا في الشرف مكانًا عليًا :

ماعذر من ضربت به اعراقه   حتى بَلَغْنَ الى النبّي محمد
أن لايمدَّ الى المكارم باعه   وينال غايات العلى والسودد
مترقيا حتى تكون ذيولهُ   أبد الزمان عمائماً للفرقد

وهم ـ على ثبوت نسبهم ـ من أبعد الناس عن التفاخر بالأنساب. ولعمري إن انتسابهم الى العلم ليكفيهم ، ومحك النسب العمل :

إنْ فاتكم أصل امريءٍ ففعاله   تنبيكم عن أصله المتناهي

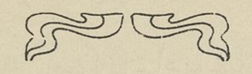
ومن مأثور كلام أبي الثناء محيي مجدهم التليد ، ومشيد أركان فضلهم الطريف ، قوله في روح المعاني عند تفسير قوله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) : ـ « . . . فالحزم اللائق بالنسيب أن يتقي الله ويكتسب من الخصال الحميدة ما لو كانت في غير نسيب لكفته ليكون قد زاد على الزبد شهدا ، وعلّق على جيد الحسناء عقدا ، ولا يكتفي بمجرد الانتساب الى جدود سلفوا ، ليقال له : نعم الجدود ولكن بئسَ ما خلفوا . . . وافتخار المرء بوصف أبيه ، نحو افتخار الكوسج بلحية أخيه ... »

***

وقد نظم نسبهم عبد الباقي العمري الشاعر الشهير مبتدئًا بالسيد محمود أبي الثناء وذلك قوله : ـــ

السيد (المحمود) في الأفعال   سليل (عبد الله) ذي الافضال
أبوه (محمود) بن (درويش) الذي   ينمى (لعاشور) غياث اللائذ !
ابن (محمد) سليل (ناصر   للدين) ينمى (للحسين) الطاهر
ابن (علي) بن (الحسين) المعتزي   الى (كمال الدين) ذي التعزّز

سليل (شمس الدين) ذي التبيين … ابن (محمد) بن (شمس الدين)
سليل (حارس) لشمس الدين … يعزى وذا نجل (شهاب الدين)
ابن (أبي القاسم) طاهر النسب … ابن (أمير) ذاك باهر الحسب
ابن (محمد) الى (پيدار) … يعزى كما قد جاء في الأخبار
وجاء من بعد أبيه (عيسى) … (محمد) بن (أحمد) بن (موسى)
و (أحمد) من بعده (محمد) … و (أحمد الأعرج) فهو السيد
ينمى الى الشهير (بالمبرقع) … موسى) الى (الجواد) فانمه وع
ابن (الرضى) أبوه (موسى الكاظم) … أبوه (جعفر) الإمام العالم
ابن (محمد) الإمام (الباقر) … سليل (زين العابدين) الطاهر
نجل (الحسين) السبط عالي الهمم … ريحانة الهادي شفيع الأمم
نجل (علي) الصهر ذي المفاخر … حاز العلا من كابر عن كابر
وأمه (فاطمة) البتول … بضعة (طه) المجتبى الرسول
صلى عليه الملك الوهابُ … ما اتصلت بين الورى الانسابُ



السيد عبد الله صلاح الدين

الألوسي

توفي سنة ١٢٤٦ هـ

هو أول من عرف من الأسرة الألوسية في العراق بالفضل والزهد. وقد ترجم له ابنهُ في «غرائب الاغتراب» ترجمة مقتضبة جداً. خلاصتها: — «أنه درس نحو أربعين سنة في مدرسة أبي حنيفة النعمان، وكان يذهب اليها ماشياً وكان مع ذلك يدرس في (مدرسة المولَخَانة) التي جعلها داود باشا خاناً وسوقاً، ونقل التدريس الى بعضٍ منها يسمى اليوم (بالآصفية). ودرس نحو أربع سنين في مدرسة الشهيد علي باشا التي أعدت لرئيس المدرسين وهو ثالث مدرس درس بها. ووعظ وخل الشباب غير مماذِق، في جامع محمد الفضل(١) ابن اسماعيل بن جعفر الصادق. وحج قبل أن يتزوج ثلاث مرات، وذهب الى مصر لزيارة أخيه (السيد حسن) فوجده يوم دخل قد مات.. وكان تقيّ الذات، بهيّ الصفات، زكي الأعراق، وافي الوفاء، لايخل بحقوق الأخلاء. ترشح بالصلاح جلدته، وتشرح الصدورَ رؤيته، ما رأته عيون الأسحار إلا قائما، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائما...».

وتوفي رحمه الله تعالى في الطاعون سنة ١٢٤٦ هـ، وأعقب ثلاثة أبناء كانوا نجوما وضاءة وبدوراً شارقة في سماء العلم والأدب. وهم — السيد محمود شهاب الدين، والسيد عبد الرحمن، والسيد عبد الحميد. والأولان من (صالحة) بنت

---

(١) كتب في هامش الغرائب — هو أخو السيد سلطان علي الصغير فهما ابنا اسماعيل وما ادعاه بعض الكذابين أن علياً هذا أبو أحمد الرفاعي بهتان. هـ.

العالم الأديب الشاعر الشيخ حسن العُشاري صاحب الديوان المعروف باسمه المتوفى في حدود الألف والمائتين (١).

وهانحن نترجم لكلٍ منهم بادئين بالثاني فالثالث لقصر الكلام عليهما، ثم الأول لتشعب أطراف القول وطول ذيوله عليه. والله المستعان.

-١-

السيد عبد الرحمن الالوسي

١٢٢٤ — ١٢٨٤

هو واعظ بغداد الكبير، وفَيْصلها العدل. له خبرة بالتفسير والحديث والفقه، ومشاركة بالعلوم النقلية. أخذ عن شقيقه الإمام أبي الثناء، وصرف غالب عمره في التعليم والإرشاد، ولا أعلم أنه ألف شيئاً. وقد جلس في جامع الشيخ صَنْدل أكبر جامع في الكرخ للوعظ والتدريس وخطب فيه الى وفاته، وكان قد بلغ الغاية في حسن الوعظ والنصح والتذكير والترغيب والترهيب:

إذا مارقى للوعظ ذروة منبرٍ لخطبته، فالكل مصغٍ ومنصتُ

وكان محمود السيرة، طيب السريرة، يحب الفقراء، ولا يميل الى الامراء، ذا كلمة نافذة، وإشارة متبعة، محبوباً لدى الخاصة والعامة فكانوا - ولا سيما عوام الكرخ - يركنون اليه في فصل القضايا، وحلّ المشكلات، ولا يعدلون

(١) - توفي في البصرة وكان أرسله الوزير سليمان باشا الكبير مدرسا اليها. وله مؤلفات في الفقه والنحو وديوان شعر. ومنه نسخة (بخط استاذنا المرحوم علاء الدين الألوسي) في الخزانة النعمانية بمرجانة.

بقوله قولا ، ولا يرون كفعله فعلا ، حتى قيل إن الحكومة كانت تشكو انصراف الأهلين عنها بكليتها !

وقد كان الولاة - ولا سيما نامق باشا الوالي والمشير على خطة العراق - يستدنونه منهم ، ويخطبون وده ، ولكنه لم يكن بالذي يألفهم ويرغب في صحبتهم أو يميل اليهم . . .

توفي رحمه الله بعلة الباسور ظهر الثلاثاء ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٨٤ هـ فاحتفلت الحكومة والأهلون بجنازته احتفالاً مهيباً . ودفن قرب أخيه بمقبرة الكرخي . وأبنّه السيد عبد الغفار الأخرس ومحمد سعيد النجفي وغيرهما من الشعراء بجمع كثيف على نحو الحفلات التي تقام اليوم .

* * *

وإليك مثالاً من نثره نقلاً عن إحدى مجاميع استاذنا العلامة السيد علاء الدين الألوسي ، قال يقرظ كتاباً : —

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا هو الدر المختار ، من كنز دقائق الأفكار ، الى مناهج معالم الأبرار . والبحر الرائق ، المتموّج بالحقائق . والروض النضير ، الزاهر بأنضر الأزاهير . وتنوير الأبصار والبصائر ، العادم للأشباه والنظائر . وهداية القاري ، الى فتح البارى . والجوهرة المفردة ، في العقود المنضدة . والبدر المنير ، في أفلاك التحرير . والعذب النمير ، السائغ في أفواه النحارير ؛ استخرجته الفكرة الوقادة ، بذبالة مصباح الشريعة ، وفاضت به القريحة النقادة ، السائلة بمعين المعاني البديعة . وفتحت أكمامه يد الروية البيضاء ، وأشرقت أنواره من مطلع الفطنة الغراء . من الفاضل الذي استغنى بشمس بصيرته ، عن نور بصره ، واكتفى باشراق فكرته ، عن مشاهدة نظره . الذي أبصر دقيق المعانى من وراء حجاب ، وشاهد جمال غواني الحقائق من تحت نقاب . الذي أنسى تذكرة داود

بقانون فضله ، وتعرّى عن مَعَرّةِ المعَرّيّ اذ تجلبب بصفيق فضله ، ومتين عقله . فهو صدر الشريعة ، حيث تنتقى كمال النقاية ، وللحق أقوى ذريعة ، اذ استجنّ بماله من منيع الوقاية ، جامع العلوم العقلية والنقلية ، والحاوى الدقائق الفرعية والأصلية ، مصطفى الأفاضل ، ومنتقى كل كامل ، الذي فكك تقويم نظامه العويصات ، وسهل بتدقيقاته صعب المشكلات ، ذي الفضل الجليل الجلي ، جناب الملا مصطفى افندي الموصلي ، لازال مقلداً من جواهر نظامه جيد الدهر ، ومنظماً شمل الفضل المشتت في كل عصر . فلقد أبدع ، فيما أودع . وحبّر ، فيما حبر . وتخصص ، فيما لخص . وأطرب ، فيما أطنب . وأعجز ، فيما أوجز . فلله دره من فاضل كأن النظم طوع لسانه ، والعلم حشو جنانه ، والذكاء دثاره ، والفطنة شعاره ، وفقه الله تعالى لنيل آماله ، وزاده من فيض فضله وأفضاله ؟

— ٢ —

السيد عبد الحميد الالوسى

١٢٣٢ - ١٣٢٤ هـ

هو العالم المتصوف الأديب الشاعر الضرير . ولد في بغداد سنة ١٢٣٢ هـ ولم يكد يبلغ عاماً من عمره حتى داهمه الجُدَرِيّ فذهب بنور عينيه ، وتركه أعمى لا يبصر ما حوله ، ولكنه اعتاض بتوقد نور البصيرة عن نور البصر . فكان منذ طفولته آية في النباهة والذكاء وتوقد الذهن ، وتذكر عنه عجائب وغرائب لايكاد يصدقها العقل . ولا بدع فإن الأعمى قلّ أن يوجد بليداً ، ولا يرى أعمى إلا وهو ذكيّ فطن يدرك الرموز ولا تخفى عليه الأحاجي ، والسبب في ذلك « أن ذهن الأعمى وفكره يجتمعان عليه ، ولا يعودان متشعبين بما يراه ؛ ونحن نرى الانسان اذا أراد أنْ يتذكر شيئاً نسيه ـ أغمض عينيه ، وفكر ؛ فيقع

على ما شرد من حافظته » ولله قول أبي العلاء :

سواد العين زار سواد قلبي ليتفقا على فهم الامور

ـ وحفظ القرآن وهو ابن ست سنين على ما يقول ! ثم قرأ طرفاً من النحو والصرف وغيرهما على أبيه ، ولازمه الى ان توفى فاضطر الى مراجعة بعض المشايخ ثم لازم أخاه الكبير الإمام أبا الثناء الألوسي ، وتأدب بأدبه ، وتخرج به ، في المنقول والمعقول ، والفروع والأصول ، فأجازه بثبته المسلسل عن مشايخه وحرر له إجازة بخطه وختمها بختمه (وذلك في ٦ شهر ربيع الاول سنة ١٢٦٦ ﻫ) فتصدر حينئذ للافادة والوعظ . وكان طلق اللسان ، فصيح البيان ، قويّ الجنان . فاتفق أن حضر وعظه في جامع « داود باشا الكبير » الوزير علي رضا باشا والي بغداد وجماعة من الامراء والكبراء والاعيان فأعجبوا بذلاقته ، وقوة عارضته ، فنصبه الوزير المذكور مدرساً في « المدرسة النجيبية » ببغداد ، براتب وافر ، وأقطعه أراضي لتسد عوزه ، وتكفيه المؤونة ، فانتفع به الطلاب انتفاعاً كبيرا .

وقد كان منذ صغره ميّالاً الى التصوف ، ثم ما عتم أن توغل ـ ولله الامر ـ في مازق المتصوفة الوعرة ، ومضايقهم المظلمة فسلك الطريقة القادرية ، فالنقشبندية ، فالرفاعية ، وأُجيز بها . ثم صار له في الطرائق الثلاث أتباع ومريدون ادعوا فيه (الولاية) وذكروا له (الكرامات) و (الخوارق) . وتلك شنشنة عرفناها لهؤلاء من عهد غير قريب . أصلحهم الله ! ولكن أحد مشايخي حدثني عنه فقال : إن السيد عبد الحميد وإن كان من أهل التصوف والطرائق الا أنه لم يسمع عنه مايخالف ظاهر الشريعة ولا مايتكلف في تأويله كما حكى عن بعض المتصوفة الاقدمين كالحلاّج وابن عربي وابن سبعين ومن على شاكلتهم ممن حكيت عنهم المقالات الزائغة التي خرقوا بها سياج الدين . وأضلوا كثيراً من المسلمين .

ثم إنه انزوى في بيته في الرصافة أربعين عاماً أو أكثر ، ولم يخرج منه الا لصلاة الجمعة والعيدين . فكان يزوره أتباعه ومريدوه ، وتفد اليه الجماعات من الخاصة والعامة تقبل يديه وترجو دعاءه ـ الى أن توفي صبيحة يوم الاثنين ثاني جمادى الاولى ١٣٢٤ هـ عقيب مرض لازمه نحو عشرة أيام . ودفن في مقبرة الجنيد في الكرخ مقابلا للباب الخارج من سور صحن مرقده [١] . فرثاه الادباء نظماً ونثراً ، وأرخوا عام وفاته بتواريخ عديدة ، منها قول بعضهم :

قد نفث الروح بتاريخه : (هنيء بالرضوان عبد الحميد)

ويقال إن بعض تلاميذه جمع بعد وفاته كتاباً فيما عثر عليه من نظمه ونثره واجازاته وما أجيز به ، وما قيل في مدحه ورثائه ، وأسماه « الدر النضيد . من كلام السيد عبد الحميد »

***

ولم يؤلف السيد عبد الحميد ـ فيما أعلم ـ غير كتاب واحد في العقائد اسمه « نثر اللآلي . في شرح نظم الأمالي » شرع في املائه غرة شهر رمضان سنة ١٢٧١ هـ وفرغ منه في غرة السنة الثانية والسبعين على ما ذكر في آخره فتكون مدة تأليفه واملائه أربعة أشهر . وقد اعترض فيه على مواضع عديدة من شرح العلامة ملا علي القاري . . وطبع في مطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣٣٠ هـ فجاء في ٢٩٢ صفحة ما عدا التقاريظ .

***

وكان رحمه الله شاعراً مطبوعاً رقيق الشعر جيد التغزل حسن الاسلوب عذب

---

(١) أعقب أربعة أولاد : ١ـ شمس الدين . ٢ ـ لبيب . ٣ـ حسني . ٤ـ شوقي . وتصدر الاول للتدريس بعد وفاة أبيه وشغل عدة مناصب شرعية .

الألفاظ . ومن شعره قوله في مدح أحد مشايخه :

تنوح حمامات اللوى وأنوحُ … وأكتم سرّي في الهوى وتبوح
وتعجم ان رامت اداء مرامها … ولي منطق فيما أروم فصيح
لها مقلة عند التنائي قريرة … ولي مدمع يوم الفراق سفُوح
وأنَّى لذات الطوق طوق على الجوى … وجفن اذا شح السحَّاب سَمُوح
تروح وتغدو في أمانٍ من الهوى … وأغدو كئيباً بالهوى وأروح
وأخبار وجدى فى الأنام شهيرة … وعن سقمي إن الغرام صحيح (؟)
صبور على مر الغرام وعذبهِ … أبيٌّ ولكن الغرامَ لَحوحُ
أحاول كتمان اشتياقي تصبراً … وأخفي ولكن الغرام فضوح
اذا تم أقسام الجمال بحيّزٍ … فان جميل الصبر عنه قبيح
وان أجهد العُذّال فيَّ بنصحهم … تصاممت خوفاً أن يلج نَصُوح
فلله صبٌّ لا يبلّ غليله … وانسان عين بالدموع سَبُوحُ
غريق بفيض الدمع متقد الحشا … ومن نوحه أضحى الحمام ينوح
معنّى أذاب الشوق مضنى فؤاده … أسير بأشطان العناء طريح
بريق بروق الأبرقين اذا بدا … لبرق الثنايا طرفه لطموح
وبي أهيف يهوى البعاد وكره … سويداء قلبي وهو عنه نزوح
لواحظه قد حرمت نيل وصله … ولكنّها قتلَ الشجيّ تُبيحُ
به صدحت في الناس كل خريدة … فهنّ به قيس الهوى وذريح
لقد حاز من فن البلاغة ماغدا … يحاكيه ضوء الصبح حين يلوح
كما حاز قطب العارفين أبو الرضى … مناقبَ فيها للغموض وضوح
فتى كله عفو ولطفٌ وعفةٌ … وعن زلّة الشاني الحسود صفوح
سرى سره في الخافقَيْن وفيضُهُ … فأثنى عليه أبكم وفصيحُ

ومجلى تجلّى الحق مظهر سره — فمن فيضه للعالمين فُتوح ! . .
حليمٌ وهل كالحلم في المرء زينة — سَمُوح وذو الشأن الجليل سَمُوح
وفارس فضل لايجـاريه عارف — وأنّى يجاري العاديات جَمُوح
وغوث ! اذا ماشحَّ غيث بسحه — بأمثاله صَرْف الزمان شحيح
له همـة في النـازلات عليـة — ورأىٌ لدى الخطب المُلِمّ رجيح
يفوح بأفواه العدى نشر فضله — كما فاح نشراً في المجامر شيحُ
لكَ الله مولى عن مساوٍ منزه — وهل يستوي ذو علة وصحيح ؟
عن الغيب تروي شرح كل حقيقة؟ — فكم لك عن متن الغيوب شروح
لقد عطر الارجاء منك فضائل — فوصفك مسك في الأنام يفوح
وحزت من الرحمن سراً أقله — يضيق عليه الـكون وهو فسيح
وأعربت عن مكنون كل خفية — فما مختفٍ إلا لديك صريحُ !
مزاياك في هذا الزمان كأنها — صباح بأحـلاك الظلام صبيح
فأنت لأسرار الطرائق معْدِنٌ — وأنت لأشباح الحقائق روح

وبدر منير ليس يلفى سراره
وبحر محيط بالعلوم طفوح

وقال يمدح أخاه الامام أبا الثناء :

قفا واسألا عن مهجتي الغادةَ العذْرا — ولا تقبـلا ياصاحبيَّ لهـا عُذْرا
فبي من هواها مايرى الصبر دونه — هباءً وأنّى يستطاع لها صبرا ؟
ألا ذكرا (أسما) بنجد عهودنا — زمان وصال لم نكن نعهد الهجرا
وهل بعد دهرٍ يا (هذيم) تذكرٌ — لناءٍ فلاهجراً ، وأنّى له الذكرى ؟
سرى طيف (أسما) طارقاً فاستفزني — وقد أضرمت أحشاؤها في الحشا جمرا
يذكرني أيام نجـد وصفوها — جزى الله نجداً ما تذكرتها خيرا

وروّى صداها وابل السحب هاطلا ... فأحيا الحيَا أرجاء أحيائها القفرا
ألا بلغا نجداً على ذاتِ بيننا ... سلاماً وخُصًّا من رباها حمى (عفرا)
فان فراش الطرف ما زال حائماً ... عليها كطير حام ملتمساً وكرا
وليلة أمّتْ والسماء كأنها ... مصابة رزءٍ تندب النجم والبدرا
رثتها الغوادي فاستهلت عيونُها ... من الدمع عقدا قلد البر والبحرا
تبدت فشمنا البرق لاح مبرقعاً ... وشمس الضحى قد ألبست حُلّة حمرا
أدارت كؤوساً من لجين حلت بها ... يتيمة عنقود حكى لونها التبرا
وتطربنا والليل أرخى سدوله ... (أُميمُ)، و(أسما) لم تزل توقظ السكرى
تُعللنا طوراً وطوراً تعلّنا ... حديثًا وريقًا أخجلا السحر والخمرا
الى حيث غار النجم في ظهر أدهم ... ووافى بريد النور ممتطياً شقرا
وكاد ضياء الصبح أن يفضح الدجى ... وكاد عمود الفجر أن يهتك السترا
وجيش (النجاشي) شنّ غارةَ مدبر ... وأقبل يطوي البيد في جنده (كسرى)
وشتت شملَ (الزنج) بالبيض (قيصرٌ) ... فأصبح وفد (الروم) مستولياً قهرا
فلما رأت أن قد بدا النور وانثني ... على أثر الديجور يختبط الغبرا
بكت ليلنا الماضي بلؤلؤ أدمع ... فطوراً لها نظمٌ، ونثرٌ لها طورا
وفارقت الصب الكئيب وبادرت ... تداري على المشي الخلاخل والعطرا
فلم أنسَ ذاك الأُنسَ ليلةَ أسفرت ... وعاينتُ من لألآء غرتها الفجرا
فمن شاهدَ الياقوت قبل شفاهها؟ ... ومِنْ قبل ذاك الثغر مَنْ عرف الدرا
بروحي فتاة كالقناة اذا انثنت ... وهيفاء عذْرا قد تولعتِ الغدرا
لعمرك ما أدري ببيض لحاظها ... أصابت فؤادي أم بصعدتها السمرا؟
حواجبها مثل القسيّ اذا رَنت ... رمت أسهماً هيهات مجروحها يبرا

تحـاول ذليّ في هواهـا وربّما ... يقود الهوى للذل ذا عزة حُرّا
وتوعدني هجراً طويلاً ومن يكن ... حماه (شهاب الدين) لم يَخَفِ الهجرا
اخي الحبر (محمود) السجايا (أبو الثنا) ... وعلامة الدنيا وواسطة الأخرى
هو الغيث يروى عن بدائع فكره ... هو البحر إلا أنه يقذف الدرا
اليه رواة العلم من كل جانب ... تخدُّ من البيدا سَبَاسِبَهَا القفرا
تروّي صداها من بحار علومه ... وماذا على الظآن ان يقصد البحرا ؟
به الدين أضحى ساطع النور زاهراً ... كذاك رياض العلم ساطعة زهرا
اذا ما دجا في العلم ليلُ خفية ... تجلت لها أنوار آرائه فَوْرا
لقد شاد مجداً ساد كل معاصر ... وفاز بما أنشا لأسلافه ذكرا
أقام لبيت الحمد أعلى دعائم ... فأصبح بيت الحمد مرتفعاً قدرا
اذا بخل الغيث الهتون بمائه ... كفانا ندى كفَّيْه عن وكفه دهرا
له الجود لو حل الحصى الصلد حلَّه ... وانزله من مرسلات الحيا قطرا
ورأيٌ رمى سرَّ العيوب فلم يدع ... وإن بالغت في كتم غيبتها سرا
فماذا يقول الواصفون بوصفه ... وقد اعجزت أوصافه النظم والنثرا ؟
فيا مَعْدِنَ الآداب والفضل والتقى ... وعيلم علم طبق السهل والوعرا
ويا واحدَ الدنيا وانسانَ عينها ... وناظرها الرائي وآيتها الكبرى
يميناً لأنت الصبح إن عسعس الدجى ... ويسر البرايا حين تلتمس اليسرا
فلو عرَفَ (الرازى) معارفك التى ... مع العرف قد ضمت للقبك (الفخرا)
وضلَّ الحكيم الفيلسوف لأنه ... على جهله عدَّ العقول لنا عشرا
لقد عطَّر الأرجاء منك فضائل ... فوصفك في الأقطار مسك زكا نشرا
فدونك عقداً يخجل النظم نظمه ... وخود رضت (!) منك القبول لها مهرا
وسامح فدتك النفس عبداً مشوشاً ... دهاه من الأيام ما أشغل الفكرا

وَمُنَّ على الداعي بصفحٍ أبا الثنا وجُدْ واْعفُ واسمح منةً واقبل العذرا
فلا زلت بحراً بالفضائل زاخراً ولا زلت يا رب النهى في العلى بدرا

وله من قصيدة :

هيهات ! هل تلج الملامة سمع ذي ولهٍ أسير لا يروم سراحا ؟
أم كيف يسلم مسلم من فتنة والله قد ملأ الوجود ملاحا ؟
من كل ذي قدّ ولحظ فاتك للفتك جرّد ذابلا وصفاحا
كالغصن أو كالظبي أو كالبدر أوْ كالشمس أو كالصبح لما لاحا
يبدو بخدّ مصقل وبمبسم فيريك ورداً أحمراً واقاحا
ومراشفاً مثل العقيق ووجنة مثل الشقيق ومنظراً وضاحا

الامام

السيد محمود الالوسى

١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ

هو طود العلم ، وعَضُد الدين ، وفحل البلاغة ، وأمير البيان ، وعين الأعيان وانسان عين الزمان . انفسحت في العلم خُطاه فأذعن له المحب والمغتاظ ، وأرزم سحاب أدبه فروّى الغياض والرياض ، فهو ابن العلم وأبوه ، وعم الأدب وأخوه ، وله من المكانة الرفيعة والمقام المحمود ما يغنى عن الاشادة بذكره . والاطالة في اطرائه .

ولد السيد محمود قبيل ظهر الجمعة رابع عشر شعبان سنة (١٢١٧ هـ) بالكرخ ف « تكملت العليا بميلاد محمود » . و « إثر ما فطم من ارتضاع الألبان شرع يتحسى درَّ قراءة القرآن ، وقبل أن يبلغ من تسدية ما بين الدفتين الأمنية

طوى على نول قلبه ردآء حفظ الآجرومية ، وفي أثنـاء ذلك ، حفظ ألفية ابن مالك ، وقرأ غاية الاختصار في فقه الشافعية . وحفظ في علم الفرائض المنظومة الرحبية : كل ذلك عند والده وكان قبل أن يبلغ السنة السابعة من عمره . ثم إنه لم يزل يقرأ عنده ، ويحسو دَرَّه وشهده ، حتى استوفى الغرض من علم العربية وحصل طرفاً جليلا من فقهَيْ الحنفية والشافعية ، وأحاط خبراً ببعض الرسائل المنطقية ، والـكتب الحديثية ، وكان يزقّه العلم ليلا ونهاراً . ويزفه ان ونى سرا وجهارا » . ولما بلغ العاشرة من عمره . أذن له بالأخذ عن غيره فأتم دروسه على كثير من علماء مصره . منهم : الفاضل عبـد العزيز الشواف ، والعلامة السيد محمد أمين الحليّ . والعالم المحدث الحافظ السلفي الجليل الشيخ علي السُّوَيْديّ ، والشيخ خالد النقشبندي ، والعالم الأديب المتفنن النحرير علاء الدين عليّ الموصلي وقد استجاز هؤلاء وغيرهم في علوم اللغة والدين والآداب والفقه والحديث وغيرها من المنقول والمعقول . وكانت خاتمة إجازاته على يد الشيخ عـلاء الدين ـ وكان قد لازمه نحو ١٤ عاماً ـ في يوم مشهود حضره جلة العلماء والادباء والوجهاء . وكان ممن حضر ذلك الاحتفال المرحوم رأس التجار الحاج نعمان الپاچچي فأعجب به غاية الاعجاب ، واقترح ـ بعد أن طوي بساط الاجتماع ـ أن يكون مدرساً في مدرستهِ في محلة (سَبْع أبكار) المعروفة في التاريخ بمحلة (نهر المعلى) فأجاب اقتراحه ، وأقبل على مهمته ، فتأججت نيران قلوب حساده فلم يطفئها الا خروجه منها [1] . ثم اتفق أن عمّر الحاج أمين شقيق النعمان مدرسة ومسجداً في محلة (رأس القرية) فنصبه هنالك برغم الحاسدين مدرساً وواعظاً وخطيباً فأفاد الناس بغزارة علمه وزواجر مواعظه وخطبه ما شاء الله أن يفيدهم ويثقفهم

(١) راجم مقامتـه (الاهوال من الاخوال) تجد تفصيل ذلك

ولما اجتاحت سادةَ الكرخ جائحة الطاعون (سنة ١٢٤٦ هـ) قضى والده فيمن قضى ، وسار فيمن سار من أهل بيته « فلبس الزمن له جلد النمر ، وجعل يكرّ عليه ويفرّ . وجرت له أمور ، منها السماء تمور . ووقعت مواد ، تشيب لذكرها لمم المداد . » [١] فاضطر الى هجر سكنى داره بالكرخ ، وسكن في جوار مسجد الشيخ عبد القادر الجيلي في الرّصافة

وكان في زمن أبيه محافظ كتب مدرسة الشهيد علي پاشا التي كان والده فيها ثالث المدرسين

وفي شهر رمضان (سنة ١٢٥٠ هـ) دعي للوعظ في جامع الجيلي فأجاب مكرهاً ، واتفق أن حضر درسه وسمع وعظه الوزير علي رضاپاشا والى بغداد فدهش واستغرب وأعجب بحسن بيانه . وقوة عارضته وفصاحة لسانه ، وعلقت به نفسه ، فدعاه الى زيارته في العيد ، فلبى دعوته ولزمه ما شاءت له أوقاته ، وأعاد اليه (وظائفه) التى اغتصبت منه اغتصابا . وفي أثناء ذلك شرح (البرهان في اطاعة السلطان) فقدمه اليه فأجازه عليه بتولية أوقاف مدرسة مرجان وهي مشروطة لأعلم أهل البلد ، وجلب له رتبة « تدريس الاستانة » من السلطان ، ثم نصبه مفتيًا للحنفية - وكان قد وعده بذلك يوم سمع وعظه - فهنأه الشعراء بقصائد رنانة اثبتت في مجموعة (حديقة الورود)

وفي هذا الحين أخذ يكتب تفسيره « روح المعاني » في أوقات الفراغ . وابتاع داراً من أكبر دور بغداد ملاصقة لجامع (الشيخ عبد الله العاقوليّ) في الرصافة حيث تسكن اسرته اليوم وجعل قسما منها مأوى لروّاد العلم فقصد من أطراف العراق وكردستان ، وتهافت عليه الطلاب تهافت الظماء على الشراب ، فكان يدرسهم ويواسيهم كما كان يدر على سائليه ما نالته يده من الذهب ،

(١) التفصيل في مقامته (قطف الزهر من روض الصبر) .

وما بلغ اليه علمه من الفضل والأدب . وتخرج فريق من أهل الفضل به فذاع صيته في الآفاق وراسله أكابر الكتاب والعلماء . ومدحته الأدباء والشعراء . بأبلغ آيات المديح وأبرع جمل الثناء . وممن بالغوا في اطرائه ومدحه الشعراء المشاهير : عبد الغفار الاخرس وعبد الباقي العمري وأحمد عزت پاشا العمري وعبد الحميد الاطرقجي وصالح التميمي وغيرهم

ثم لم يزل ذلك الوزير يُعلي شأنه ويقدمه حتى قلّده من أيادي السلطان (بنشان) وذلك بعد أن وردت عدة أسئلة من ايران ، أحجم عنها علماء الزمان فنهض هو للاجابة عنها فكان أبا حسن تلك القضية . وفارس حلبتها المجلي عن اشكالاتها ورموزها كل خفية

ثم اتفق أن نقل علي رضا پاشا الى (دِمَشْق) وعين بدله على بغداد محمد نجيب پاشا والي دمشق فأساء معاملة أبي الثناء باغراء مبغضيه ، وسعاية حاسديه حتى عزله عن منصب الافتاء فانقطع لاتمام التفسير . ثم رفع عنه وقف مرجان ، « فأسبلت عليه سُجف الأحزان ، وقطع العوز نياط قلبه ، فصار عشُبْثة أثاثه وفويرة كتبه . حتى كاد يأكل الحصير . ويشرب عليه مداد التفسير ! » . وما كانت هذه الاساءات لتشفي غلّ صدر الوالي ووغره على أبي الثناء بل ما برح يكيده ويضيق عليه الخناق ويتربص به السوء . فمن ذلك أنه دعى – قبل انفصاله من الافتاء – من قبل السلطان لحضور وليمة ختان أشباله « فأفهمه اشارة أنه إن خرج من البلد ، تردى بخناق الكمد ، ثم أشار عليه بالاعتذار ، وعرض تعذر السفر لبعد الدار ، مع الاشتغال بالتفسير ، والقيام بمصالح الوزير ، فكتب حسبما أشار ، وكتب الوالي أيضاً الا أنه أولج الليل بالنهار » ومع ذا أوصل كتابه على يد (الباليوز الافرنسي) فأهوى به ذلك الى وخيم المهاوي ، فكان من ذلك ما كان من عزله عن الافتاء وسلب أوقاف مرجان من يده فاشتداد العسر والضر

عليه الى أن ورد أحمد بك ابن الوزير المذكور فنظر اليه بعين اللطف وأعزه فهان عليه في الجملة الامر . حتى اذا انفصل الوزير محمد نجيب وصار أمر الولاية الى عبد الكريم باشا ولم يحصل له ما ينقذه من غائلة العيال لم يجد بداً من ركوب غارب الاغتراب ليعرض حاله على أنظار الدولة وكان قد أتم تفسيره ، فاصطحبه وسيلة الى بلوغ مراده

في غرة جمادى ستة من سنة (١٢٦٧هـ) قلقل ركابه عن حمى بغداد ومعه سليمان بك الكاتب التركي الشهير والد الصدر محمود شوكت باشا . ومصطفى بك الرَّبعي ، والنواب إقبال الدولة . والوالي عبد الكريم باشا وقد نُقل هذا من الزوراء الى آمد السوداء . فمر بالموصل فجزيرة ابن عمر فآمد فارزن الروم (أرضروم) فسيواس فتوقات فسامسون فالقُسْطَنطينيّة . وكان كلما مر ببلدة تهافت عليه أعيانها وعلماؤها لرؤيته والاقتباس من شوارده ، وكثيراً ما جرت بينه وبينهم مباحثات ومطارحات علمية تكفل بتفصيلها كتابه « غرائب الاغتراب »

وأول من التقى به في القسطنطينية شيخ الاسلام (عارف حكمة) صاحب خزانة الكتب الشهيرة في المدينة المنورة فعرض عليه تفسيره وما جاء من أجله فأنكر منه ما رآه من انصراف نفسه عنه لما كان قد سبقه اليه من وشايات الحساد ثم مالبث أن زال هذا العارض وحل القبول محله ، ودارت بينهما مباحث علمية ، ومناقشات أدبية ، ومحاورات فنية ، دلت على سعة اطلاعهما وغزارة مادتهما وتوسعهما في علوم الدين والأدب ، وأجاز كل صاحبه

وبعد نزوله دار الضيافة السلطانية أُمر بكتابة مذكرة عن حاله وما يرجوه الى الصدر الاعظم وكان إذ ذاك مصطفى رشيد باشا . فكتبها في اليوم الثالث وألحق بها ورقة كتب فيها بيتين مضمناً لهما شطراً من شعر أبي فراس الحمداني

٤

وهما :—

قصدت من الزوار، صدراً معظما وقد سامني ضر وقد ساءني دهر

فقلت لنفسي والرجاء موفر : « لنا الصدر دون العالمين أو القبر »

فأعجبت الصدر ايما اعجاب وبعد لأيٍ ما صدرت ارادة السلطان عبد المجيد باعطائه مبلغ (٢٥٠٠٠) « قرش أستنبولي » وله مثلها أو ما يزيد عليها في كل عام من بيت المال . ووجه اليه قضاء أرزن الروم فلم يقبله ، وأنعم عليه صاحبه شيخ الاسلام بخمسين الف قرش استنبولي من خالص ماله

ثم آب الى وطنه بعد أن غاب عنه مدة ٢١ شهرا يحفه الجلال والوقار ، فهنأه الادباء والشعراء بقصائد عامرة ، وسروا بقدوم قطب رحاهم سرورا عظيما . . . وقد فصل رحلته هـذه في ثلاثة كتب سيأتى ذكرها . وما زال بيته مثابةً للناس وأمنا الى أن توفي يوم السبت ٢٥ ذي القعدة سـنة ١٢٧٠ هـ بالحمى النافض التى اعترته في إيابه من مطر شديد أصابه في الزاب ، فعزّ على الناس موته ، وهالهم فقده ، وأسفوا عليه أسفا عظيما ، ورثاه الشعراء في كل صُقع بقصائد مشجية مثلوا فيها الاسى والحزن (وقـد عنى بجمع ذلك مع ما قيل في مدحه بعض تلاميذه في كتاب كبير أسـموه « حديقة الورود في مدائح أبي الثناء محمود ») . ودفن فى مقبرة معروف الـكرخى على يسار الذاهب الى مسجده تاركا خلفه ذكراً حسنا وذرية طيبة وأنجالا كراما حفظوا مجد بيته الى يومنا هذا

وأولاده هم : (عبد الله) . (عبد الباقى) . (نعمان) . (محمـد حامد) . (شاكر) . وسنأتى على تراجمهم وتراجم من نبغ من أنجالهم إنْ شاء الله تعالى

****

﴿ صفاته ﴾

وصفه أحد أفاضل تلاميذه فقال :—

« كان أحد أفراد الدنيا بفضله وآدابه وعلمه . وذكائه وفهمه . نادرة الادوار وفلك المجد والشرف الذي له على قطب الكمال مدار ، بصفاء الذهن والقريحة . ونهاية الفطنة . وسرعة الخاطر . وحلاوة المنطق . وعذوبة التقرير . وحسن التحرير . وشرف الطبع . وكرم الأخلاق . وقوة الحافظة وبلاغة الانشاء . وقول الحق واتباع الصدق . وحب السنن . وتجنب المنن . وحسن السيرة . وحلم السريرة . وبهاء المنظر . وكمال المنجر : أخذ بيد العلم عندما زلت به القدم . وكاد يهوي في مهاوى العدم . حتى جاء مجددا . وللدين الحنيفي مسددا .

« وكان كامل الوجاهة عظيم الهيبة جليل الوقار . كثير الصدقات والصلاة والاستغفار . حاوياً لفضائل يعجز عن ذكرها الناقل . وأين الثريا من يد المتطاول ؟ وقد رسخ في كل منقبة علية . ومهر في جميع العلوم نقلياً وعقلياً على السوية . بيد أنه كان جلّ ميله الى خدمة كتاب الله تعالى القديم . وحديث جده عليه أفضل الصلاة والتسليم . غواصاً في دقائقهما ومستخرجاً درر حقائقهما . وكان سلوكه في تفسيره أمراً عجيباً . وسراً من الاسرار غريباً . فان نهاره كان للافتاء والتدريس . وأول ليله لمنادمة مستفيد وجليس . فيكتب في أواخر الليل منه وريقات ، فيعطيها صباحاً للكتاب الذين وظفهم في داره فلا يكملونها تبييضاً الا بنحو عشر ساعات . . وكان في غاية الحرص على تزايد علمه . وتوفير نصيبه منه وسهمه ، لا يفترُ عن اقتناص الفوائد برهة . ولا يغفلُ عن استخراج الدقائق والازدياد من الفضائل لحظة . فهو ـ وان رأيته يسامر أحبته ـ مشغول الفكر بحلّ المشكلات أو ماشياً لمسجده فهو متفكر بحل المعضلات . لا يعتريه كسل أو

ملال . ولا يتشوش بسعة أو مرض أوضيق حال . . وكان كثيراً ما ينشد :

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي   من وصل غانيةٍ وطيب عناقِ

وكان عالماً باختلاف المذاهب . مطلعاً على الملل والنحل والغرائب . سلفي الاعتقاد ، شافعي المذهب . الا أنه في كثير من المسائل يقلد الامام الاعظم ، بل كان في آخر أمره يميل الى الاجتهاد ، كأمثاله من العلما النقاد . وكان حسن الثياب والمنظر . جليـل المخبر . حسن الصورة . نقي السريرة . أبيض مشرباً بحمرة . ليس بالقصير ولا الطويل ولا السمين ولا النحيل » .

وقال أيضاً :

« كان نسيج وحده فى النثر وقوة التحرير . وغزارة الاملاء وجزالة التعبير . وكلامه عفو الساعة . وفيض القريحة . ومسارعة القلم . ومسابقة اليد . كأنما جميع المعانى حاضرة لديه . والعبارات مسطورة بين عينيه . فهو ينتخب منها ما يشاء ويختار ما تقر به عيون العلماء والبلغاء . وقد أملى كثيرا من الخطب والرسائل . والفتاوي والمسائل . وذهب أكثر ذلك شذر مذر . ولم تظفر الايدي الا بقطرة من بحر . وكان اذا تكلم لا يمل له كلام . واذا تحاور حير الافهـام . ذا حافظة عجيبة . وفـكرة غريبة . و كثيراً ما كنت أسمعه يقول: « مااستودعت ذهنى شيئاً فخاننى . ولا دعوت فـكري لمعضلة الا وأجابنى » . وكان له خط كأنه اللؤلؤ والمرجان . أو العقود في أجياد الحسان . . . . . الخ » .

﴿ مؤلفاته ﴾ : —

١ — (روح المعانى ، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) وهو اعظم مؤلفاته شأناً واجلها قدرا . في تسعة مجلدات ضخام . طبع في مطبعة بولاق بمصر سنة ١٣٠١ على نفقة ابنه العالم المصلح الشهير السيد نعمان خير الدين . ولعل ما

كتبه عنه الاستاذ السيد محمد بدر الدين الحلبي في (التعليم والارشاد) هو اصح وصف ينطبق عليه . قال :

« .. أخذ الالوسي تفسيرهُ من تفسير الإمام فخر الدين الا أنه حذف منه كثيراً من الزوائد ، وأضاف اليه وأحسن غاية الاحسان ـ شيئاً من أقوال سلف المفسرين ومتقدميهم وان لم يميز بين ما قوي سنده من هذه الأقاويل وما وهى ، فبقي في الأمر بعض لبس وإشكال ؛ وأضاف اليه جملة كبيرة من تفاسير المتصوفة ، فلم يكتفِ رحمه الله بجمع تأويلات المتكلمين التى تأولوا بها القرآن للاستدلال على عقائدهم وتطبيقها على ما أدتهم اليه عقولهم منها عملا بقاعدتهم المشهورة عندهم من وجوب تأويل النقل اذا عارض العقل حتى يرجع الى العقل ، فأضاف الى ذلك تأويلات المتصوفة التى صرفوا بها القرآن عن ظاهره الى معان لا تدل الألفاظ العربية عليها بوجه من وجوه الدلالات المعروفة عند الناس ـ فجاء كتابهُ جامعاً للطرق الثلاثة : طريقة السلف ، وطريقة المتكلمين ، وطريقة المتصوفة . الا أن طريقة السلف لم يتعرض فيها لبيان طرق نقلها وتمييز صحيحها من سقيمها ، ولذلك كان ككتب الحديث التى لا يبين فيها سند الحديث وحال رجاله لا تقع الثقة به سيما اذا تعارض مع غيره ولم يقع الترجيح بينهما بوجه من وجوه الترجيح » .

٢ — (الأجوبة العراقية . عن الأسئلة الايرانية) يحتوي على ثلاثين مسألة مهمة (في التفسير واللغة والفقه والعقائد والكلام والمنطق والهيئة وغير ذلك) وردت من ايران ولم يجب عنها أحدٌ سواه . ولقد أجاد عبد الباقي العمري في المقارنة بين الأسئلة والأجوبة أيما إجادة ، وذلك حيث يقول :

إن السؤال والجواب مثلما   قد قيل في التمثيل انثى وذكر

وقد طبع الكتاب في (مطبعة مكتب الصنائع) في القسطنطينية سنة ١٣١٧ هـ على نفقة اللوذعي الحافظ الشهير المرحوم (ملاّ عثمان الموصلي) . وطبع أيضاً على

ما رأيت في بعض الفهارس على هامش كتاب خواتم الحكم المسمى بحل الرموز وكشف الكنوز لعلي دده المولوي

٣ ـ (نهج السلامة . الى مباحث الامامة) رد على الشيعة بليغ . كتب منه وهو مريض نحو عشرين كراسة فعاجلته المنية قبل أن يتمه .

٤ ـ (الأجوبة العراقية . عن الأسئلة اللاهورية) ذبٌّ عن أصحاب النبيّ البررة . أجازه عليه السلطان محمود جائزة عظيمة . وطبع في المطبعة الحميدية ببغداد سنة ١٣٠١ بعناية ابنه السيد شاكر .

٥ ـ (النفحات القدسية . في الرد على الامامية) لم أقف عليه .

٦ ـ (شرح البرهان . في اطاعة السلطان) : مخطوط

٧ ـ (الطراز المُذْهَب . في شرح قصيدة مدح الباز الأشهب) لعبد الباقي العمريّ مطلعها :

جلّ ستر به الضريح تجلّلْ إذْ حوى الفخر مجملاً ومُفَصَّلْ ! !

طبع بمطبعة الفلاح بمصر سنة ١٣١٣ على نفقة الحافظ الموصلي أيضاً . وقد كان ـ وهو هو ـ في غنى عن التعرض لمثل هذه الامور

٨ ـ (شرح القصيدة العينية) في مدح الإمام علي رضي الله عنه لناظمها عبد الباقي العمري : مطبوع على الحجر .

٩ ـ (الفيض الوارد . على روض مرثية مولانا خالد) « طبع بالمحروسة بالمطبعة الكستلية سنة ١٢٧٨ ﻫ » .

١٠ ـ (غرائب الاغتراب . ونزهة الألباب . في الذهاب والاقامة والإياب) وهو الرحلة الكبرى الجامعة لتراجم الرجال والأبحاث العلمية والأدبية التى جرت بينه وبين (عارف حكمة) وقد استوفى ما كان له في إقامته في القسطنطينية وأعرض عن أشياء « لم يمكنه ذكرها الى يوم القيامة » ولعل ذلك لأسباب

سياسية . قاتل الله السياسة وأعراضها : وقد طبع في مطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣١٧ هـ

١١ — (نشوة الشمول ، في السفر الى اسلامبول) | فصل فيهما رحلته ذهاباً وإياباً وطبعا في مطبعة الولاية ببغداد الاول في سنة ١٢٩١ والثاني في سنة ١٢٩٣ هـ

١٢ — (نشوة المدام ، في العود الى مدينة السلام)

١٣ ـ (كشف الطرة . عن الغرة) مختصر درة الغواص وشرحها : وهو كتاب لغوي مهم ألفه في أثناء إقامته في القسطنطينية . وطبع سنة ١٣٠١ هـ في المطبعة الحفْنيّة في دمشق .

١٤ ـ (شهي النغم . في ترجمة شيخ الاسلام ووليّ النعم) وهو أحمد عارف حكمة ، وقد لخصته وأضفت اليه ما وصلني عنه وعن خزانته العامرة في المدينة المنورة (١)

١٥ ـ (الفوائد السنية . من الحواشي الكلنبوية) في الآداب والمناظرة : وهي مختصر حاشيةٍ مطنبة جداً للكلنبوي على حاشية مير أبي الفتح على الحنفية في الآداب ، اختصرها في القسطنطينية في أثناء تقرئته ابنه عبدالباقي حاشية مير ، وكتبها على هامش النسخة ثم جردها ابنه السيد نعمان وجمعها حفظاً لها من الضياع

١٦ ـ (دقائق التفسير) مجموعة فريدة في بابها ذكرها في ص ٤٣١ من غرائب الاغتراب ، وأطلعني عليها شيخي المرحوم الامام السيد محمود شكري حفيد المترجم له وهي في ضمن المجمعة الوسطى لجده هذا .

---

(١) نشر أخيراً في المجلد الثاني من مجلة الزهراء بمصر لمنشئها الاستاذ الكبير السيد محب الدين الخطيب

١٧ - (شجرة الأنوار . ونوار الأزهار) ألفها في القسطنطينية وجمع فيها ما شاء الله أن يجمع من ذرية الزهراء . ذكرها في ص ٢٢ من الغرائب .

١٨ - (سُفرة الزاد . لسفرة الجهاد) طبع في مطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٣٣٣

١٩ - (بلوغ المرام . من حلّ كلام ابن عصام) ألفه في صباه حين ذهابه الى آلوس .

٢٠ - (شرح سلم العروج) : في المنطق

٢١ - (حاشية شرح القطر) في النحو . كتبها في صباه ولم يتمها ثم جاء ابنه السيد نعمان فأتمها . وطبعت فى القدس سنة ١٣٢٠ ﻫ

٢٢ - (مقامات الالوسي) عدة مقامات حقيقية وخيالية . طبعت فى كربلاء ناقصة ومغلوطة

وله رحمه الله علاوة على ما ذكر حواشٍ وتعليقات ورسائل وفتاوي كثيرة انتهبت كثيراً منها أيدي الضياع . وانتسخ بيده كتباً جمة . وجمع مجاميع مهمة ، يجد الباحث شيئاً منها فى الخزانة النعمانية وخزائن كتب أحفاده .

﴿ انشاؤه وأمثلة منه ﴾

ما الحريريّ في مقاماته ، ولا الصاحب في سجعاته ، أستغفر الله ! بل ما ابن العميد في ترسلاته ، والموفق عبد اللطيف في وصفياته ، أشدَّ للقلوب خلبا ، وأكثر بالألباب لعبا ، مما يطرزه أبو الثناء ، من بدائع الانشاء .

اذا كان لكل من هؤلاء المنشئين وغيرهم ممن هم في طبقتهم العليا أسلوبٌ خاص به اذا حاد عنه ربما أبهم عليه الأمر ، والتوى القصد ، وخانه الامكان ، فجدير بأبي الثناء - وقد برّز في جميع أبواب الانشاء - أن يفضل على هؤلاء أجمعين ويُعدُّ في الرعيل الأول بين أئمة الانشاء المجلّين في ميادين الفصاحة وحلائب

البراعة . فهو من أقدر الكتاب (لا في عصره فحسب بل في العصور المتقدمة أيضاً) على تكييف مناحي الكتابة ، وتصريف عنانها . واجرائها في ميدانها ، فيما كتب وحبّرَ في علوم الدين واللغة والآداب

فبينا تراه في التفسير يدبج بيراعة الرازي ، وفي اللغة بقلم الجوهري ، اذا به في مقاماته يضارع الحريريّ ، وفي الرحلة يبزّ ابن جبير أو النابلسي ، ويحسن الوصف في النثر ، احسان ابن المعتز في الشعر . عباراته متناسقة ، ومعانيه متساوقة . يشربها السمع كما يُشرب الزُلال . فكأنما تأتيه أبيّات الألفاظ ونوافر المعاني صاغرة متى شاء . فيستخدمها كيفما يريد في الانشاء . بغير أدنى تكلف ، ولا أقل تعسف . فانشاؤه في الحلاوة الضرَب . وفي الرقة غاية العجب . وفيه السحر بكليته . والحسن برمته . والاحسان بأجمعه :

معانٍ كالعيون ملئن سحراً وألفاظ مورّدة الخدود

فلله درّه من كاتب . يصطاد القلوب ببدائع الغرائب . وروائع العجائب :

إن هزّ أقلامه يوماً ليعملها أنساك كل كميّ هزّ عامله
وإن أقرَّ على رَقٍ أناملـه أقر بالرِق كتّاب الأنام لهُ

وقد كان أبو الثناء على تضلعه في العلم ومكانته السامية في الدين لايبالي أن يطلق لفكره الحرية التامة ولقلمه العنان في ميدان المَجانة والفكاهة ، والظرافة واللطافة . فيجول ويصول ، من غير احجام ولا نكول . فيطرب بنكاته النفوس ، ويشرح بطرائفه الصدور ، من غير ما صنَّاجةٍ ولا وصنطير . مما أبان عن رقة طبع وخفة روح ، وسلامة ذوق . وأبى الله لأبي الثناء أن يكون كأولئك المتفيقهة المتقعرة ثقيل الروح ، جاف الطبع ، شرس الخلق ، سقيم الذوق . . .

وقد كان على شيوع السجع في عصره ، وسلطانه القوي، على اقلام كتاب مصره ، يحاول التفصي من سلطته والخروج عليه أحياناً . على أنه اذا سجع جرى

كلامه منسجماً عذبا لا يكاد يجد المرء في تسجيعه شيئا ما من التكلف والتعسف أبداً . بل إنه بعـذوبة مذاقه ، واطراد سياقه ، ليكاد يمتلك الشعور . ويخلب الألباب ، ويسحر النفوس . . . ويا ما أبلغ ماوصف به نثره وأسلوبه في الكتابة في مقدمة غرائبه :

قال :

« . . . وكأني بك تجده - إن شاء الله تعالى - كتاباً تشد اليه الرواحل ، وتطوى لنيل المنى من فصوله وأبوابه المنازل . حيث تضمن مباحث لطيفة ومطالب شريفة . ورسائل تقطر ظرفا . ومسائل ترشح لطفا . بنثر قَرُب حتى أطمع . وبعد على المتناول حتى امتنع . كأنه من شرخ الشباب مسروق . ومن لذة وصال الاحباب مخلوق . بل لعمري لو أن كلاما أذيب به صخر . أو اطفيء بما يرشح من إهابه جمر . أو عُوفي بمعانيه مريض . أو جبر بمبانيه مهيض . لكان هو ذلك الكلام الذي يقود سامعيه من بنى الاداب ، الى السجود . ويجري في شرايين قلب واعيه من ذوى الألباب ، جريَ الماء في العود . لكنى لم ألتزم في جميعه هذا النثر . وأي روض كله عطري الزهر . وأصابع الكف ، غير متساوية في الوصف . وليست كل آية ان تعِ ، فاغرة فاها بفصاحة يا أرض ابلعي . وما كل نجم سيار . ولا جميع أجزاء الليل أسحار . على أني كثيرا ما أترك النثر بالكلية ، وآتي بدله بعبارة أرجو ان تكون عند المنصف مرضية . وذلك لتكون مائدتي للآذان ، ذات الوان . وأشربتي للاذهان ، ذوات خمور والبان . فالطعام الواحد يُملّ ، وان حلا وجلّ . وأكثر الاسماع اليوم طبيعتها اسرائيلية فهيهات أن تصبر على طعام واحد وان كان من أطعمة شهية . هذا مع ان ذهني بأيدي التجليات. فربما لاتسلمه بيدى لأنسج به بعض الفقرات . وقد يشرد مني

ويكون مناط الثريا عني. فاضطر الى كلام مغسول، لا اعقل فيه سوى انه معقول فرحم الله تعالى امرءاً عذر • وقنع مني بما حضر »

وقال يصف القسطنطينية ونساءها والثغر :

« بلدة مونقة الأرجاء. رائقة الأنحاء. ذات قصور تضيق عن تصورها سعة الأذهان، وتتجاذب الحسن هي وقصور الجنان. وربة رياض أريضة، وأهوية صحيحة مريضة • قد تغنت أطيارها، فتمايلت طربا أشجارها. وبكت أمطارها، فتضاحكت ازهارها. وطاب روح نسيمها، فصح مزاج إقليمها. وليتك رأيت ما فيها من الرياض الانيقة، والاشجار المتهدلة الوريقة. وقد ساقت اليها أرواح الجنائب. زقاق خمر السحائب. فسقت مروجها مدام الطلّ. فنشأ على ازهارها حباب كاللؤلؤ المنحل. فلما رويت من الصهباء اشجارها. رنّحها مع النسمات المسكية خمارها. فتدانت ولا تداني المحبين. وتعانقت ولا تعانق العاشقين. يلوح من خلالها شقيق. كانه جمرات من آثار حريق. ويتخللها بهار يبهر ناظره فيرتاح اليه ناظره

وكأن النرجس الغض بها أعين العين وما فيهن غمض

وجملة أمرها أنها أنموذج الجنة بلا مَيْن. فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ العين. . . .

وأما الثغر وما أدراك ما الثغر. فذاك الذي تنشق من حلاوة لمى محاسن ثناياه مرارة الخمر. وقد دلع لسانه بالافتخار. فجرى مطلق عنان الفخر في كل مضمار. وتلاسنَ البحرانِ بلا مرا. فألقم البحر الأسود حجراً بحر مرمرا. واذا رأيت ثمَّ رأيت نعيما، وملكاً مقيماً، وملكاً عظيما. فالقصور هناك ترفع عن القصور سمه. فوحسنها لقد غدت فلفلة الغيرة منها في است قصور أرض

السمسمة . فان الفرق بين هذه وتلك جبال . فهذه ممـا تلتذ به الحواس العشر وليس في تلك حظ لسوى الخيال . وقد غدت تسحل ذيول الفخر بأفصح لسان على ساحليْ خليج يزرى بالمجرة . وتنقل لرائيها أحاديث غرف الجنان فتملي اذ تُملى الجنان بأنواع المسرّة . وانها على ما أضمرت من دقائق الحسن في سرائرها ليرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها .وقد غالت مقدارا . وعلت منارا . وشمخت بأنفها حتى ظن أن لها عند الشعرى العَبور ثارا . وقد اتصلت بها من ورائها جنان . هي فوق ما تتخيله أذهان الإمكان . وان مبتدأ امرها لينادي : ليس الخبر كالعيان . وفي كل منهـا بركةٌ مفعمة من الحسن ببركات . ولهـا خد كاللجين تحلى بعذار من انعكاس النبات . وحول كل بركةٍ روض نضر . وما من روض الا ويلتقى فيه ماء الحيـاة والخضر ! وامتداد هاتيك القصور ست ساعات . على ما حدثني به بعض الرواة الثقات . . وأسود غابات (اسلامبول) وبدور بروجها التي ليس لهـا أفول . ينتقلون اليها اذا بلغت الشمس نصف برج الثور . ولهم اذا بلغت نصف برج العقرب رجوع بعد الإقامة وحور بعد الـكور . وفي كلا الامرين قد يتقدمون . وقد يتأخرون . وربمـا تجد فيها قوماً مقيمين في الفصول الاربعة لا يرتحلون . قد اتخذوها منزلا . واستوطنوها ولم يبغوا عنهـا حوَلا . . وعرض الخليج هناك نحو جسر الزوراء أربع مرات . وانه يزيد على ذلك وينقص في بعض الجهات . والزوارق فيه تزيد على اثنى عشر ألفا . وهي مشحونة لطفا . ومملوءة ظرفا . وانها تحـكي فيه الدعاميس . كما أن زوارقه السلطـانية تُشبِه الطواويس . وفيه من السفن النـارية عِدّة . قد اتخـذت للعبور عُدَّة . وهي من حيث البوائق . آمن بـكثير من الزوارق . وفيه من الحيتان اليونسية كثير . ويتحرج من هناك من أكلها كما يتحرج المسلم من أكل الخنزير .

وربما يظن الظان . أنها خنازير الحيتان . وهي تتطارد جهارا . ليلا ونهارا . فماذا عسى تقول في بلدة لايزال يضحك ثغرها على جميع البلاد . ولا يبرح فى العمارة أمرها كل يوم فى ازدياد . ويوشك أن تكون جنةً يقضى منها العجب . لولا ما ابتليت به من الحريق وقل الخشب . ولكم نمتُ فيها من القمل على مثل الاسنّة . واعترتنى من محن الدهشة من حريقها أعظم محنة . وكلا الامرين فى الساحل قليل . وفى الارض قطع متجاورات كما نطق به التنزيل . ثم إنها لكثرة الخلق فيها . واختلاف صنوف أهاليها . لاتخلو عمن لو التقى في البحر المحيط لنجسه . أو كان جزءاً من العدد غير المتناهي لبخسه .

وفيها من النسوان . مايخيل أنهن حور الجنان . وكلامهن لو تجسد لازرى بالدر . ولولا الادب لقلت : هو حرٍ بأن ينكح بأير الفكر . وفيهن من عادات نساء الاعراب . انهن يبرزن الى الازقة بمجرد نقاب . الا أنه ألطف من شمائلهن وأدعى للصبوة بهنّ من تمايلهن . فكأنه نسيم همّ أن يتجسد . فعارضه توقد وَجْنة الخد . وربما يقول ظمآن النظر اذا أتى منهلَ مياهِ خدودهن ووَرَد : الله اكبر ، كيف نسج الريح على الماء زرد ؟ وربما ينشد : اذا ذاق نظره خمرة خدها المتورّد

رق الزجاج ورقّت الخمر فتشا كلا وتشابه الامر
فكأنما خمر ولا قَدَحٌ وكأنما قدح ولا خمر

ومعظمهن حرائر . وان لم يحتجبن عن النواظر . فعدم الاحتجاب . عادة قديمة في عرب الاعراب . وهن اللواتى لا شك في عفتهن . ولله تعالى در من قال في صفتهن :

هن الحرائر لاربّات أخمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور

وقد حققت أن منهن من لا تخرج من بيتها حتى الى الحمام . ولا يحوم عليها

طائر نظر أهل الازقـة الى أن تصير وكراً لحمام الحمام . نعم لا يخلو غيل من (واوي) . وأي بلد عريض طويل ليس فيه عاوي . فالمعول عليه في رداءة البلدة وفضلها . انما هو عند المنصف حال غالب أهلها . وحال غالب أهل هذه البلدة في الحسن لا يطال . وسيان في ذلك على ما علمت النساء والرجال

قوم زكوا نفساً وطابوا مخبرا وتدفقوا جوداً وراقوا منظرا

فأنعم بذلك المغنى ، فقد جمع الفضل حساً ومعنى

وقال من مقالة في مدح صناعة الكتابة :

ان من منن الرب أن جعل فى مدينة الجسد ملكا يسمى القلب . منه يصدر النهى والأمر . وبرأيه يظهر الخير والشر . ولما كان ملكا محجباً ، وعذيقاً في تلك المدينة مرجباً . جعل الله سبحانه له من أشراف مملكته ترجماناً ، ونصب له منها سفيراً يسمى لساناً . فغدا يترجم عما فيه ، ويبدي من مقاصده ما يبديه . فذاك الاول في تلك المغانى ، وهذا منه - وعينيك - في المحل الثاني :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فلولا شأن اللسان ، لشانَ العيُّ أمر التمدن الطبيعى للانسان . ثم انه لما كانت فائدته كالمقصورة على إفادة الحاضر ، قلما تسري للغائب النائى أو من يأتى من الأواخر . علم عز وجل الانسان الكتابة ، وأزال بها عن فؤاد الافادة الكآبة . فهي جناح اللسان ، ورسوله الى من نأى فى البلدان ، وأمينه لمن لم تلده بعدُ أرحام الازمان . فترى أشجار فؤادها نامية ، وبحار فرائدها بالنفع طامية . ولذا شرف الباري سبحانه القلم ، وسوده جل شأنه بمداد القسم . فقال تبارك اسمه ﴿ ن والْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ :

كفى معشر الكتاب فخراً وسوددا على الناس أن الله أقسم بالقلم

وقال من مقالة اخرى في مدحها أيضاً :

« ان الانسان مدنيٌّ طبعاً ، محتاج الى بيان مقاصده وضعاً ورفعاً ، وقد جعل الله تعالى اللسان · آلة تتكفل بالايصال الى ذلك البيان . فمتى أراد ذلك أخرج بدلاء أنفاسه من قليب القلب ، وأجرى في حياض السامع من صافيه وكدره ما أحب . الا أنه لما كان قد لا يتسنى له سقيُ رياض أسماع النائين ، ولا يتيسر له سوق مياه الافادة الى حياض أفهام الآتين ، بعد حين . جعل سبحانه له الكتابة عونا ، وجلا – جل جلاله – بها عن عين الافادة غينا . فيفيد بها المرء المرام ، القريب والبعيد ومن يأتي من بعده بأعوام . ولذا امتن الله تعالى بها ، وقال تبارك اسمه مُنبهاً ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمَ الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ . والكتابة والبيان ، في النفع فرسا رهان . وقد شاع في البين ، أن القلم أحد اللسانين . . »

* * *

وقد بالغ رحمه الله في احدى هاتين الرسالتين في شأن الكتابة وأن صاحبها ينال بها الصدور . ثم استدرك ذلك بكلام لطيف ربما يسلي مشاهير كتاب العصر الكرام الذين رماهم الزمان بثالثة الأثافي ، وقصَّ منهم القدامي والخوافي . فقال :

« ... ثم انا لا ندعي التلازم بين الكتابة ، والعروج بمعارجها عن حضيض الكآبة . فكم من كاتب كثيب نبذ بالعرا ، يبكي ابن مقلته في كل آونة من أبي ضوطرى . حظه كمداده ، وسواد ثوبه من الدرن أشد من سواده . ومجرى رزقه ، أضيق من ثقب قلمه وخرقه · وقد قال من ألم به من سوء حاله الالم :

ومن ذا الذي في الناس يبصر حالتى ولا يلعن القرطاس واللوح والقلم

ومن الكتاب ، من كتابته في الرداءة العجب العُجاب . آثار مواطيء

دجاجة مجنونة على القرطاس ، أحسن شكلا من أشكالها بعين الناس . ومعاني هذيان المحموم ، بالنسبة الى معاني ما تضمنته تسامت النجوم . ومع هذا قد فاق في السمو عُطارد . حيث ان الجد مساعف له ومساعد . وفي مثلهم قال ابن بسّام :

تعس الزمان لقد أتى بعُجاب ومحا رسوم الفضل والآداب
وأتى بكتّاب لو انبسطت يدي فيهم رددتُهم الى الـكتّاب

فاذن لا ينبغي للمرء أن يوسـط لفاضل العيش فضلَه ، بل الحري به أن يتكل على ربه . وينتظر ما كتب في الازل له

فاعتبر نحن قسمنا بينهم تَلْقَهُ حقا وبالحق نزل

وقال يحذّر أولاده من الدجاجلة وأبالسة التضليل :

« يابني ! بعض الناس ذئاب ، عليهم من جلود الشياه ثياب . فلا تخدعوا بمتماوت تغنجت كالملوك كلمته ، ولانت كالصعلوك عريكته . وولع الذبول بقامته فتناطحت تفاحة كتفه ورمانة هامته . وربما لزق ذقنه بصدره ، وأصاخ بسمعه نحوه بسره . وحمل سبحة من ذوات الاذناب وجعلها شبكة . وأعمل فيها سبابته تنقر حباتها كما تنقر الحب الديكة . قريب الخطو تحسبه لهون وليس مقيداً يمشي بقيد . فوأبي لقد رأيت في هؤلاء المتماوتين من هو أمر من أبي مُرَّة ، وأضر منه بألف الف مرة

وقد جربتهم فرأيت منهم خبائث بالمهيمن نستجير

***

﴿ شعره ﴾

قال أبو الثناء الشعر الا أنه لم يكن فيه مطبوعا . وقد نحله بعض « حطاب الليل » ـ كالويس شيخو منشىء مجلة المشرق ومن على شاكلته ـ شيئاً من الشعر

وهو لغيره كما سننبه على ذلك (١)

فمن شعره قوله مفتتحاً به مقاماته ومستغفرا :

أنا مذنب، أنا مخطيء، أنا عاصي ... هو غافر، هو راحم، هو عافي
قابلتهنَّ ثلاثة بثلاثة ... وستغلبن أوصافه أوصافي

ومنه قوله – وقد وصف قصرا في الثغر – مرتجلا :

لقد وصف الرحمن للناس جنة ... فشوّق من كل العباد نفوسا
وما كنت أدرى أن في الأرض نحوها ... الى أن رأينا منزلا فيك مأنوسا

وقال أيضاً – وقد رأى فيه دمية دقيقة الصنعة – مرتجلا :

هذه الدار يحاكي ... حسنُها دار السلام
غير أن الحور فيها ... قد تجلت من رخام

وقال في مرض موته شاكيا :

ولو ان ما بي من صداع بيذبل ... لأصبح مصدوع الحشاشة (يذبل)
الى الله أشكو إن روض سلامتي ... لفرط سموم السقم يَذْوىٰ ويَذْبُلُ

وقال أيضاً :

أمولاي إن الناس قد جهلوا أمري ... فمن قال أدري فهو والله لايدري!
وأنَّىٰ ولي بيني وبينك حالةٌ ... تدق على الافكار حتى على فكري؟

وقال أيضاً :

يارب ّ ما حبي الحياة للـذةٍ ... أقضي بها زمنى الخؤون المعتدي
لـكنما حبي لذلك رغبة ... في أن أجدد دين جدّي (أحمدِ)
وأذود عنه من يحاول نقصه ... ذود الغيور بمزبري وبمذودي

(١) كل ما أشك في نسبته اليه أشير اليه بقولي « ومما ينسب اليه » وكل ما أجزم بكذب نسبته اليه اصرح به تصريحا

وأبث علماً في معالمه الهدى فازيل حالك شبهة المتردد
فامنن على جسمي الضعيف بنظرة تشفيه من لأواء سقم مجهد
فالكل عن تشخيص دائي عاجز فمتى أراد علاجه لا يهتدي

وقال أيضاً مضمناً :

لقد لامني الاحباب جهلا وعنفوا غداة رأوا جسمي تقاسمه الضنى
وقالوا : عقاقير لديك كثيرة فهلا باحداهن داويت ذا العنا ؟
فقلت لهم والله بالغ أمره «بكل تداوينا فلم يشف ما بنا»

ومما ينسب اليه :

ولم تزل العشاق تتخذ الهوا رسولا بابلاغ السلام خليلا
واني اتخذت الماء يبلغ جيرتي اذا ما جرى عنى السلام جزيلا
وحملته من نار شوقي اليهم ولا عج أشجان الفراق حمولا
فعن حملها يعيا النسيم لأنه يهب بهاتيك الطلول عليلا

أيضاً :

واذا الفتى بلغ السماك بفضله كانت كأعداد النجوم عداه
ورموه عن حسد بكل كريهة لكنهم لا ينقصون علاه

ومما نحله (شيخو) وغيره إياه قوله :

تتحير الشعراء إن سمعوا به في حسن صنعته وفي تأليفه
فكأنه في قربه من فهمهم ونكولهم في العجز عن ترصيفه
شجر بدا للعين حسن نباته ونأى عن الأيدي جنى مقطوفه

مع أن هذه الأبيات (للناشي) الشاعر المشهور . وتمامها :

واذا قرنت أبيه بطيعه وقرنته بغريبه وظريفه
ألفيت معناه يطابق لفظه والنظم منه جليله بلطيفه

ونسب اليه بعضهم ـ وقد كتب عنه في مجلة لغة العرب (م ٣ ج ٢ ص ٧٢) هذه الأبيات:

أرض اذا مرت بها ريح الصبا حملت من الأرجاء مسكاً أذفرا
لا تسمعن حديث أرض بعدها يروى فكل الصيد في جوف الفرا
فارقتها لا عن رضا وهجرتها لا عن قلى ورحلت لا متخيرا
لكنها ضاقت عليّ برحبها لما رأيت بها الزمان تكدرا

وادعى أنه يصف بها بغداد وفراقه إياها . مع أن كل من له أدنى اطلاع على أخبار الشعراء يعلم أن هذه الأبيات من قصيدة هي من غرر القصائد لشرف الدين بن عنين يمدح بها الملك العادل ويستعطفه ويستأذنه في دخول دمشق وكان نفاه عنها حين هجا رؤساءها . ومطلعها :

ما ذا على طيف الأحبة لو سرى وعليهمُ لو سامحوني بالكرى
جنحوا الى قول الوشاة فأعرضوا والله يعلم أن ذلك مفترى . . . الخ

وقوله : « لا تسمعن حديث أرض بعدها » صوابه : « لا تسمعن حديث ملك بعده » . . ومن الغريب أن أبا الثناء كان قد تمثل بهذه الأبيات (في ص ١١٦ ـ ١١٧ من الغرائب) عقيب وصفه للاستانة ثم أضاف اليها أبياتاً اخرى من عنده فى مدح السلطان عبد المجيد ولكنه لم ينبه على ذلك لشهرتها وتداولها في كتب الأدب . فجاء هذا فظن أنها له فنحلها إياه ثم ما كفاه ذلك حتى زاد في الطين بلّه ، وعلى الطنبور نغمة ، فانتخب منها هذه الأبيات وحرف بعضها وادعى على غير علم أنه يصف بها بغداد وفراقه إياها ! فانظروا يا أولي الألباب



أولاد السيد محمود :

السيد عبد الله الالوسي

١٢٤٨ - ١٢٩١ هـ

عالم جليل ، وكاتب قدير ، وأديب بارع . نشأ في حجر الفضل والحسب ، وارتضع لبان العلم والأدب . حتى ارتوى منه وملأ وطابه

قرأ القرآن في الخامسة من عمره فأتقنه بأقلّ من سنة قراءةً . وتوسم أبوه فيه النجابة والذكاء فاعتنى به اعتناء كبيراً ولقنه بنفسه مبادىء العلوم العربية . وعلمه الخط فأتقنه وأجاده وهو صبيّ ولم يزل يلقنه العلم ويرضعه درَّ الادب حتى أدرك الوطر . ولما سافر أبوه الى القسطنطينية ترك بعده الدرس ، وامتد السفر نحو سنتين ولم يقرأ فيهما الا شيئاً يسيراً . حتى اذا ما آب أبوه شرع في الأخذ عنه فلم يزل مجداً في الطلب ، عاكفاً على المطالعة ، منقطعاً لاقتطاف ثمرات العلوم ، حتى أصبح علماً من (أعلام العراق) يركن اليه فى حلّ المشكلات ، ويرجع اليه في كشف المعضلات .

من أبيه أبي الثناء شهاب الد ين محمود قدوة العلماء
كل كبرى من القضايا حواها فترا آى نتيجة الكبراء
ومن الكليّات حداً ورسماً حاز كلاً أحاط بالأجزاء [1]

ولما انتقل والده الى دار البقاء جزع عليه جزعاً أضرّ به وأورثه خمولا . وبعد مضي زمن عليه أحب أن يعزّز مادته ، ويضطلع في الفنون التى لم يدرسها من قبل فركن الى أحد المشاهير في بغداد فلم يرَ منه ما يشفي ويطفي ، فلوى عنه جيده

(١) الابيات من قصيدة لعبد الباقي العمري فيه قالها يوم بدا عذاره

وتركه . ثم جلس للتدريس – وكان نسيج وحده في التقرير وتقريب شوارد المسائل الى الأذهان – فقصده روّاد العلم وعشاق الأدب ، ودرّس ماشاء الله أن يدرّس ، واستفاد من علمه الجم وأدبه الغضّ واسلوبه الجميل وبيانه البليغ كلّ من قرأ عليه ولازمه ، ولكن أبت الاقدار الا أن يحرم العلم وذووه فضله حيث انه مُني منذ طفولته بالعلل والأوجاع وسدكت به حتى شتتت أفكاره ، وأورثته خبالاً ، تركه هائماً في أودية الاوهام ، سابحاً في لجج الوساوس ، فترك التدريس ، وأقبل يلتمس الشفاء ، لتلكم الادواء ، من مشايخ الطرائق المبتدعة وكان حسن الاعتقاد بهم فقصد بعض « النقشبندية » في « الطويلة » فاتفق أن هادنته أوجاعه مدةً عاد فيها الى التأليف والتدريس ولكنها أبت أن تمهله يتمتع بالصحة فكرّت عليه كراً ، وتركته أسير الفراش . هذا مع ابتلائه بغائلة « العائلة » وإحاطة جيوش المتربة به حيث إنه كما علمت أدركته حرفة الأدب ، فداست ساحته النُوَب ، فأصبح أبا العجب :

لو كان يدري المرء أن ابنه يحرم بالآداب ما أدَّبه

ولم ير – بعد أن تحمل وصبر – بدّاً من امتطاء غارب الاغتراب الى الاستانة لجلب النفع ودفع الضر ، فباع جميع مالديه من كتب وأثاث وعقار ، وقصدها من طريق الشام ، فلما كان في محل يسمى (القعرة) خرجت عليه ثلة من قطاع الطرق فاستباحت جميع ما لديه ونبذته بالعراء عريان حيران لا يهتدي سبيلا ، ولولا ان منّ الله تعالى عليه بناس مروا به فأنجوه وعادوا به الى بغداد لكان من الهالكين في تلك القفار الموحشة والمفاوز المهلكة

عاد رحمه الله الى بغداد وهو صفر اليدين لايملك من فتيل أو نقير فانسدت بوجهه الطرق فبقي في حيرة من أمره لا يحط ولا يرفع ولا يدري كيف يقضي أيامه ، الى أن يلاقي حِمامه ، حيث انه كان يمقت التزلف الى الحكام والتربع

في مناصب الحكومة ، وكم قد عرض عليه القضاء وأعرض عنه ورعاً وزهداً ، ولكنه لما اشتد به الامر ولم يجد للمعيشة غير ذلك من سبيل ، قبل القضاء . وكان آخر أمره أنْ تولى قضاء البصرة وقضى فيها نحو سنتين نهكت فيهما حمّاها جسمه ، وأنحلت بدنه ، وأضعفت قواه ، حتى حملته على مغادرتها فجاء بغداد ولم يبق فيه من رمق . وتوفي بعد نحو عشرين يوما فجر يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شعبان سنة ١٢٩١ هـ . ودفن بوصية منه جوار مرقد الجنيد في الكرخ

* * *

كان رحمه الله تعالى عالما صوفي المشرب ، وأديبا عبقريا لو أتيحت له الصحة التامة لخدم الادب خدمة كبرى . وكان تقيا نقيا زاهدا نزها عفيفا ورعا حاد الذهن ، كبير النفس ، أبيا شهما غيورا ، سريع الغضب ، سريع الرضى ، متواضعا ، محبا للفقراء رؤوفا بهم عطوفا عليهم

وكان في عنفوان شبابه شافعيّ المذهب فلما تقلد القضاء قلّد مذهب الامام أبي حنيفة وله بذلك اسوة بمن تقدمه من أكابر العلماء (١) . وليس في ذلك كبير أمر كما يتوهم الجامدون من فريق المقلدة على ان التمذهب بمذهب من المذاهب الاربعة أو غيرها لم ينزل الله به من سلطان . وما التقليد ، الا قيد من القيود ،

(١) قال القرافى وغيره واللفظ له : يجوز الانتقال من جميع المذاهب بعضها الى بعض فى كل مالا ينتقض فيه أحكم حاكم وذلك في أربعة مواضع : ان يخالف الاجماع أو النص أو القياس الجلي أو القواعد . انتهى . وممن انتقل من مذهب الى آخر من غير نكير عليه من علماء عصره الشيخ عبد العزيز بن الخزاعي : كان من أكابر المالكية فلما قدم الامام الشافعي بغداد تبعه وقرأ عليه كتبه ونشر علمه . ومنهم محمد بن عبد الله كان على مذهب الامام مالك فلما قدم الشافعي الى مصر انتقل الى مذهبه ثم رجع . ومنهم ابو جعفر بن نصر الترمذي رأس الشافعية بالعراق : كان حنفيا فلما حج انتقل الى مذهب الشافعي . ومنهم ابن فارس العالم اللغوي : كان شافعيا ثم انتقل الى مذهب مالك . ومنهم عماد الدين الواسطى : كان شافعيا ثم صار حنبليا الى غيرهم ممن لم يسعهم المقام .

فجدير بالمرء أن يطلق فكره ويستقل به ثم يأخذ بما يصح معه الدليل من دون تشيع لطائفة ما

وكان نادرة الزمان في صناعة اليد يشتغل أدق الأشغال اليدوية بغاية الدقة والاتقان ويجلد الكتب لنفسه أحسن تجليد . . .

* * *

﴿ مؤلفاته ﴾

وله مؤلفات لطيفة . الفها عند سنوح الفرص واختلاس أيام الصحة وأوقات الفراغ . وهي :

١ — (التعطف على التعرف في الاصلين والتصوف) اختصر به شرح العلامة الشيخ محمد أمين السويدي البغدادي أحسن اختصار . ومنه نسخة في الخزانة النعمانية فى مرجان ببغداد ، بخط ابنه شيخنا الامام

٢ — الواضح : كتاب في النحو حسن الترتيب ، لطيف التبويب . سهل العبارة ، جميل الإشارة . يدل على حسن ذوقه ، وقوة عارضته في تقريب المسائل وتحرير الأبحاث

(٣ — ٤) متنان في علمي المنطق والبيان

(٥) الروض الخميل . في مدائح ال جميل

وله عدا ذلك شعر لطيف ، ومقالات أدبية جمعها ابنه الامام فاستغرقت جزءا لطيفا في نحو (١٠٠) صفحة هذا عدا ما اغتالته أيدي الضياع ولم يجمع

* * *

واليك نموذجا من انشائه . قال يصف مطراً شديدا متواليًا وفيضان نهر

دجلة وقد كتبه الى أخويه السيد نعمان والسيد عبد الباقي حين ذهابهما الى ديار بكر :

« . . . انه (المطر) عند غروب شمس الاربعاء ، تنفّس بفم الشوق الصعداء ، ورمى بوجه الأرض حصى من كف السما . فناداه الليل - وقد تحقق ان الدائرة على الأرض - : مارميت إذْ رميت ولكن الله رمى . وحاك الدوىّ بمكوك الريح من سُدى البخار ولحمته شققا سودا وصبغها الليل فكانت ظلمات بعضها فوق بعض ، وطنبها خيمةً خيمةً على اكتاف العراق فى الطول والعرض . واشتد الريح والظلام ، وشرع جنيُّ الليل يخوف صبي النهار كلما أحسَّ منه بقيام . حتى سلّ الفجر قرضابه الأبيض من غمده الأسود ، وأغمد الليل قامة الجوزاء ، بعد ان كان بها على النهار يتهدد . فهان الامر فى الجملة وكشفت قناعها غانية السماء . ثم الى قبيل عصر الخميس ،انتصبت حرب الخميس ، وأقبلت جيوش السحب متتالة على هذه الارجاء ، وسبحت مدافع الرعد حينما أنهالت الغيوم ، ولمشيها دوي كهربدة المغموم والمظلوم . حتى اذا توسطت البلد ، وعلمت استيلاءها على كل احد ، تجاوبت اصوات الرعد كأنها مدافع اتصلت أصواتها وتسابقت بالرمي رماتها . وكأنّ البرق يؤجج زخيرها . والصواعق والبرَد قلل وبنادق تدفعها وتثيرها . والغيوم والغبار دخانها الثائر . الذي حجب الابصار والبصائر . وكأن الملائكة قد رمت أهل الغبراء . لما رأوا اغبرار صحائفهم بنقيع الفجور والفحشاء . فبكت عليهم السماء بدمعها الهتّان . ونادت : ربّ اكشف الأحزان . عن هذه البلدان . فأين (ابن خفاجة) عن وصف هذا اليوم الأيوم . حيث وصف بَرَداً ألمَّ به فألّم . بقوله :

يارب قطر جامد حلّى به ... نحر الثرى بَرَد تحدر صائب
حصب الأباطح منه ماء جامد ... غشى البلاد به عذاب دائب

فالأرض تضحك عن قلائد أنجم نثرت بها والجوّ جهم قاطب
فكأنما زنت البسيطة تحته فأكبّ يرجمها الغمام الحاجب

وبعد سويعة انتصرت لهم الغزالة ففتحت عينها من بين أجفان السحاب · ورمتهم بنبال أشعتها عن قوس حاجب هالتها قبل أن تتوارى بالحجاب · وصرعتهم بقرونها فمزقتهم كل ممزق وفرقتهم أيادي سبا . فانهزموا خوفاً منها هرولة وخبباً . حتى كأن الغيم خيام بيض وسود لاحبة سائرة ، ونياق حمر في سباسب حائرة . وبقي الريح يصفق استهزاءً بهم ، و« تمزيقا » لهم وعليهم . وابتسمت ثغور الديار ، وفاخرت الشهب بما البستها الشمس من حلل الانوار .

وذهبت في اليوم الثاني الى دجلة ، ليشرب فم سمعي الخبرَ من مبتداه قلّه وجلّه . فرأيتها قد اغرورقت عينها من الفرح بالدموع ، وسالت على وجنة الزوراء وتلك الربوع . وتزايد بها الوجد ، حتى انقلبت الحال بالضد ، وخرج الأمر من الحد ، وطغى ذلك النهر وتمرَّد . فجسَرَ على الجسْر وقطعه ، وجرى أسرع من السهم الى البحر ليبتلعه ، وتزينت سماؤه بكواكب سود ، ولا بدع فالغبراء ضد الخضراء وهو منها معدود ، وشرعت جواميس « القُففِ » تسبح شرعا في اللجج ، وكأنما اعتراها من سنا الريح الشرقيّ رهج ؛ وتنطح بقرون مغاريفها الأمواج ، وتقول لها ـ وقد ترامى بعضها على بعض من الخوف ـ : ليس الى النجاة منهاج . وظنّ الماء أن القفة السوداء الحجر الاسود ، فقصدتها الامواج لتحظى بها وتسعد . أفواجا أفواجْ ، وتسابقت لاستلامها ولا تسابق الحجاج . . ثم أيضا عاد الرعد والمطر ، من يوم الجمعة بعد العصر . وبقي يسقي الأرض رحيقا من كؤوس الغنج وتلك الاقداح ، حتى يوم السبت . . . (١) فعظمت الافراح

(١) بياض في الاصل

وانقطع ذلك الكرّ والفرّ، عندَ أذان الفجر . ولم يستفد من ذلك أحد إلا الزمان ، فانه قد طفح ماؤه وغدا يتنقط من غيظه على الزمان . وقد تفطر جلده وعاد يرفضّ عرقا ممـا يلهب في جوفه من جمرات حبّات تتوقد توقد النيران . واصفر وجه الليمون من وجله . حيث أخبره نسيم الشتاء بحلول أجله . . . »

ربيع الاول سنة ١٢٧٤

***

﴿ أولاده ﴾

١ — السيد مصطفى زين الدين : ولد سنة ١٢٦٦ هـ وتخرج على أبيه وولي القضاء في (الكاظمية) و (سُرَّ مَنْ رأى ـ سامَرَّا) و (العمارة) و (الاحساء) و (عكا) و (طرابلس الشام) و (القدس) و (طرابلس الغرب) و (مكة المكرمة) . وعاد الى بغـداد سنة ١٣٣٩ هـ . وعين وزير العدلية في الحكومة العراقية (١) .



السيد مصطفى الالوسي وزير العدلية السابق فى الحكومة العراقية

(١) توفي رحمه الله في ٦ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ وقد كان على جانب من حسن الاخلاق عظيم.

٢ — السيد محمد عارف حكمة : ولد سنة ١٢٧٠ . وقد سماه جده باسم شيخ الاسلام عارف حكمة صاحب الخزانة الشهيرة فى المدينة المنورة متفرسا فيه مزاياه كما قال شيخ الاسلام :

تفرّس والدي فيَّ المزايا فيوم ولدت لقبني بعارف

وقد أخذ العلم عن أبيه والشيخ أحمد السويدي والشيخ أحمد الداغستانى وعبد الرحمن الكردي النقشبندى والشيخ اسماعيل الموصلي ، ودرس عند هذا دراسة تحقيق واتقان مع اشتغاله بالكتابة والسعي في طلب الرزق . وتقلد عدة مناصب في بغداد وأعمالها منها الحلة والسماوة وبندنيج وراوندوز والبيرة ، وامارة فزان من أعمال طرابلس الغرب وهي آخر مناصبه استعفى منها وعاد الى (فَرُوق) وبقى فيها الى أن توفي . وسافر الى حج بيت الله يوم كان في إمارة بعض أعمال حلب فانكسرت السفينة قرب جُدّة وغرقت فنجاه الله ففاته الحج فأدى العمرة ثم عاد في السنة التالية وحج . ولما كان في فزان حفظ القرآن الكريم ، وكان من الرجال المعدودين صاحب أخلاق كريمة وشيم حميدة ولشعراء الحلة وغيرها مدائح كثيرة فيه (١)

---

٣ — السيد محمود شكري : هو استاذنا الذي وضعنا هذا الكتاب من أجله

---

٤ — السيد حسن رشدي : ولد سنة ١٢٧٥ وتوفي سنة ١٣٣٤ هـ . أخذ عن أبيه ولما توفى أحوجت الضرورة الى دخوله فى سلك أهل الرسوم فداوم في

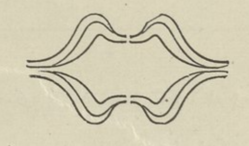
---

(١) اعقب ولدين فاضلين : — ١ احمد هاشم . وقد توطن الاستانة منذ صغره واصبح من نوابغ ادباء الترك المعدودين — ٢ عبد الله الموفق وهو اليوم يدرس الحقوق في باريس

محاسبة بغداد حتى برع فى الحساب ، ثم تقلد مناصب عالية في بلاد كثيرة كالسماوة والناصرية والديوانية وكربلاء . وسافر الى (فَرُوق) وبقي فيها مدة ثم تقلد منصباً في بلاد الروم . ولم يزل يتقلب من منصب الى منصب الى أن تولى مالية كركوك ثم حوّل الى رئاسة مالية سعرد فذهب مكرهاً وتوفي بعد مرور سنة عليه فيها ، ودفن في تربة محمد بن المنكدر المحدث المشهور

---

٥ — السيد عمر مسعود : ولد سنة ١٢٨٠ هـ . وجرى على منهج اخوته . وسلك في الطريقة النقشبندية وزهد وتقشف حتى ترك المنزل وأقام في جامع الحيدرية حيث يدرس أخوه استاذنا الإمام . ثم جدّ به الشوق الى حج بيت الله فقصده وابتلى هناك بعلة الاسهال فلم ينجع فيه دواء . وتوفي بعد عودته الى بغداد بأيام وذلك سنة ١٣١٨ هـ ودفن في مسجد الجنيد بجنب والده . ولصديقه الشاعر الشهير معروف الرصافي وغيره مراث فيه أثبتها الاستاذ في مجموعة ترجم فيها لاخوته تراجم مفصلة





٢ ــ السيد عبد الباقي

١٢٥٠ - ١٢٦٨ هـ

عالم من فضلاء القرن الماضي في العراق . ورث الفضل والنبل من أبيه ، وتقدم بجده واجتهاده ، وطار في كل مطار

ولد ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ١٢٥٠هـ[١] . وقرأ

---

(١) وقد أرخ ولادته كثير من الشعراء منهم عبد الحميد الاطرقجي والسيد عبد الغفار الاخرس . قال الاول :

طربا بمن سر الورى ميلاده   وسرى نسيم اللطف في الآفاق
علمت حمامات اللوى بمجيئه   فتزينت من ذاك بالاطواق
يا سادتي بشراكم فيمن بدا   متخلقا بمكارم الاخلاق
فردا أتى وبه استعنت مؤرخا   تم السرور لكم بعبد الباقي

١٢٥٠هـ

- بعد أن تعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب - النحو والصرف والبلاغة والمنطق والآداب والهيئة والاسطرلاب وسائر الرياضي ، وأصول الحديث . وتفقه في مذهب أبي حنيفة والشافعي على والده وبعض تلاميذه وغيرهم ، وحفظ طائفة من المتون منها ألفية ابن مالك في النحو ...

وبعد وفاة أبيه لازم العالم المتصوف الاديب عيسى البندنيجي البغدادي وقرأ عليه الأصلين والتفسير والحديث والمعاني والحساب وسائر العلوم النقلية والعقلية الى أن أكمل عليه (الجادة) برمتها ، فاجازه (في جمادى الاولى سنة ١٢٧٣ هـ) إجازةً عامة حسب العادة المألوفة وأولم له وليمة كبيرة حضرها العلماء والادباء وعلية القوم ، وتناشد فيه الشعراء غرر القصائد منهم شاعر العراق الشهير عبد الباقي العمري

وكان فيه ميل الى السفر شديد مع صعوبته في ذلك الحين فسافر في صغره مع أبيه الى القسطنطينية سنة ١٢٦٧ فراقه مناخها . وامتلك قلبه جمال مبانيها ومحاسن الطبيعة فيها فانتابها بعد ذلك مراراً عديدة ، وفاز مرة بالمثول لدى السلطان ونال منه اسمى المراتب والمناصب

وفى سفره الثالث اليها عرّج منها على الحجاز لحج بيت الله الحرام فمرّ بطريقه على (القاهرة) ورغب اليه بعض الفضلاء في تأليف رسالة موجزة في مناسك الحج فأجاب ملتمسه والفها مرتبة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وأسماها (أوضح منهج الى معرفة مناسك الحج) وطبعت في القاهرة

وتقلب رحمه الله في مناصب سامية ، وأنعم عليه السلطان في سفره (سنة ١٢٩٢) الى القسطنطينية بمولوية المخرج فى أزمير وبالوسام العليّ الشان . وتقلد عام ١٢٩٤ قضاء (كركوك) ، وآخر ما تقلده قضاء (بتليس) فأورثت جسمه عللا وأسقاما حملته الى مغادرتها الى وطنه فجاءه وقد أنحل جسمه ونهك قواه

المرض فبقي يكابد آلامه حتى توفي صباح السبت (١١ صفر سنة ١٢٩٨ هـ) . ودفن بجانب مرقد أبيه المبرور في مقبرة الكرخي . ورثي بقصائد عديدة منها قصيدة لعباس العذاري ولمحمد سعيد التميمي. وأعقب رحمه الله ولدين أفضلهما (السيد عاكف)

وله مؤلفات لا بأس بها وهي :

١ — (أوضح منهج ، الى معرفة مناسك الحج) وقد مر ذكره

٢ — (البهجة البهية ، في إعراب الآجرومية) ألفها في صباه

٣ — النهجة السوية ، في شرح الآجرومية

٤ — الفرائد السعدية ، في شرح العضدية

٥ — (الفوائد الالوسية ، على الرسالة الاندلسية) في العروض طبعت سنة ١٣١٢ هـ في مطبعة دار السلام ببغداد وعليها تعليقات لشيخنا المرحوم السيد علاء الدين الالوسي

٦ — النهجة المرضية ، في شرح الرسالة الاندلسية

٧ — فيوضات القريحة ، شرح الصفيحة

٨ — أسعد كتاب في فصل الخطاب

٩ — القول الماضي ، فيما يجب للمفتي والقاضي

١٠ — الروضة اليانعة ، في بيان السفرة الرابعة - وأخبرني حفيده الدكتور ابراهيم عاكف أن له مجموعة فيها أخبار أسفاره ، وربما كان له غير ذلك مما لم أعرفه أو لم أسمع به



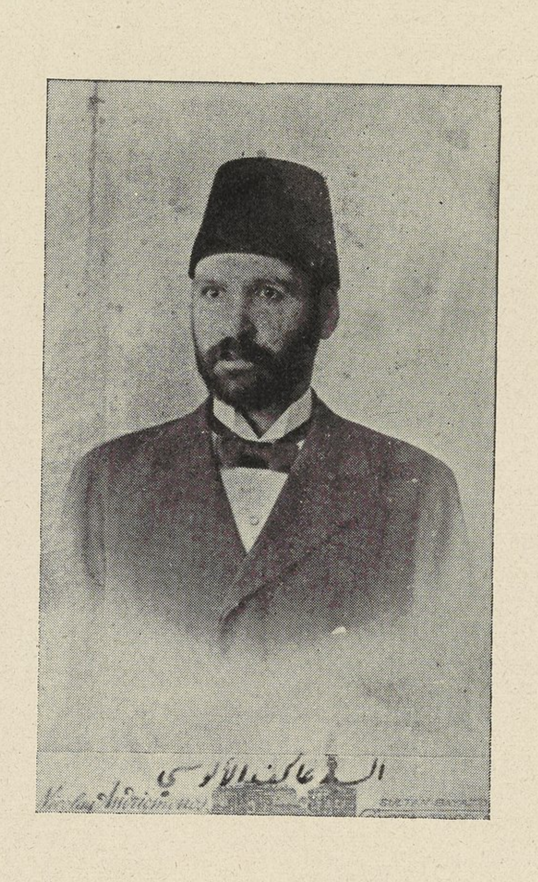
السيد عاكف

١٢٧١ - ١٣٣٥ هـ

ولد السيد عاكف بن العلامة السيد عبد الباقي الألوسي في بغداد سنة ١٢٧١ هـ. وتثقف في مدارس الحكومة التركية، وتعلم في صغره مبادىء اللغة العربية والفارسية. وأتقن التركية وبرع في الانشاء بها.. ونشأ وفيه ذكاء وهمة وأكثر أهل الهمم في ذلك العهد كانت تتوجه هممهم الى الانتظام في سلك الحكومة طمعاً في الحصول على المقامات العالية فالتحق أولا بدائرة البرق والبريد وعين مديراً لها في بعقوبة. ثم انتظم في (المالية) ثم في (الداخلية) حيث اشتهر ببعد النظر واصالة الرأي وقوة النفوذ الشخصي، فعين قائم مقام في الحي، فالسماوة، فالقرنة، فالصّيرة، ثم في الشامية مراراً

وقد كان ساعد الحكومة الأقوى في العراق اذ كان وحده يغنى عن حملة مدرّبة وجيش عرمرم: كانت عشائر الشامية أكثر القبائل عصياناً للحكومة وأشدها امتناعاً عن تأدية الضرائب والرسوم وقد أقلقت راحتها وأتعبتها كثيراً فلم يكن في رجال الحكومة من يخضعها ويرغم أنفها من غير حرب وضرب غير هذا البطل المغوار، العظيم الاقتدار، فكانوا كلما عصوا وامتنعوا عن دفع الرسوم رمتهم الحكومة بهذا الداهية فيأتون طائعين، وينقادون خاضعين. ولا تزال سيرته مذكورة بين تلك العشائر الى يومنا هذا.

وقد كان السيد عاكف ينال أكبر منصب لولا سقوط الحكومة ووقوعه أسيراً بيد الانكليز غلطاً فقد كانوا يحاولون أسر غير واحد من امراء الترك العسكريين (اسمه عاكف بك) بلغهم أنه مختف في بغداد، فساقهم القدر الى المترجم فسجنوه في العمارة ولم يكد أهله يقنعون الانكليز ببراءته ويطلقون سراحه حتى أتى نعيه رحمة الله عليه. وقد أعقب خمسة أبناء نجباء بقي منهم اليوم: السيد أمين «مهندس». الدكتور ابراهيم عاكف. السيد ظافر «مهندس».




العلامة الشهير السيد نعمان الألوسي

٣ — العالم المصلح الكبير

السيد نعمان خير الدين

١٢٥٢ - ١٣١٧ هـ

مسمى الاصلاح ومفهومه واسع جداً ، وهو يختلف باختلاف الأزمنة

والأمكنة والأصحاب والاتباع والمريدين والخاطبين من الناس . ولا يخلو زمان ومكان من أناس فيهم قوة استعداد وميل فطري الى الاصلاح وتحرير العقول من نير الخرافات والأوهام : يهيبون بأقوامهم الى الحق ويدعونهم الى ترك ما وجدوا عليه آباءهم من الخزعبلات والأباطيل . . .

وهؤلاء ليسوا في التأثير على العقول والنفوس على حد سواء . بل إن تأثيرهم ليختلف ويكون بقدر ما أُوتوا من مقدرة ووجدوا من مجال ، وحسبما اختطوا لهم من الخطط التي يسيرون عليها في الدعوة والارشاد

فمنهم من يكون فيه استعداد قويّ للاصلاح ولكنه لازدياد شرور بيئته وتغلب الجهل والخمول على أهلها يخشى على حياته فلا يقوى على المجاهرة ، بل يضطر الى المداراة والمماشاة فلا يظهر أثره بل يكمن فيه . أما إصلاحه فيكاد ينحصر في بعض ذوي قرباه ومريديه ولا يتعدى ذلك

ومنهم من استحكمت مريرته وتعاظمت جرأته فيخاطر بنفسه ولا يبالي بشيء بل يستسهل الصعب ، ويستخف الأثقال ، فينهض للدعوة ويركب في سبيلها كل صعب وذلول ، وجد في الأذهان استعداداً للتلقي أم لم يجد ؟ ولكن من استوطأ هذه السبيل لا يلبث أن تفلّ عزيمته ويغلب على أمره فتذهب أعماله هباءً منثوراً . وندر من وفق لغرضه من اتخذ الصرامة له رائداً . والغضاضة قائدا .

ومنهم لا هذا ولا ذاك : لا يركب مطية الهوس والغرور فيتعسف المجاهل في سبيل الدعوة ثم يطل الدماء ، على الاثراء ـ ولا يقتل ما خلق الله فيه من استعداد وسلامة فطرة ، وما وهبه من علم وفضل بتقائه شرور البيئة واستبداد الجاهلين .

بل يكون وسطاً في أمره : يجرؤ على الدعوة ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة

ويجادل أهل الباطل ولكن بالتى هي أحسن ، ثم يبشر وينذر ، وييسر ولا يعسر . حتى اذا ما نمت العقول ، وقويت المدارك . التف حوله ناس ذوو حول وطول عرفوا الحق فاتبعوه . فلا يلبثون أن يؤازروه ، ويشدوا عضده ، ويأخذوا بناصره ، وينشروا مبادئه ، فينجح ويتم له الأمر ، ويعود بعد أن كابد المشاق منصور اللواء مظفرا

وهذه الطريقة هي الطريقة المثلى في الاصلاح ولا نجاح الا بسلوكها . وهي وان كان السير عليها بطيئاً لكنه يكون أرسخ وأحكم ، وهي التي جرى عليها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في دعوته العظمى ، وحث أتباعه وأصحابه على سلوكها. ثم جرى عليها جل عقلاء المصلحين من أئمة الدين في تنقية الدين من أوضار المبتدعة وذوي الأهواء والمآرب اولئك الذين غيروا فى الظاهر شكله ، وقلبوا وضعه ، ووضعوا من شأنه بما زادوا من أعراض ، وأفسدوا من جواهر ، حتى أبرزوه للعيان والأمر لله بهيئة شوهاء منكرة ينفر منها كل من ينظر اليها . وشيخ مشايخنا السيد نعمان الالوسي واحد من اولئك العلماء المصلحين الذين جمعوا بين الجرأة على الدعوة ، والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة .

﴿ ترجمته ﴾

ولد رحمه الله (١٢ المحرم سنة ١٢٥٢) : في أرض التعصب الأعمى والجمود الذميم ، تحت سماء الجور والاعتساف . ولكنه نشأ بفطرته حر الضمير نيّر البصيرة . وربي على الآداب الاسلاميـة الفاضلة فشب مسلماً عاقلا فاضلاً غيورا على مصالح الامة والوطن والدين . ولو لا أن يتيح الله له من ينمي فيه قوة الاستعداد ويربي في الجملة ملكة الاستقلال فيـه (وهو أبوه الامام أبو الثناء ، وتلميـذه العالم السلفي السيد أمين الواعظ) لغلبه جمود البيئة ، وحشو المعممين ،

واستحوذ عليه الخمول ، وفسد فيه ما وهبه الله من فطرة سليمة وضمير حر ، وضعفت ملكة استقلاله ، ووهن منه الحزم والعزم ضرورةً . على أنه بالرغم من اجتنابه ذوي العاهات السارية الفتاكة لم يسلم من العدوى كل السلامة بل سرى اليه أثرها فظهر في بعض مؤلفاته : (غالية المواعظ ، والاصابة في منع النساء من الكتابة) ولكن حسبُ من نشأ في هذه البلاد في تلك الأيام الحالكة فخراً ـ أن يكون مثل السيد نعمان في استقلاله واعتداله ، وجرأته على الدعوة ومجاهدة فريق الجمود والتقليد .

وقد تولى في شبابه بفضله ونبله القضاء في بلاد متعدده فسار سيرة مرضية حمد عليها وحبب الى القلوب . وفيه يقول بعض ادباء (الحلة) يوم تولى قضاءها :

لتصفُ الشريعة للواردين فقد جاءها اليوم (نعمانُها)
وقد كان مطروفة عينها فنال الشفا فيه انسانُها

ثم ترك المناصب خشية أن تشغله عما هو آخذ باتمامه من تأليف ونشر . وفي سنة ١٢٩٥ هـ قصد مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، ومر بطريقه اليها على مصر القاهرة لطبع (روح المعاني) تفسير أبيه الامام فاتفق له أن اطلع على (فتح البيان) تفسير الامام المصلح الكبير ناشر ألوية العلم السيد حسن صديق خان ملك بهوبال ـ وقد طبع في مصر ـ فراقه وأعجبته آراء صاحبه العلمية والاصلاحية وتمنى أن يتصل به ولو مكاتبة .

فلما وصل مكة طفق يسأل عن الرجل ويبحث عن مؤلفاته فأُتيح له رجل خبير بأحواله (وهو الفاضل الشيخ أحمد بن عيسى النجدي) فزوّده منها بما زاد في إكباره له وإعجابه به واشتياقه اليه . وعند قفوله كتب اليه كتاباً يستجيزه فيه ويذكر له تعلق قلبه به لقيامه بالدعوة الى مذهب الحق فما كان منه الا أن أجاب ملتمسه ، ثم اتصلت بينهما المراسلة الى انْ قطع حبالها الحِمام .

وفي هذه الأثناء كان السيد خير الدين يؤلف كتابه الجليل (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) فلما أتمه (في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٧ هـ) قدمه الى خزانته ، ورغب اليه في نشره ، فحقق له أمنيته وأصدر أمره بطبعه في دار الطباعة بمصر . ولم يقتصر بتلك الصداقة المتينة على هذه الاستفادة وحدها منه فحسب ، بل استفاد أيضاً ما قوي به على نشر مذهب السلف الصالح في العراق وخدمة الأدب والعلم بطبع مؤلفاته ومؤلفات أبيه ، ومؤاساة الفقراء والمساكين كما يؤخذ من كتابه اليه المنشور في مقدمة الجلاء .

وفي سنة ١٣٠٠ قصد الاستانة لاعادة ما اغتصبته يد الجور من حقوقه الى نصابه ، فمر على سورية وبلاد الانضول ، واجتمع بعلماء هاتيك الديار ، فحاز إعجابهم ، وأجاز وأجيز حسب العادة المألوفة . فلما وصلها وألقى فيها عصا التسيار واجتمع بأولى الامر وأرباب الحل والعقد . عرفوا له فضله وأحلوه رحيباً وبالغوا في تكريمه . وأنعم عليه السلطان عبد الحميد الثاني بمراتب عالية ، وأصدر أمره بإعادة مدرسة مرجان اليه . وبعد أن قضى فيها سنتين آب الى بغداد ، وتصدر للتدريس بعنوان (رئيس المدرسين) ونشر مطويّ الفضائل ومكنون العلوم ، وحصر أوقاته في التدريس والتصنيف ، فكان يذهب الى المدرسة صباحاً ولا يعود الى بيته الا مساء . وقد هنأته الشعراء بالعَوْد ، وأرّخت توجيه المدرسة اليه بقصائد عديدة . منها قول السيد شهاب الموصلي من قصيدة :

وافى وعرفانه والعلم عرفه ... الى رجال ذوي علم وعرفان
موظفاً قد أتى اسكن (بمدرسة) ... قديمة العهد من انشاء (مرجان)
وظيفة قبله كانت لوالده ... بموجب الشرط شرط الواقف الباني [1]

---

(١) يريد أنها مشروطة لا علم أهل البلد

واليوم قد عاد مقبول الجناب الى بغدادَ باليمن مشمولاً بإحسان
وفي صكوك العلى والعلم أرخه : سجل تدريس مرجان لنعمان

١٣٠٢

***

وكان رحمه الله جوزيّ زمانه في الوعظ ، وقد بلغ في حسن التذكير والإرشاد النهاية ، فكان في كل سنة يجلس في شهر رمضان للوعظ ، في أحد المساجد الواسعة فيقصد من أطراف البلد حتى يغصّ المكان بالمستمعين - فاتفق له (في شهر رمضان سنة ١٣٠٥) أن استطرد في مجلس من مجالسه - والحديث ذو شجون - بحث سماع الموتى ، فذكر ما قاله علماء الحنفية في كتبهم الفقهية من عدم سماع الموتى كلامَ الأحياء وأن من حلف لا يكلم زيداً مثلا فكلمه وهو ميت لا يحنث وعليه فتوى العلماء وهو المرجح لدى المحققين - فقام حشوية بغداد وقعدوا ، وأنكروا عليه هذا العزو وأثاروا أفراد جهلة العوام ، والمرجفين في مدينة السلام ، وكادت تقع فتنة تسوّد وجه التاريخ . ولكنه بدهائه وحلمه سكن نائرتهم . فجمع فى اليوم الثاني كل ما لديه من كتب فقهاء المذاهب الاربعة وارتقى كرسيّ الوعظ - وقد احتشدت الجموع - فأعاد البحث وصدع بالبيان ثم أخذ يتناول كتابا كتاباً فيتلو نصوص العلماء ثم يرمي بها الى المستمعين ويصرخ : هؤلاء هم علماؤكم فان كنتم في ريب منهم فدونكموهم وناقشوهم الحساب ! حتى اذا ما فرغ نهض واخترق الجموع الثائرة غير وجل ولا هيّاب فأقبلوا عليه يقبلون يديه ويعتذرون اليه من قيامهم بتحريك المرجفين من فريق المقلدة والجامدين . هكذا حدثنا من حضر الواقعة .

ثم ألف رسالة لطيفة جمع فيها ما دبره الفقهاء فى هذا الباب وأسماها (الآيات

البينات في عدم سماع الأموات) .

وكان منذ صباه شغوفاً بالمطالعة وميالاً الى جمع الكتب النادرة فوفق لتأليف « مكتبة » حافلة تعدّ اليوم من أغنى خزائن كتب بغداد وأحفلها بالمخطوطات النادرة ، ثم وَقفها على مدرسته ، وعين لها محافظاً يتعهدها رجاء المنفعة بها أبد الدهر ، وحباً بالذكر الجميل وهو تحت رجام القبر !

وهكذا أمضى عمره : أمضاه بالدرس والتدريس . بالوعظ والارشاد . بالتأليف والنشر . بمجاهدة الباطل وفرق الابتداع . بجمع الكتب ووقفها فى سبيل العلم . . .

نعم هكذا أمضاه ، صابراً ومحتسباً أجره على الله . حتى أتاه اليقين صبيحة يوم الأربعاء السابع من المحرم سنة ١٣١٧ ﻫ ودفن فى مدرسته بجانب مرقد مرجان تحت القبة مقابل الباب . فرزئ الاصلاح برجله الفذّ فى العراق وفقد العلم ركن نهضته العظيم . وكان نبأ وفاته شديد الوطأة على عارفي فضله ونبله . رحمه الله

﴿ صفاته وشمائله ﴾

قدر الله أن يموت السيد نعمان قبل أن أحظى أنا بزيارة هذه الدار بنحو ثلاث سنوات (١) ونصف سنة ولا أراه فأتشرف بوصفه لمن يتوق الى معرفة صفاته ! لذلك : لا تأمل أيها المطالع في كتابي أن ازوّدك منها بشيء طائل غير ما تنسمته من سطور مؤلفاته ، ومحادثة أصدقائه ومريديه عنه .

طالعت كتبه ـ وأكثرها في الجدل ـ فرأيت منه عالماً ضليعاً ، وأديباً جليلاً ، نزيهَ القلم ، أديب النفس ، معتصماً بحبوة الجد متنزهاً عن العبث ،منصفاً وعدلاً فى الحكم ، واسع الحلم ، شديد التحري للحق ـ كما أخذت منها : أن

(١) نسجل بهذه المناسبة تاريخ ولادتنا هنا . وقد كانت في أوائل جمادى الآخرة سنة عشرين وثلثمائة وألف من الهجرة .

عقله كان أكبر من علمه ، وعلمه أبلغ من إنشائه ، وانشاءه أمتن من نظمه .

وحُدِّثْتُ : أنه كان جواداً معطاءً يجود بنفسه لسائله ، وفياً زكياً ، تقياً نقياً ، ورعاً زاهداً ، يأخذ ما صفا ويدع ما كدر ، حفياً بالأهل وذوي القربى والاصحاب ، منشطاً لأهل العلم ، مستقيما في العمل ، حلو المفاكهة ، لطيف المحاضرة ، بشوش الوجه . . .

وقد رأيت كلمة فيه للأديب أبي النصر يحيى السلاوي في مجلته «الحقائق» ننقلها هنا . . . قال :

« وقد حظيت بصحبة الاستاذ المشار اليه منذ لقيته بدمشق الشام سنة ثلثمائة وألف أيام قدومه من العراق قاصداً دار الخلافة المحمية ، ثم بالاستانة العلية في السنة التى بعدها فرأيت منه ذاتاً شريفة وخلقاً سمحاً ، وعلماً وعملا حبب الي التردد عليه ، والانتساب اليه ، فجعلت أراقب الفرصة التى تجعل لي حظاً في الاستفادة مما لديه ، حتى حضرت بين يديه في خلال أوقات متفرقة شيئاً من «حاشية رد المحتار على الدر المختار » لمؤلفها ابن عابدين . وكان بودي أن أتلقى عنه كثيراً من الفنون والعلوم ، لولا ما شغلت به من عوارض الغربة والهموم ، ولكن سماحة نفسه الكريمة وأخلاقه المشهورة أخلفتنى خيراً مما فرط منى لعدم مساعدة الوقت فكان يتنزل لتشريفي ، ويتعهدنى في الزيارة في منزلي مرة بعد أخرى ، ويملي علي من معقوله ومنقوله ما أنا له ـ بحمد الله ـ شاكر . . . الخ »

أما صفته فقد قالوا : كان رَبعةً نحيفاً أبيض اللون يميل الى الصفرة ، وفي أواخر أيامه ثقل سمعه . ولم يزيدوا . . . و (رسمه) هذا لا يمثله تمثيلا صحيحاً لانه صوِّر على حين غفلة منه بعيد نقاهته من مرض نزل به ، وهو في سفينة بخارية تمخر به عباب (دجلة) الى (البصرة) للنزهة ، وقضاء دور النقاهة

﴿ مؤلفاته ﴾

١ — جلاء العينين في محاكمة الاحمدين : أحمد بن تيمية الإمام المجدد العظيم وأحمد بن حجر الهيتمي أحد متفقهة الشافعية الجامدين . خلق من الجماد – والجماد لا يخلو من الجمود ! – فسمي ابن حجر فطابق الاسم المسمى . وكان هذا شديد الطعن في أئمة الاصلاح ولا سيما في رافع لوائهم الامام ابن تيمية فقد ملأ كتبه من عبارات الازدراء به والطعن فيه ولا سيما خاتمة « فتاواه الحديثية » فانه شنع فيها عليه تشنيعاً وعزا اليه كل مثلبة وعقيدة فاسدة وآراء كاسدة مما هو خلاف ما صرح به الامام فى مؤلفاته الكثيرة . ثم جاء قوم لا يميزون القشر من اللباب ، ولا الخطأ من الصواب ، فحملهم الجهل بمرويات العلماء على الاخذ بأقواله دون غيره وتمسكوا بها تمسكا جرهم الى تكفير كل من حدث بخلاف ما يحدث به ابن حجر !

فلما رأى السيد رحمه الله تفشى تفسيره السىء في طلاب العلم البعيدين عن الوقوف على تفاصيل الادلة من الكتاب والسنة – لم يجد بدأ من تبيان الحق من الضلال وفاءً بالميثاق الذي أخذه الله على العلماء ، فأعمل يراعته العسالة في تأليف هذا الكتاب الجليل فجاء كتابا جامعاً مانعا يثبت فؤاد المنصف ويجلي عن العين غشاوة الباطل : التزم فيه جانب الادب والانصاف ، وتجرد عن نزعات التشيع والحب . فحرر المسائل بأدلتها ، وضم الاشباه الى نظائرها ، وتحرى العدل ، وجانب الجور ، حتى كشف عن وجه الحقيقة الحجاب ، وميز الخطأ من الصواب ، وهنالك عُرف من هو مرتاب ! وقد طبع الكتاب (بالمطبعة المصرية ببولاق) سنة ١٢٩٨ بأمر ملك بهوبال العالم المجدد الشهير السيد حسن صديق

خان عليه الرحمة . فجدير بكل مسلم أصيب بداء التقليد أن يدرس ما بين دفَّتيْ هذا السفر الجليل من المباحث الاصلاحية ويتدبره جيداً ، ليصفو جوهر عقله من عرض التقليد الاعمى ويطهر من أوضار الحشويين !

٢ — الجواب الفسيح ، لما لفقه عبد المسيح : سفر عظيم في مجلدين كبيرين رد به الرسالة المنسوبة لعبد المسيح بن اسحاق الكندي ** التى أجاب بها في زمن المأمون رسالة عبد الله بن اسماعيل الهاشمي * حينما دعاه فيها الى الاسلام . وكلاهما فيما يظهر مزور ، أريد به ترويج الباطل على ضعاف البصر ، وقصار النظر . وقد طبعت الرسالتان في ليدن سنة ١٨٨٠ م . ثم في غيرها من بلاد العرب ، والرد في المطبعة الاسلامية بلاهور قاعدة پنجاب من ممالك الهند ، وقد فرغ من تأليفه غرة جمادى الاولى سنة ١٣٠٦

٣ — غالية المواعظ : طبع في مصر مرتين ، في جزءين . وهو عمدة الواعظين اليوم . وقد قدمنا أنه من مؤلفاته التي كتبها قبل أن يتحرر من أغلال التقليد ويتطهر من أوضار الحشو

٤ — الاجوبة العقلية ، لأشرفية الشريعة المحمدية : كراسة أجاب فيها عن سؤال وجهه محرر ** في جريدة الحبل المتين الفارسية التى تصدر في كلكتة بالهند الى علماء الاسلام طالباً إثبات دعوى أن النبي خاتم الانبياء ، وان شريعته نسخت سائر الشرائع و و . . . . الخ . طبعت في مطبعة كلزار حسنى ببمبي سنة ١٣١٤ هـ

٥ — صادق الفجرين ، في جواب البحرين : كتاب حول علي ومعاوية رضي الله عنهما ، في نحو (٧٠ صفحة) بالقطع الكبير ولم يطبع . ومنه نسخة فى خزانتنا (الخزانة الأثرية) وفي خزانة المترجم (الخزانة النعمانية) في مرجان

٦ — شقائق النعمان ، في رد شقاشق ابن سليمان : كتاب جليل ألفه فى صباه رداً على بعض معاصريه ممن أسرف فى اللغو . منه نسخـة في (الخزانة النعمانية) بخط المؤلف وهى في نحو ١٠٠ صفحة

٧ — الاجوبة النعمانية ، عن الاسئلة الهندية : كتاب في مسألة الاستواء وخاتمية النبوة المحمدية ، في نحو ٢٢ صفحـة بالقطع الكبير . بخط المؤلف في النعمانية

٨ — الإصابة ، فى منع النساء من الـكتابة : جواب سؤال ورد من الهند تكلم فيه حسبما ظهر له وارتأى ونحن لا نوافقه فيما ذهب اليه ولدينا من الأدلة الشرعية والعقلية ما فيه مقنع إن شاء الله تعالى !

٩ — الحباء ، فى الايصاء : طبعه ابنه الاستاذ السيد علي عـلاء الدين فى الاستانة

١٠ — سلس الغانيات ، فى ذوات الطرفين من الـكلمات . كتاب لغوى فى الاسماء التى تقرأ من أولهـا وآخرها طرداً وعكسا مثل قلق وسـدس وخوخ وليل . طبع فى المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٣١٩ هـ وعليه تعاليق لطيفة لولده شيخنا السيد علاء الدين

١١ — مختصر ترجمة الامام أحمد بن حنبل لابن الجوزى

١٢ — الطارف والتالد ، في إكمال حاشية الوالد : على شرح القطر للامام ابن هشام النحوي الشهير طبعت فى القدس سنة ١٣٢٠ هـ .

١٣ — حور عيون الحور : مجموعـة من نظمه ونثره ، ذكرها شيخنا ولم أعثر عليها فى خزانة كتبه

***

ونشر في القسطنطينيـة سنة ١٣٠٢ هـ « كتاب الفاظ الاشباه والنظائر » المنسوب لعبد الرحمن الانباري والصواب أنه لعبد الرحمن بن عيسى الـكاتب الهمذاني واسمه « كتاب الالفاظ الـكتابية » بدليل الطبعة القسطنطينية نفسها في عنوان المقدمة (ص ٤) وبدليل ذكر (صبح الاعشى) ذلك في الجزء الاول (ص ١٦٢) وقد طُبعَ في بيروت أيضاً سنه ١٨٨٥ م منسوبا الى الهمذاني باسم « الالفاظ الـكتابية »

أولاده :

١ ــ السيد ثابت

١٢٧٥ - ١٣٢٩

هو أكبر أنجال السيد نعمان سناً . ولد فجر ليلة الأحد لست عشرة ليلة خلت من ذي الحجة عام ١٢٧٥ هـ . ونشأ على حب الفضيـلة فرضع لبان العلم والأدب من أبيه وتلقى شيئاً من العلم عن غيره أيضاً . ثم عكف على مطالعة كتب الأدب والتاريخ والسير ، وكان جيد الحفظ ، فحفظ الشيء الـكثير من عيون الشعر في الحـكم والمواعظ والآداب والحماسة وغيرها

وابتلى وهو في شرخ الشباب بغائلة « العائلة » فاضطر الى ارتياد مسالك المعيشة فلم يجدها الافي جانب الحـكومة ، وساح في كثير من الامصار ، وشخص الى الاستانة أربع مرات ، والى الحجاز مرة فأدى فريضة الحج المقدسة . وتقلد القضاء في أنحاء العراق كالنجف وكربلاء والسليمانية ، ثم في الاحساء (مدينة

بالبحرين معروفة مشهورة) ، فأحبـه أهل كل بلدة تقلد قضاءها وحكم فيها لما كان عليه من الورع والعفاف ، والعدل والانصاف . وبعد عودته من الأحساء ارتأى أن يجتنب التوظف ويشتغل فى الزرع والضرع لما فيه من البُلَهْنية والحرية المطلقة وسعة الرزق غالباً فاشتغل به سنين عديدة فخاب مأمله ولم ينجح ، حتى اذا ما صفرت يداه وخوى وفاضه وبدا انفاضه ، اضطر الى طرق أبواب الحكومة فانتخب رئيساً لبلدية بغداد فتقلدها نحو سنتين وكان قوي الشكيمة لا يحابي ولا يداجي ولا يرجى أحداً في أمر مالم ير الحق بجانبه. فلما لم ينزل على إرادة امراء ذلك العصر ـ عصر الجور والاعتساف ـ انتُخب غير واحد للرئاسة وعزل منها

ولم تمض مدة يسيرة حتى سعى فيه بعض المنافقين من فريق الجمود والتقليد الاعمى الى الوالي ـ وهو يومئذ عبد الوهاب باشا وكان من أعداء أهل الاصلاح أمثال أبناء الاسرة الالوسية النبلاء ـ فكتب الى عبد الحميد بما أوجب إصدار أمره بتبعيده عن بغداد فلما وصل هو ومن معه الموصل أكبر ذلك رؤساؤها فكتبوا الى عبد الحميد يبرئونه ويرغبون اليه في نَفْي النفي عن الثابت فجاء الامر بارجاعه فعاد وهو قرير العين جذلان . وكانت مدة الذهاب والاياب نحو شهرين

ثم عاد الى تعاطي الزراعة فلم ينجح أيضاً فاضطر الى النزوح عن بغداد فسافر الى الاستانة بعيد الانقلاب العثماني فقلد قضاء لواء السليمانية فابتهج به أهلها ابتهاجاً عظيما لما يسمعون عن سيرته المرضية وأفعاله المحمودة فبقي فيها ما ينيف على السنتين حتى أتاه الموت بغتةً ليلة الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ١٣٢٩ هـ تاركا خلفه تسعة أولاد [١] تندبه وتبكيه ودفن رحمه الله هناك

(١) — وهم : السيد جلال الدين (محام) . السيد حسن (كان ضابطا في الجيش العثماني) . السيد ابراهيم (مدرس مرجان بعد خاله الامام) . السيد عيسى (كان ضابطا) السيد يحيى (كان ضابطا في الجيش العثماني والآن يشتغل في الزرع والحرث) . السيد عطاء

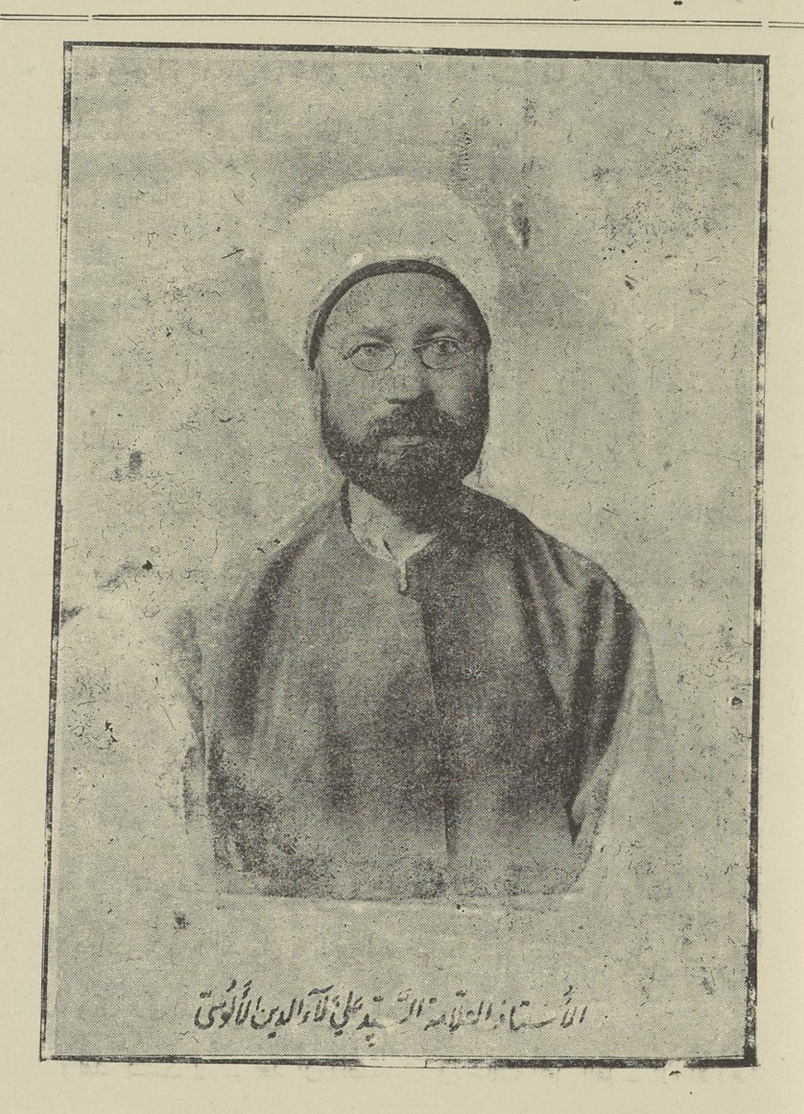
ومشت في تشييع جنازته البلدة كلها

كان رحمه الله تعالى فاضلا وقوراً متواضعاً حسن السجايا ، جميل المزايا . يود الضيف ويكرم الجار ، نزيهاً من الفحشاء ، بعيداً عن النميمة والرياء ، أبيّ النفس عزيز الجانب . وكان ابن عمه شيخنا الإمام من أعظم الناس إعجاباً بأخلاقه وآدابه ولطالما ذكره وتنفس الصعداء عليه

وكان يميل الى البداوة ويطربه حديثها ، ويحب الخيل ويقتني منها العراب ويتتبع ما ألف فيها المتقدمون من الكتب الجليلة فيطالعها ويتدبرها جيداً فلذلك كان يميز ممدوحها من مذمومها . ويحسن معرفة صفاتها وشياتها وعيوبها وما يستحب من خلقها وخلقها . . .



الله (توفي). السيد موسى (طالب في الحقوق وموظف في الاوقاف). السيد سيف الدين (مهندس) . السيد عبد الرزاق (تلميذ) .



٢ ـ السيد على علاء الدين

١٢٧٧ - ١٣٤٠ هـ

محتِدٌ شريف ، ورأي حصيف ، وأدب ونبل ، وكرم وفضل ، وعلم غزير ، وعقل كبير ، ونظر ثاقب ، ورأى صائب ، وحلم ووقار ، وكرامة نجار ، ودماثة

أخلاق ، وحواش رقاق - خلال ندر من اجتمعت فيه من الناس . ولقد رأيت استاذنا العلاء من أجمع الناس لها ، وأعظمهم اتصافا بها . يضم اليها جرأة أدبية ونزاهة « وجدان » وصراحة ضمير وصدعا بالحق . فهو - ولا ابالغ - من النوابغ الذين يندر أن تجود بنظرأيهم الأيام

وقد امتاز على علماء قطره أو عصره بأكثر هذه الخلال الحسنة وبخلال أخرى أيضاً ، منها جمعه بين العلم والأدب والسياسة . وقلَّ من اتصف من علماء الدين بذلك - فقد كان متوغلا في السياسة توغله في العلم والأدب ، وله فيها مواقف محمودة تشهد له بطول الباع وبعد النظر . ومنها خروجه على العادات المألوفة وخلعه من عنقه ربقة التقاليد المتغلغلة في نفوس القوم ، واجتهاده فيما يعرض له من الاحكام الدينية والاختلافات المذهبية ، وتمسكه بما يماشي العقل جنباً لجنب وبما يعاضده البرهان القاطع والحجة النيرة . لذلك كان الجامدون من فريق المقلدة يشنعون عليه وينبزونه « بالوهابية » !...

ثم له ميزة اخرى هي غاية في الحسن . وهي : حيَدانه عن « الجادة » المعهودة في التدريس عند المشايخ ، ونبذه كتب الأعاجم ذوات « الحواشي » و « الاذناب » و « الذيول » ! ووراءه ظهرياً . ثم انفراده بين القوم في حسن الالقاء وتقريب المسائل من الافهام بأسلوب غريب

ولقد كُتب لي - بعد أن انضممتُ في سلك أهل العلم - أن ألازم الرجل وآخذ عنه زهاء ستة أشهر، فاستفدت في هذه المدة من علمه الغزير وتقريره البديع وتشجيعه العجيب ما لا أكاد أستفيده من غيره في سنين

فتلك لعمري الخلال عبقرية نادرة جداً في مثل جيله وبيئته ، يستحق عليها علاء الدين ، أن يُعَدّ في فريق المصلحين . وهو وإنْ لم يتح له أن ينشر مبادئه الشريفة التى ورثها من أبيه المصلح فقد ظهر أثرها في فريق من تلاميذه واضحاً

جليًا فازهرت بهم أندية العلم في بغداد . ويرجى من بعضهم أن يهيب بالقوم الى تلك المبادي، السامية إن شاء الله

﴿ ترجمته ﴾

ولد (في شعبان سنة ١٢٧٧هـ) فى حجر أبيه وورث منه حب العلم والأدب ونشأ كما ينشأ ربيب العز والمجد ، ثم تلقى المبادىء التعليمية من أبيه وابن عمه شيخنا الامام السيد محمود شكري الالوسي وغيرهما من فضلاء بغداد وجد في طريقه حتى قطعه وبرز على أترابه ، وشأى جميع أصحابه . وقد فطر منذ نعومة أظفاره على الأدب فعكف عليه حتى ملأ منه الوطاب ، وقال الشعر قبل أن يبلغ الحلم وأجاده ، ولما انقضى زمن شبيبته أقل منه بل انصرف في الغالب عن نظمه وكان لا يقوله الا لخاطرة تمر بفكره ، أو معنى بديع يجيش بصدره . فينظمه في سلك متين لا يعروه وهن او ضعف

وقد حج في صباه مع والده وسافر الى الاستانة مراراً منها مرة مع أبيه وتعلم فيها اللغة التركية والفارسية وأتقن الاولى حتى نظم فيها . وانتظم في سلك طلاب (مدرسة النواب « القضاة ») ونال منها الشهادة . ثم قضى في فلسطين و بعلبك وبلاد العراق : العمارة والديوانية وبغداد وغيرها

وفي سنة ١٢٩٩ هـ أوفده والده على الامام المجدد الشهير النواب السيد حسن صديق خان ملك بهوبال صاحب الايادي الجليلة والمآثر النبيلة - في مصلحة طبع كتبه وكتب أبيه أبي الثناء فبقي في ضيافته نحو سبعة عشر يوماً لاقى منه فيها ضروب الحفاوة والتكريم ؛ وأبت عليه نفسه أن يضيع هذه الفرصة سدى فقرأ عليه وعلى شيخه المحدث الكبير الشيخ حسين بن محسن اليمنى الانصاري ماتيسر له . وأجازه كل منهما إجازة عامة

ولما توفي أبوه سنة ١٣١٧ هـ قام مقامه وولي تدريس مدرسة مرجان في الرصافة والشيخ صندل في الكرخ فتخرج به كثيرون

ولما كان الدستور والتأم المجلس النيابي في الاستانة انتخبه الشعب العراقي نائباً عنه فكان له قدم صدق في المطالبة بحقوق البلاد والذود عنها بكل ما أوتي من طول وحول ووجد من مجالٍ لتأثير الكلام (١). وبقي - بعد أن انفضّ

(١) وله رحمه الله تعالى خطبة بليغة يتجلى في كل كلمة من كلماتها الاخلاص للأمة والوطن - كان قد ألقاها بعيد انتخابه في نادي الاتحاد ببغداد . في جمع غاص بالامراء والعلماء والاعيان. واليكها بحروفها . قال : —

« أيها السادة الكرام ! انا معاشر (المبعوثين) من هذا القطر المبارك مهما أطلقنا ألسنة الشكر تجاه ما منحنا به العموم من حسن الظن الذي كسانا حال الأهلية في القيام بالنيابة العمومية ، وأدنانا من مركز محافظة حقوق الجامعة العثمانية فانا لانستطيع بلوغ الواجب وأنى لنا ؟ على أننا والثقة بعون الله تعالى وتوفيقه في عزم أكيد على محافظة حقوق القطر العراقي خاصة والممالك العثمانيـة عامة وبذل الجهد فيما يعود على صلاح هذا الوطن العزيز الذى استحكمت فيه الرابطة بين جميع أصناف الرعية كائنا من كان ، فانهم على اختلاف مذاهبهم وأديانهم ، وتشعب فرقهم وآرائهم ، يرمون الى غاية واحدة هي سلامة الوطن باستخلاصه من حضيض التلف الى أوج السعادة والشرف . وقد كانت الحال قبل هذه النهضة الاتحادية والعزمة الوطنيـة - كما نعلم ويعلم كل حكيم سياسي واقف على أمراض الدول وعللها داخليها وخارجيها - بحيث يكاد ينقطع حبل الرجاء وتنفصم عرى الامل لما يرى من اشراف ذلك الوطن على الموت بأفجع ما يكون ، وأهله معقولة ألسنتهم مقرحة أكبادهم تأخذهم تحت سلطة الاستبداد سكرة بعد أخرى ، وتنوء بهم أثقال التكاليف الشاقة في مهالك الاستعباد فلا يطيقون نهوضا ولا يستطيعون صبرا ، وصاروا مابين قاض نحبه ، أو منتظر حتفه ، أو مقبور في سجنه ، أو حاضر في رقاده ، أو غائب من أهله وبيته ، حتى اذا استيأس الناس من الحياة وبلغ الكتاب أجله قيض الله سبحانه جم الاصلاح من الاحرار الذين خلدوا لهم بعملهم المبرور وسعيهم المشكور جميل الذكر في أسفار الاخبار على ممر الدهور والاعصار فنهضوا للقيام بحفظ حياة الملة وضحوا بنفوسهم الابية في تلافي امر الدولة وانقاذها من أعظم علة على شرط سلامة الجامعة من الاختلال والتحرز مما يؤدي والعياذ بالله تعالى الى الزوال والاضمحلال ، فبعثوا الامة من مرقدها الى مافيه عود عزها ودوام سعدها وأطلقوا الالسنة بعد اعتقالها وحركوا العزائم غب كلالها . وكان من اجابة الملك المعظم وفقه الله لهذا الامر المشروع ماغفر ذنب الدهر وخلد جميل الثناء والذكر بحيث تطلق الحقوق وتسأل العدالة وتحفظ الحرية والمساواة بين جميع أصناف التبعة . وها ان ذا الجمع المحمود في هذا النادي العثماني المسعود أثر من آثارها وثمرة من أثمارها وزهرة من أزهارها : —

المجلس - مدة غير يسيرة في الاستانة . ثم آب الى مسقط رأسه

وفي أوائل الحرب العظمى انتدبته الحكومة للذهاب مع ابن عمه الإمام الى عظمة سلطان نجد عبد العزيز السعود في أمر سياسي خطير فذهب عن طريق سورية فالحجاز واجتمع به فاحتفى السلطان به احتفاءه بابن عمه ثم رجع عوده على بدئه ولم يؤثر بدهائه وسياسته عليه ، وتفقد في طريقه خزائن الكتب العربية واجتمع بعلماء هاتيك الديار وأدبائها فاعجبوا بفضله وأدبه وكان موضع تجلتهم واحترامهم . .

عاد الى بغداد وعاد الى سيرته الاولى يهذب ويدرس ويعمل على نشر العلم بين أفراد الأمة وطبقاتها بصدق وإخلاص حتى احتلال الانكليز بغداد سنة ١٣٣٥ ﻫ فدعي الى القضاء فزهد فيه فأصروا عليه الا القبول فلما لم يجد بداً منهم تقلده على كره منه وقام به حق القيام فكان عون الضعيف وملجأ الصريخ ونصير الحق لا يحيد عنه قِيدَ شعرة ولا تأخذه فيه لومة لائم وان سلت عليه

أيّ ناد هذا وأي اتحاد ... فيه قد أزهرت غصون الوداد
نظمت سلكه بأيدي التصافي ... فتية همها صلاح البلاد
مرحبا بالوفاق قد حل بالقو ... م حلول الارواح بالاجساد
فرأينا ما سر كل موال ... وشهدنا ما ساء كل معادي
فلتدر فيهم كؤوس التهاني ... مترعات بسلسل الاتحاد

والشكر كل الشكر لسادة جمعوا فيه شملنا وأكرموا بمكارم أخلاقهم وطيب أعراقهم نزلنا لعلمهم بما تكنه صدورنا من صميم المودة لهم ولمن يرمى الى غاياتهم من جموع الاصلاح . . . هذا ونعود فنقول ان علينا التوصل بكل وسيلة الى مايعود لسعادة الخطة العراقية التي لها من عظيم الاهمية فوق ما يعامه أهلها ونجهد كل الجهد في حصول الاسباب الكافلة بترقي زراعتها وتجارتها وأمنيتها وانتظام ادارتها من اعمارها وتسهيل طرقها والوسائط النقلية في أنهارها وداخلها وخارجها ونرفع بذلك ان شاء الله أصواتنا محافظين على حقوقنا متفقين في كلمتنا واقفين نفوسنا في حفظ حقوق من بعثنا منتظرين من ذوي المعرفة بخفايا الداء والدواء مساعدتنا والله سبحانه يوفقنا وجميع نواب الامة لما فيه كشف الغمة وتمام النعمة » اﻫ

القواضب المرهفات [١] وكان « أقوى الناس عنده الضعيف حتى يأخذ الحق له وأضعفهم عنده القوى حتى يأخذ الحق منه » . وكان يستعمل العدل ويباعد عنه الظلم والجور . واتفقت له في أيامه أمور تجلى فيها ورعه وزهده وعفته بأجلى مظاهرها . وهكذا فليكن الحكام ، وعلى هذا المنهج القويم ، والطريق المستقيم ، فلينهج قضاة الاسلام ! فسلام على تلك الخلائق ألف سلام ، ورحمة الله تنهل عليه وهو تحت أطباق الرجام !

ويا ما أصدق قوله وأحكمه حينما أصرت عليه الحكومة بقبول القضاء : قضاء بغداد ، وهو :—

إن القضاء هو البلاء فلا تكن متعرضاً فتصاب من سوء القضا
واذا ابتليت به على كره فخذ نهج العدالة انها سبب الرضا
والله عون الحق ينصر أهله ويذل من هضم الحقوق وأعرضا

وبقي في هذا المنصب يجلله الوقار ويكتنفه الجلال وقد صلحت به العباد وانحسم الفساد الى أن أصابه الفالج ليلة عيد الفطر سنة ١٣٣٨ هـ فعزم على الانفصال منه ليستريح من أعبائه فلم يسمح له وأصر عليه بالبقاء لصلاح الاحوال به ثم لما اشتدت عليه وطأة الفالج وعسرت عليه مباشرة الأمور سمح له باقامة وكيل عنه على أن لا يبت الوكيل في أمر حتى يشاوره ويأخذ منه القول الفصل . ولم يزل الداء به حتى اخترمته المنية ليلة السبت ثامن جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ هـ فجل خطبه ، وعظم مصابه ، وعم الحزن جميع عارفى فضله فى الاقطار والامصار واحتفل بتشييع جنازته احتفالا مهيباً مشى فيه العلماء والحكام والاعيان وممثل

(١) وان أنس لا أنس ماكتبه الى ناظر الاوقاف لما دعاه الى الاشتراك بمسألة الاستملاك فاجابه « ان الشرع الشريف يحظر ذلك فلذلك لا يسعنى القيام بما طلبت لا بالذات ولا بارسال وكيل عني » وأنى لقضاة اليوم هذا الورع وهذه النزاهة ؟ وا أسفاه !

الملك وممثل للمندوب . ودفن في مدرسة مرجان حيث كان يلقي دروسه على تلاميذه الكثيرين في جوار قبر أبيه تحت القبة مقابل الباب . رحمة الله عليه .

وقد نعته الجرائد وأبّنته ، كما بكته الشعراء والادباء ورثته ، وكنت رثيته بمرثاة مشجية انتهبتها مني أيدي الضياع . وهو لعمرى جدير بكل رثاء واطراء وثناء :

وماذا يقول المادحون بوصفه   وأوصافه جلت عن العد والحصر

﴿ تآليفه ﴾

لم يجد شيخنا رحمه الله في وقته متسعاً يؤلف فيه ويكتب الا سوانح نزرة جداً جاد بها الدهر عليه فكتب فيها وشعر ولم يدعها تذهب سدى ؛ ولو تخلى عن المناصب وترك السياسة جانباً لخلد آثاراً رائعة ينتفع بها روّاد الآداب جيلا فجيلا . ومن مؤلفاته : كتاب الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر : ترجم فيه لأفراد من فضلاء العراق ولم يوفق لاتمامه . و (نظم الآجرومية) في النحو : طبعت في بيروت سنة ١٣١٨ ، وله عدة مجاميع نفيسة تحتوي على نوادر وأخبار وفوائد وعلى طائفة كبيرة من شعره وعلى تراجم لكثير من الأعيان - الظاهر أنها من مواد كتابه الدر المنتثر ، وله تعاليق على بعض كتب أبيه وعمه السيد عبد الباقي ، ونشر كتاب التوحيد لجعفر الصادق . وغاية السول في سيرة الرسول لعبد الباسط الحنفى . ونقد مقامات الحريري لابن الخشاب وانتصار ابن برّي للحريري . والحباء في الايصاء لابيه

ونسخ بيده كتباً كثيرة . ووقف كتبه قبيل وفاته وأضافها الى خزانة أبيه (الخزانة النعمانية) في مدرسة مرجان . وفيها نوادر منها كتاب الخصائص لابن جنّي كاملا ، وغيره مما يعز وجوده

﴿ أمثلة من شعره ﴾

قال في برج بيروت :

إن في قبة السماء بروجاً ليس فيها سوى هلال يدور
وببيروت لم يكن غير برج كل يوم تدور فيه بدور

وقال :

وافى كتابك فانجلى بوروده ليلُ الهموم وزال عن قلبي العنا
هو دوحة فيها السطور تسلسلت وروت حديث الود عنك معنعنا

وقال :

أحنّ الى أرض السماوة كلما تذكر مشتاق وهبّ نسيم
فوالله ما شوقي اليها لطيبها ولكن بها شخص عليّ كريم

وهو في معنى قول الشاعر :

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وقال يصف الحاكي (الفنوغراف) : —

أنا هذا الذي سمعتم خطابي ورأيتم شكلي وحسن اكتسابي
أنا أعجوبة الزمان لأني صامت ناطق بما في كتابي
احكمتني يد الحذاقة حتى حار في صنعتي أولو الألباب
ليَ أذن تعى الخطاب وأخرى تحسن القول في ضروب الخطاب
إنني (الفنوغراف) هذا لساني لم يكن ناطقاً بغير الصواب
أنا مرآة كل لفظ وصوت غير أني بالسمع يدرك مابي
وأعيد الأصوات حرفاً بحرف فكأني الصدى برد الجواب
وكأني في لهجتي ترجمانٌ وجميع اللغات ضمن إهابي
اودعوني بطابع الصوت ، يبدو فيّ تصويره بغير نقاب

فهو في حالتيه طرداً وعكساً ينقضي ثابتاً مدى الاحقاب
فقليل عندي إذا لقبوني بيّغاء الإعجاب والإغراب
وعجيب ولم تكن فيّ روح كيف أملي رسائل الأحباب
وأجوب البلاد شرقاً وغرباً أشرح القول حيث حطت ركابي
مرّ حين من الزمان وشخصي يتوارى عن الورى في حجاب
فأراد الاله إظهار شأني في زمان موفّر الأسباب
إنّ لله فيّ سراً يراهُ كل مستيقن بيوم الحساب
حيث إن الجلود تنطق فيه شاهدات كما أتى في الكتاب
تلك ياقوم عبرة لأولي الألـ ـباب تجلو غياهب الارتياب
فانظروا قدرة العليم الذي قد أبدع الخلق كلهم من تراب

وله يتذكر بعض أحبابه :

يَهيجُ صوت الاغانى لوعة كمنت في القلب من فرقة الأحباب اذ بانوا
ولست أصغى الى العيدان من طرب وإنما هي للأشجان أعوانُ

وله في السمر والبيض :

لامنى في السمر قوم مادروا أن حسن السمر مشهود الدوام
فعلى السمر تحياتي وإن لام قومى ، وعلى البيض السلام

وأيضاً

قالوا : جعلناك فيما بيننا حكما في السمر والبيض، قلت: اصغوا لتعريضي
كلا الفريقين عندى حبهم حسنٌ لكن في السمر معنى ليس في البيض

وقال في تفضيل القلم على اللسان :

من قال في فضل اللسان فانني أبداً أرى التفضيل للاقلام
أو ما تراها كلما حركتها سكن اللسان ولم يفه بكلام ؟

ومن أبياته السائرة :

لعمرك إن الناس ساءت فعالهم وقد طلقوا المجد الاثيل ثلاثا
تراهم رجالاً ان نظرت جسومهم وتلقاهُمُ عند الفعال اناثا

وله :

الامر أمرك فاحكم ما شئت في حكم الغرام
ان فزت منك بنظرة فعلى بني الدنيا السلام

وله في اللف والنشر :

بروحي أفدي من بليت بحبه ويا حبذا البلوى إذا جاد بالوصل
فأحيا بشرب عند ورد ونرجس من الثغر والوجنات والاعين النُجْل

وله معمى في (موسى) :

عنفنى العاذل في حب من قوامه العدل كغصن رطيب
وما درى أني بسوق الهوى (أسوم) بالقلب وصال الحبيب

وله أيضاً في (ابراهيم) :

أفدى الذي لم يزل بالود يمنحنى حتى تملك من قلبي سويداه
(أبرّ) في الحب أقسامى وصيرني (أهيم) في وصله شوقا وأهواه

وله :

بي أسمر ترهب الالباب صولته اذا سطا بسيوف اللحظ أوصالا
لا أنثنى عن هوى السمر الملاح على ما بي، ولو قطعتنى البيض أوصالا

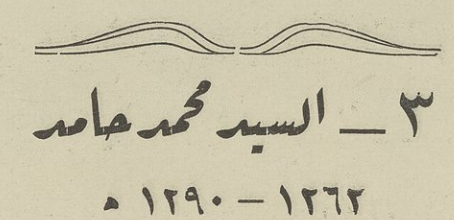
وله :

إنما الاسم والحقيقة شيئا ن ويا حسن أن يكون المسمى
فاسعَ إن كنت كاملا أن يقولوا عنك : حاز الجمال معنى وإسما (١)

(١) لا بأس بقطع همزة الوصل في الشعر

وله :

اذا رمت توفيقاً الى العلم فاجتهد　　لتحصيله فالله كافٍ وكافل
وجاهد اذا قال الورى عنك ناقص　　لكيما يقولوا فيك إنك كامل



٣ ــ السيد محمد حامد

١٢٦٢ – ١٢٩٠ هـ

ولد يوم الاربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٢٦٢ هـ . ونشأ ميالا الى الادب والفضيلة فتلقى مباديء اللغة العربية والفقه عن اخوانه النبلاء ، وغيرهم من علماء الزوراء

وكان منذ طفولته حاد الذهن فَطِناً لبيباً سريع الانتقال : فشرح ـ وهو دون العشرين ـ أربعين حديثاً من صحاح الاحاديث النبوية . . . ثم قضت الاحوال عليه بالتحول من خدمة العلم الى الانتظام في سلك الحكومة . فرحل الى القسطنطينية ، ودخل بعض المدارس السلطانية ، فتعلم اللغة التركية وتمكن فيها ومهر ، حتى ألف ونثر . . ثم تزوج وتقلد بعض المناصب فلفت بدهائه أنظار رجال الدولة اليه وامتلك قلوبهم فرُقي وأُرسل بمهمة جليلة الى (طرابلس الغرب) فقضاها كما كانوا يشاؤن ويحبون . فعظمت الثقة به والاعتماد عليه فوجه الى (عسير) ـ وقد كانت هائجة مائجة ـ لتسخيرها واطفاء ضرامها ، فتعلقت به هناك أدواء نهكت جسمه ، وأوهنت عظمه . فعاد الى القسطنطينية ولم تنفك عنه حتى أنشبت فيه المنية أظفارها فقضى مأسوفاً على شبابه الناضر ، واقتداره الباهر . وذلك عام ١٢٩٠ هـ . ودفن هناك وقد أعقب ابنتين . ورثاه شعراء بغداد . رحمه الله تعالى رحمة واسعة



السيد أحمد شاكر الآلوسي وابنه السيد عبد المطلب الذي استشهد في الحرب العراقية

٤ - السيد احمد شاكر

١٢٦٤ - ١٣٣٠ هـ

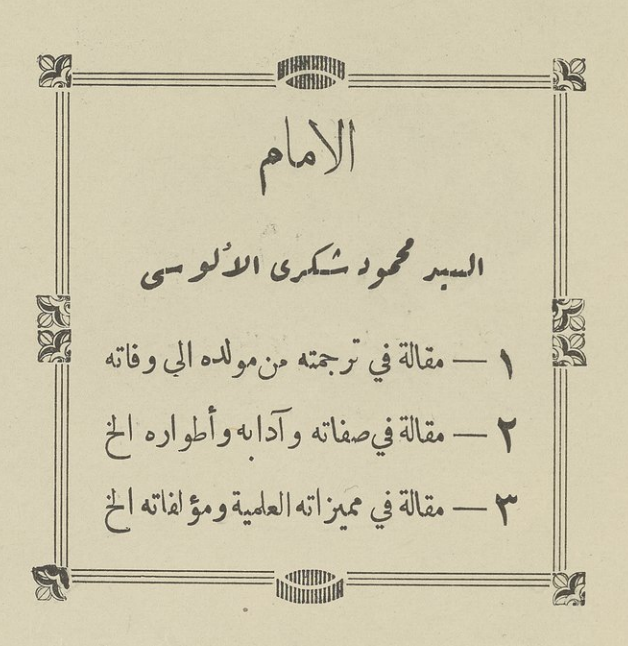
هو أصغر أولاد الامام أبي الثناء سناً . ولد ليلة السبت ١٩ صفر سنة ١٢٦٤هـ وتوفي أبوه وعمره ست سنوات . وقرأ العلوم العربية والفقهية والرياضي وسمع التفسير والحديث والمصطلح كل ذلك على اخوته الاعلام ، وبعض مشايخ دار السلام . وكان جيد الذاكرة قوي الحافظة ، ومما حفظه في صباه الآجرومية والالفية في النحو والرحبية في الفرائض والأمالي في العقائد ومقامات الحريرى أغلبها . . .

وجلس فى أشهر الجوامع للوعظ ريثما بلغ العشرين ، وسافر الى دمشق الشام ومنها الى الاستانة وغيرها من البلاد الرومية مع أخيه السيد عبدالباقى ، ونال الرتب العلمية من الدولة . ثم ولي القضاء في أرجاء العراق : البصرة ، وكربلاء وغيرهما ، وعين عضواً في مجلس الادارة وبعض محاكم العدلية . وفي عام ١٣٠٥ نقل ركابه الى الاستانة ثانياً فاجتمع هنالك بأغلب الوكلاء ورجال العلم والوزراء ونال المثول بين يدَيْ السلطان عبد الحميد فرقاه - إكراما لفضله ونبله - الى مولوية البلاد الخمس من الرتب العلمية وأنعم عليه بالوسام العالي العثماني من الرتب الثالثة ونصبه مدرساً وناظراً في مسجد السيد سلطان علي ببغداد . ثم عاد الى مسقط رأسه فتولى التدريس ونشط لخدمة العلم ونشر بعض كتب أبيه الجليلة وظل مثابراً على هذه الطريقة حتى لفت نظر السلطان اليه ثانياً فأحسن اليه برتبة قاضى الحرمين وبالوسام الثالث المجيدي فحسده على ذلك الزعانف من الحساد فسعوا فيه فساداً الى عبد الحميد - وكان شديد الفزع والخوف - فاغتر بما قالوا

وأوجس منه خيفة فأمر بسوقه الى الاستانة مخفوراً فلما حوكم وظهرت براءته وتحقق لديه صدقه واخلاصه ، عينه عضواً في مجلس المعارف الكبير في الاستانة وظل هناك نحو خمس سنوات موقراً محترما حتى فاضت روحه فجأة في شهر رمضان سنة ١٣٣٠ هـ . وأعقب عدة أبناء أفضلهم أبو هاشم (السيد محمد درويش) مدرس مدرسة السيد سلطان عليّ

وكان رحمه الله لين الجانب لطيف المعشر حسن السلوك ذا عقل حصيف ، وحلم واسع وفضل غزير . وكان شديد التأنق في الملبس والمأكل وقلّ من يدانيه في ذلك





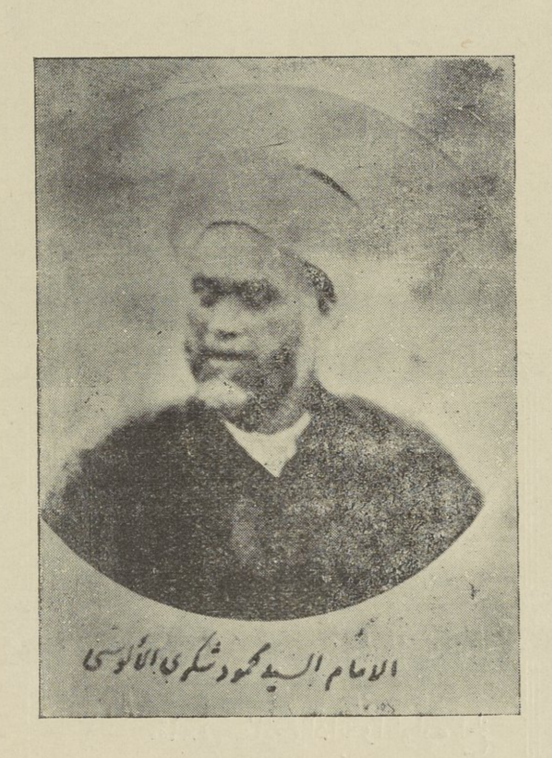
الامام

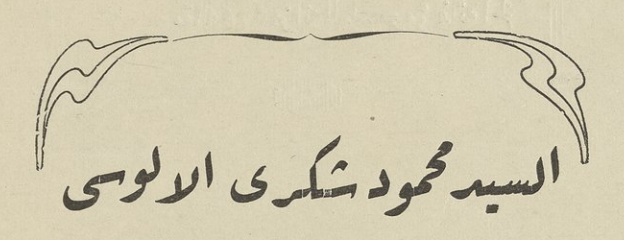
السيد محمود شكري الآلوسي

١ — مقالة في ترجمته من مولده الى وفاته

٢ — مقالة في صفاته وآدابه وأطواره الخ

٣ — مقالة في مميزاته العلمية ومؤلفاته الخ





السيد محمود شكرى الالوسى

ان هذا البيان الضافي الذي سردناه وأزجيناه بين يديك من تاريخ الاسرة الألوسية التي أنجبت هذا الامام الكبير ، يدلك ولا ريب على أنها اسرة لها في المجد العلمي طارف وتليد

فقد علمت أن جدَّها الكبير كان رئيس المدرسين في مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان وكان من المعروفين بالورع والزهد . وأن أولاده كان منهم الشاعر

الأديب ، والكاتب المبدع ، والفقيه الحكيم ، والمفسر الماهر ، والواعظ المرشد وعلمت أيضاً أن أحفاده كانوا على نهج أبيهم فقد ورثوا منه العلم والادب والنبل والشرف ، وأضافوا الى تالد مجدهم مجدا طريفا حتى بقي لهم مجدهم موفورا عليهم وعلى أعقابهم الى يومنا هـذا . فأكثر أبناء هذه الاسرة النبيلة قد تأدبوا واضطلعوا من الآداب العربية والعلوم الإسلامية ؛ وقرضوا الشعر ، ونثروا البيان ، وألّفوا المؤلفات الحسان ، وخدموا الملة والدين خدمة انفردوا بها من بين البيوتات في عراقنا العربيّ

وليس أدل على هذا مما قدمناه بين يديك ومما ستقف عليه في ترجمة السيد الامام . ومن البيّن أن الفتى الناشيء في بيت علم وأدب ، المتقلب بين أعطاف السيادة والجلال ، يقوى في نفسه حب الفضل ويتضاعف في قلبه إجلال العظمة والنبوغ ، ولا سيما اذا كان ذا قلب ذكي ، وأنف حمي ، فلا ينفك يجد ويجتهد أو يضمّ الى تالد مجده مجدا طريفا :

« يبلىٰ الزمان وحسنه يتجدد »

كما سيظهر لك أثر ذلك جليا في (أبي المعالي السيد محمود شكري)



المقالة الاولى

﴿ مولده وتسميته ﴾

في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف للهجرة المباركة ولد في رصافة بغداد في بيت من بيوتات العلم والمجد ـ طفلٌ أغر استقبل الحياة بالبكاء والعويل كأنه أحسّ بغيرها وآلامها فتبرم بها ، وشعر بما تكن له الليالي من المصائب والاهوال فامتعض منها ، وتحقق أنْ قد وقع في الشرَك فلا محيص له ولا مناص . فبكى وأعول كانه ينعي على والدَيْه ، هذه الجناية التي جنياها عليه . . .

استقبل الوجود باكيا ومتبرما ، وأهله حوله يضحكون سرورا ، ويتفاءلون بمقدمه خيرا كثيرا . وشرع أصدقاء والديه يهنؤنهما به راجين أن يقر الله به عيونهما ، ويبارك فيه لهما ، ويجعله من السعداء والصالحين ، وهم يجهلون ماسيؤول اليه أمره من مقت الحياة والزهد في نعيمها ولذاتها . . .

هذا الطفل هو : محمود شكري بن عبد الله بهاء الدين بن محمود شهاب الدين ابن عبد الله صلاح الدين بن محمود الخطيب الألوسي . وهو المعروف بجمال الدين أبي المعالي الالوسي ، ينتهي نسبه الى أشرف المخلوقات ، وسيد الكائنات ، صلى الله تعالى عليه وسلم

سماه أبوه بهذا الاسم ، وكذلك لقبه بهذا اللقب ، وكناه بهذه الكنية جريًا وراء العادة المألوفة في ذلك العصر وسائر العصور المتقدمة . فقد كان الناس ولا سيما العلماء والامراء منهم يكنون أبناءهم ويلقبونهم وقت تسميتهم تفاؤلا بالخير كما هو الظاهر لا أنهم يقصدون بذلك التعظيم والاكرام على نحو ما كان يقصد

العرب في الجاهلية كما يشير اليه قول شاعرهم :

« أكنيه حين أناديه لأكرمه »

وقد نسي الناس في العراق اليوم هذه العادة أو تناسوها . ذلك بأنهم إما قد رأوا التفاؤل لم يصدق في الغالب وإما أنهم تابعوا رأي بعض متقدمي الأعاجم المتعربين من أن « التكني وان حسب جميع الناس أنه جلالة ورفع ، إلا أنه في الحقيقة مهانة ووضع ، لأن أول ما فيه أن الانتساب الى الابناء ، منقصة ـ وأيُّ منقصة ـ للآباء وان كان الابن قد جاوز المجرة بجلالة الخطر ، واستعلى بسمو القدر على الشمس والقمر ، لانه تقديم الاخير على الاول ، وتفضيل المفعول على الفاعل ، وهذا حكم منكوس ، وترتيب معكوس . والثاني : أنه إنْ لم يكن للرجل ولد بذلك الاسم أو كان الرجل عقيما ، أليس يكون في دعواه كاذبا زنيما ؟ والثالث : أن التكنية رسم حدث في أيام ملوك العجم ، ورقم منتسخ من ذلك الرقم ، اذ كانت عندهم رهائن العرب ، وآباؤهم يغشونهم لهذا السبب ، فكان يقال : قد جاء أبو فلان وابو فلان . ايْ إن هذا والد فلان وذاك والد فلان ، ليعرف ولد كل رجل بأبيه ، فلا يعترض الاشتباه فيه ، فلما دارت الأيام على ذلك ، صارت النسبة لاولئك . والتكني ترتبٌ برتبة اهل الذمة ، واستعمال لرسوم تلك الامة . وقبيح سمج بالمسلمين ان يكونوا بسماتهم متسمين ؟ ! ! »

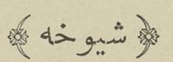
﴿ دراسته ﴾

كانت العادة في المدارس الاسلامية ـ التى تدرس فيها علوم الدين واللسان ـ أن يبدأ الناشيء ـ بعد أن يشدوَ القرآن الكريم ، ويتعلم الكتابة في الكتاتيب ـ بدراسة النحو والصرف . فأول مايتناوله من النحو متن الآجرومية أو شرح الكفراوي على الآجرومية ثم شرح الشيخ خالد عليها بحاشية العطار .

ثم الأزهرية بحاشيتها . ثم شرح القطر بحاشية السجاعي ثم الشذور . ثم الفاكهي . ثم شرح السيوطي على ألفية بن مالك ثم شرح الاشمونى عليها بحاشية الصبان . ثم مغنى اللبيب لابن هشام . . . ومن كتب الصرف : الأمثلة والبناء والمراح والعزي والمقصود والشافية وما عليها من شروح وحواشي وتقارير ؛ ويحفظ من النحو الآجرومية ومتن القطر وألفية ابن مالك . ومن الصرف الأمثلة والبناء والمراح وإن شاء حفظ متن الشافية أيضاً . حتى إذا ماحصل على ملكة ما وميز بين المرفوع والمنصوب والمجرور كاف قراءة شيء من الفقه . فان كان حنفياً قرأ نور الايضاح ثم شرحه مراقي الفلاح بحاشية الطحاوي فسائر كتب المذهب كملتقى الابحر ، والدرر على الغرر ، والدر بحاشية ابن عابدين . وإن كان شافعياً قرأ متن القاضي أبي شجاع ثم شرح ابن قاسم الغزي عليه بحاشية البرماوي ثم شرح الخطيب الشربيني عليه ثم شرح التحرير ثم شرح المنهج . . . وقد يبدأ بقراءة الفقه والنحو معاً قبل أن يقوّم لسانه . ثم يقرأ فن الوضع فالمنطق فالبلاغة فالعقائد فأصول الفقه ويُعنى بهذه عنايته بالنحو والصرف . فيقرأ من الوضع (عصام الدين) ومن المنطق الايساغوجي والتهذيب والشمسية وما عليها من شروح وتقارير . ومن البلاغة شرح عصام على متن السمرقندية . ثم شرح سعد الدين التفتازاني على تلخيص الخطيب القزويني . ومن العقائد النسفية وشرحها . ومن أصول الفقه الشاشي وشرح المحلى على جمع الجوامع بحاشية البناني . وقد يقرأ من الحديث شرح الأربعين (على نية البركة !) ومن التفسير طرفاً من تفسير البيضاوي أو كشاف جار الله الزمخشري . وإذا سمت بالطالب الهمة شدا متناً في العروض والقوافي ومتناً في الحساب وكتيباً في الهيئة القديمة وكتيباً في الحكمة ، وحفظ بضع مقامات من مقامات الحريري . . .

ولا شك أن أبا المعالي كان له من الحظ في دراسة هذه الكتب واستظهار

ما يستظهر منها ما كان لكل طالب يختلف الى المدارس الدينية في المساجد . ومهما يكن من قلة جدوى هذه الكتب المشوشة المشوهة وفساد هذه الطريقة التدريسية العديمة الانتاج — فقد كانت نافعة له (في الجملة) في تكوين حياته العلمية ولا سيما وقد كان الأستاذ الأول له هو أبوه ذلك الاستاذ الذي لم يكن في زمنه أمكن منه في أصول الالقاء وتقريب عويص المسائل الى الأذهان



أخذ أبو المعالي مباديء العلوم اللسانية والدينية عن أبيه ، وجوّد عليه الخط بأنواعه المستعملة لذلك العهد في العراق ، وورث منه فقه النفس ، وحسن السمت ، وصفاء الطوية ، وحب الأدب والعلم ، والقرطاس والقلم . ولم يكد يستنفد ماعنده حتى فجع بموته وهو أحوج ما يكون الى أب مثله حدب عليه بارّ به متعهد لجسمه وعقله بالتربية والتعليم . . .

فكفله عمه العلامة الكبير السيد نعمان خير الدين وعني بتهذيبه وتعليمه عناية أبيه به فكان له خير عزاء عنه . فأبوه وعمه هما الاستاذان اللذان لهما الاثر الأكبر في تكوين حياته العلمية والعقلية على ما كان من الاختلاف بينهما في المذهب والمشرب كما عرفتَ ذلك من ترجمتهما . ولكن الشاب المتأثر بالعقيدة الخَلفية والمتشبع بالروح الصوفية الموروثة له من أبيه واستاذه الاول لم يستطع ملازمة دروس عمه المستقل بعلمه وآرائه الضارب بالخزعبلات الصوفية والمذاهب التقليدية عرض الحائط ، فصرف التعصبُ بصره عن عمه الى ارتياد غيره ، ولكن الروح الذي غرسه عمه فيه لم يلبث أن نما فيه وأينع ، بعد أن توسع في العلم واطلع ، وتفقه في الأدب واضطلع ، فضرب بكل ماورثه عن أبيه عرض الحائط . . .

أخذ يختلف — بعد انصرافه عن دروس عمه — الى مشايخ العلم في بغداد وينتاب مجالس دروسهم على سبيل التجربة . ولم يكن ليروقه منهم إلا شيخ موصلي هاجر الى بغداد له علم المطلعين وزهد الزاهدين وقناعة المتوكلين ومشرب المتصوفين (وهو الشيخ اسماعيل بن مصطفى مدرس جامع الصاغة) . فثافن هذا وأخذ عنه أغلب العلوم التى ذكرناها . وقد كان هذا الشيخ مقلداً محضاً كسائر شيوخ بغداد يدرس (كتب الجادّة) ويأتى بعبارات الشراح والمحشين كما هي عن ظهرغيب ، ولايكاد يخل بشيء مامنها . بل كان شِبْه أميّ اذا احتاج الى إنشاء ألوكة عهد بها الى تلميذه أبي المعالي ؛ وميزته التى حببته اليه إنما هي المشرب الصوفيّ ثم قوة حافظته النادرة المثال

﴿ تصدره للتدريس ﴾

لم يكتف أبو المعالي بعد أن قضى زمن الدراسة بما شدا من الكتب وتلقى عن المشايخ شأن طلاب العلم عندنا بل جدّ به الحرص على مواصلة الدرس ومتابعة البحث . وكلف بالتاريخ والسير واللغة ، وزاول الكتابة التي كاد يتقلص ظلها من ربوع العراق حتى جاء منه عالم نحريرومؤلف ضليع . له الاطلاع الواسع والمادة الغزيرة والتحقيق النادر والرأي الصائب ، واليه المرجع في المشكلات وعليه المعوّل فى الفصل والقضاء . وتصدر في أثناء الطلب للتدريس تارة في داره وأخرى في جامع عادلة خاتون . ثم عين مدرساً رسمياً في جامع الحيدرية ثم في جامع السيد سلطان علي فكان يدرس في الأول صباحا وفي الثانى مساء . ولما توفي العلامة السيد علي علاء الدين الألوسي مدرس مدرسة مرجان وكل أمر مدرسته اليه لقرابته منه وجعل « رئيس المدرسين » فترك مدرسة السيد السلطان علي (١) واكتفى بالحيدرية ومرجان ، وقد تخرج به خلق كثير

(١) تركها لابن اخته السيد ابراهيم ثابت الألوسي الذي عين بعد وفاته مدرسا فى مرجان .

﴿ فوزه في مضمار لجنة اللغات الشرقية ﴾

في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة اقترحت (لجنة اللغات الشرقية) المنعقدة في (استكهولم) بدعوة (اسكار الثانى) ملك (أسوج ونروج) على العلماء الاخصائيين بتاريخ العرب والاسلام في الشرق والغرب تأليف كتاب يستوفي أحوال العرب قبل الاسلام ، ويستوعب ما كانوا عليه في جاهليتهم من العوائد والاحكام ؛ واشترطت أن يكون مشتملا على بيان من يطلق عليه لفظ العرب ، وإقامة الدليل على فضلهم على غيرهم ، وبيان نسب من اشتهر من القبائل وذكر أشهر مساكنهم . وكيف كان حال مكة إذ ذاك ، وعوائدهم في المأكل والمشرب والزواج ، وتفصيل مجامعهم وأيامهم ومفاخراتهم وأعيادهم وأفراحهم ومعتقداتهم وأوابدهم ومتعبداتهم وعلومهم وصنائعهم ومشاهير رجالهم في الجود والحلم والحكم والشجاعة والشعر والخطابة والطب ؛ وأن يظهر الفرق بين حالتيْ أهل الحضر والبادية ، وبأية وسيلة أمكنهم فى زمن قصير أن يتقدموا ذلك التقدم العجيب ويتغلبوا على عدة ممالك واسعة ، وأقطار شاسعة ، يبلغ عدد سكانها أضعاف أضعافهم مراراً عديدة حالة كون بلادهم حارّةمقحطة خالية من بواعث المدنية ؛ وهل بقى من آثارهم القديمة شيء بين من يسكنون البوادي اليوم ويُدْعَوْن بالعرب ، مع إقامة الأدلة الكافية والاتيان بالمستندات القوية لاثبات كل أمر منها ، وعلى المؤلف أن يستند في استخراجاته على الشعر الجاهلي وما تضمنه من ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسير والتواريخ الصحيحة . . .

اقترحت اللاجنة هذا الاقتراح مشترطة هذه الشروط وخصت فريقاً من المشاهير بالدعوة للاشتراك في هذا الميدان الواسع المدى المترامي الأطراف ، ومن بينهم نابغة العراق السيد الألوسي . فلبى نداءها فيمن لبَّى وأعمل يراعته في تأليف الكتاب المطلوب مراعيًا للشروط السابقة مع زيادات لم تكن بالحسبان .

حتى اذا حان اليوم الموعود عرض كتابه (بلوغ الأرَب ، في أحوال العرَب) في ثلاثة مجلدات ، على تلكم اللجنة النقادة . ولدى السبر أدركت أن أجمع المؤلفات التي وردتها مادةً ،وأوسعها جادةً ، وأغزرها فائدة ، وأجزلها عائدة ، وأقربها مراعاة للشروط التي ألزمتها لمن يدخل في ميدان السباق هو كتاب بلوغ الأرب فاستحق الكتاب التقريظ كما استحق المؤلف الثناء وفاز دون سواه بالجائزة والوسام الذهبي الأخضر الجلدة . وبعث اليه الكنت كرلو دي لندبرج ، قنصل اسوج ونروج العام في مصر ووكيلها السياسي ، برسالتين فيما أعلم (وسنوردهما) أثنى بهما عليه ووعده بطبع كتابه تخليداً لمآثره في خزائن الآداب

ولما نشر اسم الفائز وطبع الكتاب حبّرت المجلات والصحف السيارة في الشرق والغرب الفصول الضافية الذيول في تقريظ الكتاب واطراء مؤلفه النابغة الذي نشأ في بيئة متأخرة كل التأخر فسبق بجده واجتهاده كل من حبّر وكتب ، من أبناء البلاد المتقدمة في مضمار العلم والأدب ؛ فرددت صدى اسمه الآفاق ، وعرف فضله الخاص والعام ، واتصل به كثير من المستشرقين ، ولم يرد أحد منهم الى هذه الديار الا قصده واستطلع طلع آرائه واقتبس من أبحاثه واستفاد من دروسه . قال صديقنا العالم المستشرق الافرنسي الشهير لويس ماسينيون (L. Massignon) في محاضرة ألقاها في مدرسة الحقوق العربية بدمشق في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ م ، ونشرت في مجلة المجمع العلمي العربي (م ١ ص ٢٤) بعنوان (ملتقى الأدبين) : « . . . أتذكر الآن مَن ساعدوني من إخوانكم المسلمين ، ولن أنسى أبداً الشيخ محمود شكري الألوسي وابن عمه الحاج علي فهما ساعداني مساعدات اخلاقية مهمة ، وأفهماني أهمية ملتقى الأدبين الشرقي والغربي ... » . واليك كتابَيْ الكنت كرلو دي لندبرج :

— ١ —

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمود افندى شكري الألوسيّ البغدادي حفظه الله .

السيد أدام الله زينه ، وأقر بالمسرة عينه ، وأجرى بالحكمة أقلامه ، وثبت في مواقف المعارف أقدامه ، وأطلع من بدائعه في سماء الأدب بدراً منيرا ، ورفع له في ملأ العرفان ذكراً كبيرا ـ وردنا مؤلفه المرسوم ببلوغ الأرب ، في معرفة أحوال العرب ، فسرّنا صنيعه المحمود ، وبشرنا بنوال المقصود ، اذ تبيّنا منه غيرة مؤلفه حفظه الله على العلوم ، وتصديه لنشر ما هو منها مطويّ مكتوم ، كيف لا وموضوعه من الأهمية بمكان ، لا يقوم بالتعبير عن جلالته اللسان ، فالعرب هم مَن عرفنا رجال اللسن والفصاحة ، ومظهر الكرم والسماحة ، حميتهم مشهورة ، وحماستهم غير منكورة ، ولكن وا أسفاه لو يجدي الأسف ، على ما آلم لما ألمّ باحوالهم من التلف ، فان جبّ الإسلام ما قبله ، استلزم بالمرة جهله خصوصاً وقد اشتغل أهل القرن الأوّل وبعض الثاني بالغزوات والفتوح ، لما وجدوه في أنفسهم من حلاوة الايمان الممنوح ، فتلقوا ذلك بصدر رحيب ، وقابلوا الكفار من القتال بكل نوع عجيب [1] ! حتى استقام عماد الدين ، وذلت أعناق المضادين ، فكان ذلك عن التأليف شغلا شاغلا ، وحجاباً عن الاهتداء الى سابق الامور حائلا ! لأن النفس كما لا يخفى على البصير الناقد ، لا تقوى على شيئين في آن واحد ، ثم جاء الخالفون فدوّنوا ما وصل اليهم من الأنباء ، الاّ أنهم حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء ، فان في مائتى سنة ما يكفي لضياع أكثر الامور ، ولا سيما اذا تعذر الوصل وتباعدت الدور . فنحن نشكر السيد

(١) فى هذا القول جور لايبعد صدوره من الفرنجة . وليت المقام يسمح لنا بشرح هذه المسألة التى يتفيهق بها أعداء الاسلام .

على هذه الهمة المحمودة ، والغيرة العلمية المشهودة ، فلا شك أنه أجهد نفسه في البحث والتنقاب ، حتى استخلص من بين تلك القشور ذلك اللباب ، فهكذا تكون الهمم ، ولمثل ذلك فليعمد رجال الحكم ؛ فأما الكتاب المذكور فسنتروّى فيما جاء ضمنه ، ثم نبعث به لاخواننا أعضاء اللجنة مؤملين أنْ سيحظى بالقبول ويعامل من الرضى بما هو المأمول .هذا وإنا ليسرنا كل مؤلف مهما كان موضوعه فكيف بكتاب الاستاذ وفضله شفيعه ، فليطلق لهمته عنانها ، وليقوم من غيرته سنانها . ثم ليطعن في نحور الجهالة برماح أقلامه ، حتى تتألف دولة متبدد الأدب مستظلة بأعلامه ، لا زال للخيرات موفقا ، وللآمال فيه محققا ، والسلام عليه ورحمة الله »

السكنت

تدسن في ٤ يوليو سنة ١٨٨٢ م كرلو دى لندبرج

— ٢ —

حضرة العالم الفاضل السيد محمود شكري افندي أعزه الله .

أيد الله الاستاذ وشرح بالمعارف صدره ، ورفع بالكمالات قدره ، ولا زالت تحييه المعالي ، وتخدمه بأبيضها وأسودها الأيام والليالي . نكتب إليه وفضله لدينا أظهر من الظهور ، وأشهر من كل مشهور ، معتقدين أنه يسر بما نتلوه عليه ، إذا ألقى بمقاليد سمعه اليه ، وذلك أن كتابه بلوغ الأرب جليل في بابه ، وقد استحق التقدم على اضرابه ، فان جميع الكتب التى وصلتنا في هذا الصدد ، مع مابلغت اليه من كثرة العدد ، واختلاف مصادرها شرقاً وغربا ، وبعداً وقربا ، من أوربا ومصر والشام والعراق ، وغيرها من الآفاق ، لم يحصل سواك من أربابها أحد ، على تلك الجائزة التى سبق بها الوعد ، لأن الموضوع

واديه عميق ، بعيد الطريق ، غير أن كتاب الاستاذ مع ذلك أجمع الكل مادةً ، وأوسعها جادة ، فلذلك أنعم عليه صاحب الجلالة مولانا ملك السويد والنرويج بنيشان من الذهب ، أخضر العلاقة لا أخضر الجلدة من بيت العرب ، وهذا النيشان لا يناله الا عالم فاضل ، وقد خصص به الاستاذ دون سواه على كثرة الآمل . فليجعل صدره له حلية ، وليفخر به على نظرائه فانما يحسن الفخر على العلية . وليعلم اننا قد عزمنا على طبع ذلك الكتاب ، تخليداً لمآثر صاحبه في خزائن الآداب ، فلينشط لمثله همته ، وليجرد على أعناق الخمول عزمته ، والسلام عليه ورحمة الله »

القاهرة ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٠٧ هـ

الكونت كرلودى لندبرج

قنصل السويد والنرويج العام في مصر ووكيلها السياسي

﴿ تحرره ، وحادثة نفيه ﴾

قد يجوز لنا أن نعتبر القرن الثالث عشر خير عصور الانحطاط العلمي والعقلي التي مرت على عاصمة العباسيين ، بما نبغ فيه من رجالات الأدب ، وبعض الأفراد المستقلين بالعلم الصحيح ، والدين الرجيح ، الذين لم تحلم بمثلهم بغداد منذ تقلص ظل العباسيين عنها وسقوطها بيد الأعاجم الى يومنا هذا . وقد كان يرجى أن يكون القرن الذي يليه أحفل منه بالعلماء المستقلين ، وأزهر بالأدباء والمتأدبين ، وأنور بالمصلحين والمفكرين ، ولكن ما كاد ينطوي بساط ذلك القرن بما فيه حتى آل الأمر الى بعض السلاطين الذين كان من سياستهم ارضاء المشعبذين بالدين واستدناؤهم منهم ليحولوا جماهير العوام اليهم فيقوى بهم ضعفهم ، ويشتد ساعدهم ، وينبسط سلطانهم فيستمتعوا بشهواتهم ويتذوقوا لذة

الاستفادة من غفلتهم — فحارب العلم وساعد الجهل ، فظهرت دجاجلة الطرق والملبسون متظاهرين بالدين يبثون روح الفساد ويغررون بالعامة ومن وراءهم السلطة تؤيدهم وتعزّز دعوتهم حتى تمّ له على يدهم ما أراد ، فبنيت التكايا ، وشيدت القباب على قبور المتمشيخة والدجالين ، من رفاعيين ونقشبنديين ، وقادريين وعيدروسيين ، وعظم سلطان الشرك والرياء ، ونذرت للقبور النذور ، وقربت لها القرابين وعلقت عليها التمائم وأوقدت لها السرج ؛ حتى صار المتدين في نظر الناس من يضرب بالدف ويرقص في « حلقة الذكر » ، والعالم من يطيل الذقن ، ويكحل العين ، ويكبر الردن ؛ وصار العالم المستقلّ والموحد العريق اذا أنكر عليهم شيئاً من أضاليلهم يُنبز (بوهابي) بل يُنبذ ويُسخط عليه ويُنتقم منه بكل مايقتدر عليه ويساعد عليه السلطان الجائر . . . وهكذا انقلبت الحال ، وساء المآل ، وأخمدت الأرواح الحية ، ووئدت الحرية الدينية ، واشتدت وطأة الجهل ، واستفحل أمر الرياء ، وعلقت جسم المجتمع الأدواء ، فما كان يولد يومئذ مولود الا أفسد ذلك « المجتمع العليل » فطرته ، وأخمد ما أودع الله فيه من نور دونه نور جمرة الفلك .

وقد قدمنا عن السيد أنه أصيب بما يصاب به كل فكر حيّ في ذلك المجتمع ومُنيَ بما يُمْنَى به كل منتم لمدارس الدين من التقليد الأعمى ، والجمود على كتب ألفت في أيام التقهقر والانحطاط تسمى « كتب الجادة » وقد عددنا كثيراً منها قريباً ، وهي محشوة بالرث البالي من آراء الأعاجم السخيفة ، وحكاياتهم التافهة ، ومناقشاتهم الفجة ، التي كانوا يتلقونها بالتسليم ، ويأخذونها بيد الاجلال والتعظيم ، من غير تمحيص لما فيها من الحق والباطل بل كانوا — ولهم اليوم بين ظهرانينا خلف — يعكفون عليها كعوف المشرك على صنمه . اذا حاول أن يزحزحه عنه مزحزح قام وشهر عليه سيفه فإما أنْ يتمكن هذا من الفرار فينجو

من شره وإما أن يتمكن ذاك منه فيقضي عليه بضربة لا يثنيها .

استمر السيد على هذه الطريقة العوجاء متأثراً بها مدة من الزمن ليست بالقليلة لا يكاد يلويه عنها أحد حتى برقت له بارقة اليقين — وقد تجاوزت سنه الثلاثين — من سماوات كتب بعض الأئمة المجددين ، التي نالتها يده في خزانة كتب عمه واستاذه العلامة السيد نعمان خير الدين ، كمؤلفات شيخ الاسلام أبي العباس أحمد تقي الدين ابن تيمية الحراني وتلميذه الامام ابن القيم رضي الله عنهما ، فاهتدى بنورها الوضاء ، الى المحجة البيضاء ، التي لا يضل سالكها ، وكسر قيود التعصب الذميم ، وفك من عنقه ربقة التقليد الأعمى ، وطفق يأخذ بالكتاب والسنة وبما يوافقهما من كلام سلف الأمة ، من غير تحزب لشيعة أو مذهب ، بل يأخذ الحق حيث وجده ويعزه حيث ألفاه

ولكنه وا أسفاه لم يستطع يومئذ أن يجاهر بآرائه بل اضطر الى المجاملة والتستر تحت ستار التقية خشية أن يقع بيد من لا يخاف الله ولا يرحمه مع عدم من ينصره ويأخذ بيده كما ذكر لي هو عن نفسه

ومن آيات ذلك شرحه منظومة ركيكة للطاغية الضليل أبي الهدى الصيادي في مدح أحمد الرفاعي بسفر أسماه (الأسرار الإلهية ، شرح القصيدة الرفاعية) . وقد قدمه الى عبد الحميد فأجازه عليه بتدريس مدرسة السيد سلطان علي ببغداد . وطبع كتابه بمصر (١) .

---

(١) نهج الاستاذ فى كتابه هذا نهجا أدبيا وليس فيه من امارات التقية الا كونه شرحا على منظومة لابي الهدي ، والا كونه مقدما الى عبد الحميد . وقد رأيت فيه تأييد قصة مد الرسول صلى الله عليه وسلم يده الى احمد الرفاعي تلك القصة الخرافية والاكذوبة الشائعة التى يعدها الرفاعيون الحمقى من خوارق الكرامات ويؤلف فيها شيوخهم المؤلفات . وقد قال قائلهم :

لقد مدح الغوث الرفاعي أمة ... وماذا عسى من بعد أن قبل اليدا

ومن شرف الارث الصحيح لذاته ... متى ذكروه يذكرون محمدا

حتى اذا عُرف فضله ، وقوي ساعده ، بالتفاف جماعة حوله في بغداد ، وانتشار اصدقائه ومحبيه في سائر البلاد ، وصار له شأن يدفع به عنه عاديات الاضطهاد ، خلع عنه ذلكم الرداء رداء المجاملة والتقية ، وهتف مع شدة وطأة الاستبداد الحميديّ بضرورة تطهير الدين من أوضار البدع التي طرأت عليه ، ونبذ التقليد الذي هو علة العلل في انحطاط المدارك والافكار ، وشنّ الغارات الشعواء على الخرافات المتأصلة في النفوس والتقاليد السخيفة التي شبّ عليها القوم وشابوا بمؤلفات ورسائل زعزعت أسس الباطل ، وأحدثت انقلابا عظيما لا يزال تأثيره عاملا في النفوس عمله المطلوب ، فغاظ ذلك « أصحاب العمائم المكورة ، والاردان المكبرة ، والأذيال المجررة » من كل حشوي غرّ ، وجاهل غمر ، ذي خداع ومكر ، وصاروا يشنعون عليه في مجالسهم وينبزونه بوهابي وهي كلمة ينفر منها السواد الجاهل حيث توحى اليهم أبالستهم زخرف القول زورا ويذكرون لهم عن الوهابي أنه منكر للرسل وعدوّ لجميع المسلمين يريق الدماء ويستحلّ الحرمات [(١)] ، وضرب من هذا اللغو الذى لا يجرؤ على التفوّه به من

وهي من زيادات الصيادى على الكتاب وليست من الاستاذ كما ذكر لى هو - وهو صادق في كل مايقول - وقد فندها في كتابه غاية الامانى (ج ١ ص ١٩٦) أبلغ تفنيد .

(١) من تتبع الحقائق عرف أن هذا بهتان روجته السياسة على البسطاء باسم الدين والمذهب . فان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية ، ونهضة الامير محمد بن سعود فى تأييدها ثم بسط سلطانه على البلاد التركية ، ومحاولته نزع الخلافة من الترك وارجاعها الى العرب : كل ذلك حمل الاتراك على حربهم ، والتشنيع على معتقداتهم ، والنيل منهم بضروب الوسائل . وقد حملوا كثيرين من سماسرتهم وكتابهم وصنائعهم على الحط منهم فى جميع الاقطار الاسلامية ليسقطوهم من الانظار ويضعفوا شأنهم كما صرح جميل الزهاوي البغدادى أحد ملاحدة العصر في مقدمة رباعياته فان رده على (الوهابيين) كان سياسيا محضا ، أي أنه لفقه بمقابل اجر تقاضاه من الاتراك للقضاء على العرب ! ولا أعلم متى ينتبه المسلمون من رقادهم ، ولا تروج عليهم أمثال هذه الدسائس التى خدرت أعصابهم وجعلتهم شذر مذر ؟

اللهم ان ذلك لا يتحمله قلب مليء بالايمان ، ولا يسيغه امرؤ رزق حظا من الاسلام ، دين الاخوة والوحدة والوئام — المؤلف —

رزق حظاً من الانصاف وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ؛ ولم يزالوا يتربصون به الدوائر حتى عام ١٣٢٠ هـ فسعوا فيه الى (عبد الوهاب باشا) والي بغداد وكان حشويا عدواً لرجال الاصلاح ، فكتب عنه الى عبد الحميد ماشاء وشاء له الهوى وأقل ماجاء في كتابه : أنه يبث فكرة الخروج على السلطان ، ويؤسس مذهبا يناصب كل الاديان ، وان تأثيره سار ، وآخذ يوما فيوما في الانتشار . ويخشى منه سوء المغبة . . . الخ فشالت نعامته وهوهو ، وأمر حالا بنفيه ونفي كل من يمتّ معه الى الدعوة بنسب الى بلاد الانضول . فنفي هو وابن عمه السيد ثابت بن السيد نعمان الالوسي والحاج حمَد العسافيّ النجديّ من التجار الاتقياء مخفورين وما كادوا يصلون (الموصل) حتى قام أعيانها لهذا الاجحاف وقعدوا ، وسعوا الى عبد الحميد فاقنعوه بعدَ لأْيٍ ببراءته ، فاعيد هو وصاحباه الى بغداد ، بعد أن قضوا في الموصل شهرين لاقوا فيهما من الحفاوة ما يعجز عن شرحه اللسان ، ويكل دون تحبيره البنان

* * *

ان ما نال الاستاذ المصلح من أذى المتحذلقين قد لا يعد شيئا بالنسبة الى ما نال الأئمة المصلحين قبله من ضروب التنكيل والعذاب والاضطهاد ، ومن نظر في بطون السير والتواريخ رأى العجب العجاب . فكم من مصلح مثل به في سبيل نصرة الحق وسلخ جلده وهو حيّ وكم من ثابت على مبدإٍ صحيح عذب وضرب بالسياط حتى شلت أطرافه ، وآخر أُحرقت آثاره وليس فيها غير الدعوة الى الحق المبين واتباع سبيل المؤمنين

هذا عبد الرحمن بن أبي ليلى : ضربه الحجاج أربعمائة سوط ثم قتله . وسعيد ابن المسيّب : ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شاتٍ والبس جبة صوف . والامام مالك بن أنس : جرّده جعفر بن علي بن

عم أبي جعفر المنصور وضربه سبعين سوطا ومدت يداه حتى انخلعت كتفاه وذلك جزاء قوله الحق حين سئل عن مبايعة محمد بن عبدالله بن حسن وقولهم له : « ان في أعناقنا مبايعة أبي جعفر » فقال : « انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين » فأسرع الناس الى محمد فسعى به فضرب لذلك . قال صاحب الفلاكة : « ثم لم يزل بعد في علو ورفعة كأنما كانت تلك السياط حليا تحلى بها . والامام أحمد ابن حنبل : أمر المعتصم بضربه فأخذ وجيء بالعقابين والسياط وضرب ضربا مبرحا حتى اغمي عليه وغاب عقله وذلك أنه أبي أن يقول خلاف ما يعلم أو يعتقد حين أجلسه المعتصم ودعاه الى القول بخلق القرأن فامتنع وقال له « ما قال ذلك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد دعا الى شهادة أن لا إله الا الله وانا اشهد أن لا إله الا الله وان القرآن علم الله ومن علم أن علم الله مخلوق فقد كفر » . وكذلك يوسف بن يحيى البويطى صاحب الامام الشافعي : حمل الى بغداد في أيام الواثق بالله من مصر وفي عنقه غل وفى رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنه أربعون رطلا وأرادوه على القول بخلق القرآن فامتنع ومات بالسجن في قيوده

والامام ابن حزم الظاهرى صاحب الفِصَل : تألبت عليه الجهلة الأغمار وكادوه واستظهروا عليه بالامراء فأحرقوا كتبه الثمينة ومصنفاته وفى ذلك قال :

فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلّت ركائبي ... وينزل ان أنزل ويدفن فى قبري

والامام المجدد العظيم أبو العباس ابن تيمية : من وقف على ما ناله من ضراء جهلة زمانه من ضروب النفي والحبس والتعذيب أخذ العجب منه مأخذه . وقد توفي مسجونا في قلعة دمشق ، ومثله تلميذه الامام ابن القيم رحمهم الله

وضم الى هؤلاء العظماء ألوفا من الاساطين ابتلوا بمثل ما ابتلى به أولئك

أو بأشد منه ولا تفتأ الحوادث تتجدد وتتعاقب في كل عصر ومصر ولا يكاد يسلم مصلح من أذى المفسدين وشر الرعاع . ولشيخنا الاستاذ الامام ، أسوة في أولئك الاعلام ، بل فيمن هم أعظم منهم وهم الانبياء عليهم السلام ، فان ما أصابهم من أقوامهم من التقتيل والتعذيب ما لا يخفى على من له بأحوال الغابرين أدنى المام

وان موت المخلصين من المصلحين في سبيل الحق بعثٌ لهم ونشور ، إذ تذكرهم بأعمالهم المجيدة الأجيال فالاجيال على ممر الدهور ، وان المفسدين ليذهبون كأمس الدابر ، وليس لهم من شاكر أو ذاكر ﴿ فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأمَّا ما ينْفَعُ النَّاسَ فيَمْكُثُ في الأرْضِ ﴾ ولله في خلقه شؤون .

اتصاله بالسياسة

عزلته وفشله فيها — اتصاله بالوزير سري باشا وتحريره جريدة الزوراء — اتصاله بجمال باشا — سفره الى نجد — ما بعد سقوط بغداد وزهده في المناصب

الاستاذ من فطرته ميَّال الى الوَحدة . واحتلابُهُ أشطُرَ الدهر وتجربتُهُ الناس واختباره إياهم صاحباً بعد صاحب قوّى ميله اليها وحبه إياها « ووجد أوفق ما يصنعه في أيام الحياة عزلة تجعله من الناس كبارح الاروىٰ من سانح النعام » ولكنّ العزلة التامة لم تكن لتتيسر له ، فانه برغم ابتعاده وانقباضه عن الناس كان الناس يسعون اليه ويستشفعون بجاهه الى أُولي الامر كما كان اولو

الامر يحبون مجلسه ويتقربون اليه بكل ما يستطيعون زلفى . وحياؤه الغريب المثال يحول بينه وبين ردهم فاجبر علي الخروج على فطرته وعلى ما لزم به نفسه ولم يظفر بأمنيته .

جاء بغداد الوزير سري باشا واليًا وكان أخا علم وأدب ، يقضي ليله ونهاره بمطالعة الكتب ، ومحاورة العلماء ، ومطارحة الادباء ، فلم يرَ فيها فارساً يجول معه في ميادين العلم والأدب غير الاستاذ والاستاذ راغب عن معاشرة الامراء ومؤثر العزلة عن الناس ، فحبب نفسه اليه وأكثر الترداد عليه حتى استماله اليه . فكان يقضي أكثر أوقاته ، في مجالسته ومحادثته كما كان يستعين به على التأليف والتصنيف - وهو كاره اتصاله به وان كان اتصالا علميا لا دخل له فى سياسة الدولة .

ثم أناط به انشاء القسم العربيّ من جريدة الزوراء - وهي أول جريدة أنشئت فى بغداد: أنشأها مدحت باشا سنة ١٢٨٦ ه وظلت الى سنة ١٣٣٥ه - فحبر فيها ما شاء من المقالات العلمية والأدبية ، وأوجد حركة فى ذلك الجو السا كن بما كان يعرضه فيها من الاسئلة المتنوعة على علماء بغداد

* * *

توفي سري فلزم الاستاذ بعده قرارة داره لا يبرحها الا الى المدرسة حيث يُلقي دروسه على تلاميذه ، ثم كان من أمر نفيه ما كان. ولما كانت سنة ١٣٣٠ه تقرّب الوالي (جمال بك ثم جمال باشا) منه فكان يشاوره ويستفتيه فيما يحدث له من سياسة البلاد ويستأنس بآرائه وكلماته . ثم اتفق أن ناصب هذا بعضَ من كان سعى في نفي الاستاذ من أعيان بغداد وكان « عضوَ مجلس الإدارة » ففصله عن منصبه وعرضه على الاستاذ فاعتذر عن الاشتغال فى أعمال الادارة وكل مالا يتفق مع مسلكه العلميّ فألحّ عليه الا القبول كما انتخبته البلدة لهذا

المنصب فلما لم يرَ بداً من إشغاله أجاب اليه وتربع فيه مدة من الزمن فكان نصير الحق وحليف الانصاف وسار كما هي شيمته سيرةً حميدة وكبت الظالمين وأخذ بضبع المظلومين ونفع الناس نفعاً جماً . الى أوائل الحرب الكونية .

***

انقدحت شرارة الحرب الكونية فاضطرمت نيرانها وحمي وطيسها ، وزحف القويّ على الضعيف ليفترسه ، وأعلنت الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء فسيرت بريطانيا جيشاً مجهزاً بأنواع العُدَد الى العراق لانتزاعه منها ، فضرب على حين غفلة (الفاوَ) ثم احتلّ البصرة من دون أن يلقى أقلّ مقاومة فاضطرب الاتراك أيما اضطراب وتحققوا ضياع العراق حيث انهم لم يحصنوه ولا أعدّوا له جيشاً يكلؤه ويدفع عنه الغارات فكان لكل أحد أن يتغلغل فيه من أي جهاته شاء - فعمدت الى الاستنجاد بصاحب نجد الأمير عبد العزيز السعود (١) ، وانتدبت الاستاذ لمفاوضته فى هذا الشأن فلم يسعه إلاّ الاجابة وهو أشد مايكون متذمراً وكارهاً لانه يعلم أن تشبث الغريق بالحشيش لا يجديه شيئاً وأن اجابة صاحب نجد الى طلبهم ضرب من المستحيلات . وجعلت في « معيته » ابن عمّه استاذنا العلاّمة اللوذعي الأريب السيد عليّ علاء الدين الألوسي ، وصديقنا الواعظ الذلق الحاج نعمان الأعظمي ، والضابط الحاج بكر افنـدي . فشدوا الرحال ليلة الأحد عاشر المحرم سنة ١٣٣٣ ه الى نجد عن طريق سورية فالحجاز حتى اذا ما بلغوا عاصمة نجد ووصل خبر مجيء الوفد برياسة الاستاذ الإمام خرج لاستقبالهم جمع حاشد ورحب الأمير عبد العزيز بالاستاذ واغتبط بثقافته واحتفى به احتفاءً عظيماً ، ثم فاوضه الاستاذ بالأمر الذي جاءه به وحضّه على معاونة الحكومة العثمانية والأخذ بيدها . . . فما كان منه الا أن أبدى له معاذير لا

(١) هو اليوم سلطان نجد وملك الحجاز

تكاد تَقبل رداً ولا تأويلا وقال له إنه لولاها لما تأخر ساعة عن نصرها .

فرجع ادراجه غير ناجح في سعيه كما توقع ذلك في بادىء الامر . وتفقد في طريقه ذهاباً واياباً معاهد العلم وخزائن الكتب ، واجتمع به اكابر علماء هاتيك الديار فاستفادوا منه علماً جماً وأدباً غضاً وكان موضع التجلة والاحترام في كل بلد مر عليه .

ولما وصل الشام ـ وقد عاد بخفَّيْ حنين وكان قد استبان تباشير النهضة العربية واشتد حنق العرب والاتراك بعضهم على بعض وعظم ارهاق الاتراك وتعذيبهم لاحرار العرب ـ ظن بعض الناقمين على الاستاذ من الحشويين أنهم وجدوا لأنفسهم عليه سبيلا فأغروا به (جمال باشا السفّاح ناظر البحرية العثمانية وقائد الجيش الرابع) الذي كان الاستاذ أحب الناس اليه زاعمين ـ وبئس الزعم ما زعموا ـ أنه هو الذي متن صاحب نجد على الدولة وحَسَّنَ له التقاعس عن نصرتها ، فلم يصغ جمال باشا اليهم لما يعهد فيه من الصدق والاخلاص والسعي في جمع كلمة المسلمين والايلاف بين الفِرَق التي أوجدتها الأهواء السياسية والمطامع الأشعبية :

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

*
* *

عاد الاستاذ الى مسقط رأسه سالماً من كيد أبالسة التدجيل والتضليل ، وعاد الى سيرته الأولى في التأليف والتدريس حتى سقوط بغداد سنة ١٣٣٥ هـ بيد الانكليز فعرضوا عليه قضاء بغداد فزهد فيه وانقبض عن مخالطتهم . ثم عُرِضَ عليه في أوائل تشكيل الحكومة العربية الموقتة الافتاء فرياسة مجلس التميز الشرعي فالقضاء (أيضاً) فالمشيخة الاسلامية ـ فرفض كل خدمة غير خدمة العلم الصحيح ونشره بين أفراد الامة تصنيفاً وتدريساً . وقبل عضوية مجلس

المعارف ليتمكن من توسيع نطاق العلم في العراق ، وعضوية المجمع العلمي العربي بدمشق فخرياً . وستعلم سبب امتناعه عن قبول تلك الوظائف عند بيان أطواره

﴿أواخر أيامه ووفاته﴾

ابتلى الامام سنة ١٣٣٧ هـ (أي قبل اتصالي به بنحو سنتين) برمل في المثانة فلم يهتم به وظن أنه عرض لايلبث أن يزول فزال كما كان يظن ألمه ولكن أثره لم يزل كامناً فيه والرمل يتراكم شيئاً فشيئاً حتى سد المجرى ، فثارت ثائرته بعد مرور نحو عامين عليه وأذاقته الامرّين ففزع الى الاطباء عسى أن يخففوا بعض آلامه حتى اذا لم يجد منهم خيراً كفّ واحتمل هذا الداء الوبيل ، بالصبر الجميل ، الى أن هان عليه وسكنت ثائرته . الا أنه كان يتعوذ من النكسة بعد البلة ويحذر منه أن يعود . وما هي الا بضع سنين استراح فيها من لأوائه فهجم في أواخر عام ١٣٤١ على حين غفلة عليه فانقطع عن التدريس أياماً كان لا يقدر فيها على شيء ، ثم أشار الاطباء عليه بترك المطالعة والمحادثة والاشتغال بما من شأنه اتعاب الذهن فلم يلتفت اليهم فاستحوذت عليه الحمى وضعف قلبه ونحل بدنه حتى لم يعد يقوى على تحمل المرض فكانت أقل صدمة تصيبه تسلمه الى النفاد

عملت تلك الادواء عملها فيه وظل ينتظر تلك الصدمة التى تريحه من عناء هذه الدار التي كثيراً ما كان يتبرم بها ، فأصيب في أول الثلث الاخير من شهر رمضان سنة ١٣٤٢ هـ بذات الرئة فشعر بالموت وأخبر أنه ضيف عند الآل والاصحاب لا يلبث أن يزمع الرحيل بعد أيام الى منزل آخر ، وطلب اليهم أن يكرموا نزله ولا يؤذوه بالاطباء وعقاقيرهم . ولبث ثلاثة عشر يوماً يقاسي الآلام والمرض يزداد يوماً فيوماً وهو يمتنع عن تناول الدواء الا قليلا حتى دعاه داعي المنون وكتب العلم محيطة به من كل جانب فتوفاه الله عند أذان ظهر اليوم الرابع من شوال ، فاشتغلت في الحين المنائر معلمة بوفاة إمام العراق الكبير ،

فاستحوذت الدهشة على الناس، وأخذوا يهرعون الى تشييع جثمانه الطاهر من كل جانب، وازدحمت الجموع على باب داره والطرقات وامتلأ جامع العاقولي والمحلّة وكثير من الدور فتولى غسله بعض الفقهاء وعجل بحمله لاشتداد الحرّ وتزاحم الجموع. ولما أخرجت جنازته فما هي إلا أن رآها الناس فأكبوا عليها وعلا الضجيج وحملوا النعش على الرؤوس وساروا به بين تكبير وتهليل وعلى حافتي الطريق رجال ونساء يبكون ويعولون. وكلما مشى النعش خطوة ازداد عدد المشيعين والباكين والمتأسفين فكان يومه يوماً مشهوداً ومشهده مشهداً عجيباً لا أظن أن بغداد في عصورها الزاهرة رأت مثله. ولما وصلت الجنازة جبانة معروف الكرخي في الكرخ صلى عليها جمع كثيف بمبلّغين كثيرين ينقلون تكبيرات الإمام وقد أشرفتُ عليهم حال الصلاة وجعلت أنظر يميناً وشمالاً فرأيت المصلين قد طبقوا تلك الفسحة كلها. ثم حملت الى جبانة الجنيد البغدادي حيث كان قد أوصاني بدفنه هناك وصلت عليه جماعتان كبيرتان أيضاً، واجتمع جمع من العوام وصاروا يلطمون عليه على نحو ما تفعل الشيعة يوم عاشوراء، ويصيحون « شالْ بحر العِلِمْ شالْ » ولم يسع أحداً أن ينكر عليهم حتى كفوا من عند أنفسهم، ووُوري بعيد العصر وقبيل الغروب في رمسه. طيب الله ثراه، وأحسن مثواه، وجعل الجنة نزله ومأواه، وانا لله وإنا اليه راجعون.

الاحتفال بتأبينه:

ماخرجت روح هذا الرجل الكبير من قفص جسده الى فضاء الجنان الا وناحت أسلاك البرق منبئة العالَمَ بوفاته، ولبست الصحف ثياب الحداد، ولطمت خدودها البيض بسواد المداد، وتبادل العلماء والادباء الذين يضربون على وتر الاصلاح رسائل التعازي، وحبروا المقالات الرنانه في تأبينه والتفجع عليه، وانبرى الشعراء للمباراة في رثائه شاعرين أجمعين بالفراغ العظيم الذي

كان يشغله في أمري الدين والدنيا

وقد أقيمت له في العراق عدة « فواتح » يتلى فيها القرآن الكريم وتولم فيها الولائم : كانت تتوارد اليها الجماهير تنشد فيها القصائد ويعزّي الناس بعضهم بعضاً بمصابهم الأليم .

أقيمت له (فاتحة) في داره : أنشد فيها تلميذه الشاعر الكبير معروف الرّصافي ، والزجّال الشهير ملا عبّود الكرخيّ ، والأديب عبد الكريم العلاّف وتشاعر آخر شيعيّ لا يستحق أن أذكر اسمه لأنه جاء بشعره متسوّلاً . . .

وأُخرى في مسجد حبيب العجميّ في الكرخ قام بها (السُّرَّ مَرّيّون - السُّامرة) أحسن قيام ، وأُخرى في مسجد الحيدرية قام بها أهل المحلة وأنشد فيها الشاعر عبد الرحمن البناء قصيدة بائية .

وأُخرى في الحلّة الفيحاء قام بها السيد عبد السلام خطيب الجامع الكبير وأنشد فيها الأديبان (نافع الحلّي) و(السيد قاسم السيد محمد)

وأقمنا نحن عصر يوم الأربعين (١٣ ذي القعدة) حفلة كبرى في فِناء جامع الحيدريّة دعونا اليها جمهوراً من العلماء والأدباء والوزراء والأعيان اكتظّ بهم الفناء والرواق وبقي كثير من الناس خارج الجامع يحاولون الدخول والشرطة تمنعهم خوفاً من الازدحام الذي يفسد نظام الحفلة ولم تتمكن من منعهم كما تشاء الا باغلاق الأبواب

واشترك في التأبين جماعة من الأدباء . وافتُتحت الحفلة بخطاب لنا بينا فيه مشروعية التأبين ودحضنا به أقوال المتقولين من أهل الحشو والجمود الذين يحسبون التأبين أمراً منكراً . . .

ثم قصيدة لنا . ثم قام المؤبنون بعد ذلك واحداً تلو الآخر ينشرون على الأسماع جواهر الكلم ، وهم : - الأستاذ عز الدين علم الدين عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومدرس الطبيعيات في مدرسة دار المعلمين ببغداد : ارتجل خطاباً بليغاً

بين فيه منزلة السيد الألوسي في عالم العلم ومبلغ تأثير كلامه على النفوس . والمحامي عباس العزّاوي من تلاميذ الفقيد . والسيد ابراهيم منيب الپاچه جيّ . والسيد ناجي القشطيني . والسيد عبد الكريم العلّاف ، وملاّ عبُّود الكرخي والسيد عبد الرحمن البناء . والسيد عباس العَبْدَ ليّ - وقد أرسل هذان تأبينهما من البصرة وتلاهما بعض الأدباء - والاستاذ معروف الرُّصافي وقد حالت بعض الاعذار السياسيّة دون انشاد قصيدته كما اضطرتنا الى حذف عدة أبيات من قصيدتنا . وناس غيرهم .

* * *

وأقام (المجمع العلمي العربى بدمشق) حفلة مشتركة بينه وبين أمير الكتاب السيد مصطفى لطفى المنفلوطى : شهدها جمهور كبير من علماء دمشق وأعيانها وفضلائها وطلاب مدارسها وطائفة كبيرة من وجهاء البلاد السورية الأخرى وقد افتتح الحفلة الحافظ الشيخ عبد الله المنجِّد بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم القى العلاّمة السيد محمد كرد عليّ رئيس المجمع كلمات أبان فيها الغرض من إقامة هذه الحفلة « الا وهو وفاء حق فقيدَيه اللذَيْن يعتز بهما المجمع لانهما ليسا مفخراً للعراق ومصر ، بل مفخر للعرب في كل مصر » وأشار الى أن هذا الوقت الذى تقام فيه حفلة المجمع تقام فيه حفلات في مصر والعراق وبيروت وحماه وحلب وغيرها ، وانه يشارك المجمع في حفلته هذه كثير من البلاد على بعد الدار . . .

وقدم الخطباء وقال : ان السيد فؤاد الملاّح من أدباء طرابلس الشام أرسل للمجمع مرثية بالفقيدين لا يتمكن المجمع من تلاوتها

وألقى بعده العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار كلمة جاء فيها « لو كان السيد الالوسيّ وليد الايام ، أو نتيجة الاعوام ، لكان المصاب فيه خفيف الوقع سهل الاحتمال ، ولكنه من الافراد الذين يجود العصر أو العصور بواحد منهم أو برجال يعدون على الانامل ، وهذا هو الذي يجعل الفجيعة بمثله اليمةً والخطب

عظيما » ثم تلا تأبينين أرسلا من بغداد (١) للاستاذ الباحث اللغوي الأب انستاس الكرملي (٢) لمؤلف هذا الكتاب . وختمهما بالثناء علينا وبما يراه بعين الرضى فينا . وأنشد بعده الاستاذ عز الدين علم الدين – وكان قد قفل الى الشام بمناسبة العطلة الصيفية لزيارة أهله – قصيدة غراء من نظمه أجاد بها أيما إجادة

ثم افتتح حفلة المنفلوطى العلامة الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع العامل وعقبه خطيبان اثنان أبنّا المنفلوطى ورثياه . ثم ختم الحفلتين شاعر جبل الشكام السيد محمد سليمان الاحمد الملقب « ببدوي الجبل » بقصيدة وصف فيها فجيعة الامة العربية بفقيدَيْها (الآلوسي) و (المنفلوطى) رحمهما الله . انظر م ٤ ص ٤٧٨ من مجلة المجمع . وعدد ٤٠٥٥ من جريدة المقتبس

***

وقد صُلّى عليه في الكويت صلاةَ الغائب عدةُ جماعات وكذلك في نجد فقد ورد كتاب يصف وقع نعيه الشديد (الذي وصل نجداً في ٣ ذي القعدة) على السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ، وأمره جميعَ سكان نجد حاضرها وباديها بصلاة الغائب عليه ؛ وما عرا النجديين عموما من الحزن عليه ... الى غير ذلك مما لم نُحِطْ به خُبْرا . وجدير بالعالَمَين الاسلامى والعربي أن يتفجع على رجل كالامام الالوسى قضى عمره بين الدفاتر والمحابر منصرفاً عن النعيم المادي الى النعيم العقلي الذي هو مطمح أنظار ذوي النفوس الكبيرة ، ومحتسباً حياته لخدمة الامة والدين

***

والآن – وقد صحبنا أبا المعالى من يوم مولده الى يوم مماته ، وحدثناك عنه بما عرفناه عنه – آن لنا أن نسمعك شيئا من أحواله وأطواره وعلومه وآدابه فارع – رعاك الله – سمعك فُواقَ ناقة

المقالة الثانية

﴿أحواله وأخلاقه﴾ :

كان السيد رجلاً نادر المثال في مثل عصره ومصره ، مستجمعاً للفضائل ، واسع الاطلاع ، غزير المادة ، إماماً في معرفة مقالات أصحاب الملل والنحل ، سلفياً أثرِيّاً يأخذ بالدليل دون التقليد ، شديد الانكار على الحشويين والقبوريين وأبالسة التدجيل وكلاب الدنيا الذين يلصقون أنفسهم بالدين والدين ينكرهم ويبرأ منهم ، صريحاً لا يعرف المحاباة ولا المداجاة يقول للمصيب « أصبْتَ » وللمخطىء « اخطأت » وللصادق « صدقتَ » وللكاذب « كذبت »

وكان قويّ الشكيمة حميّ الأنف ، ذكيّ القلب ، شديد الغضب ، سريع الرضى ، عظيم التصلب بأخلاقه وعاداته ، عصبيّ المزاج : لا يكاد يصبر على صحبته ومثافنته الا من كان قريباً من مزاجه ، أو عارفاً بما يغضبه ويرضيه ، وواثقاً من سلامة صدره وخلوص نيته

وكان كثير الحياء عظيم التواضع لأهل التواضع ولكن لا كمن لبس كفن التماوت فوق ثيابه. يميل الى الفقراء ، أكثر مما يميل الى أهل الثراء ، بل كثيراً ما كان يلعن عباد الدينار وينعى عليهم جشعهم وحرصهم . وكان لطيف المعشر ساعة الرضى يقتبس منه الجليس النادرة اثر الشاردة ولا يكاد يملّ مجالسه بل يودُّ لو أنه يصاحبه طول العمر . يورد النكتة في خلال حديثه فيطرب لها السامع ولا يكاد ينساها

وكان بعيداً عن التأنق في الملابس والمآكل وقد سئل في ذلك فقال « إنني أقنع بما في يدى يقع » . وإن رائيه ليحسبه ــ لولا ما عليه من نور النبوَّة وجلال العلم ــ من سائر الناس ولكن لسان حاله يقول نحو ماقاله الإمام الشافعيّ في نفسه :

عليّ ثياب لو يباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس بمثلها نفوس الورى كانت أعزّ وأكبرا

وكان يعتبر الوقت ثميناً لا يضيع منه شيئاً أبداً : ينهض الى المدرسة مبكرا فاذا تأخر الطلاب عن الوقت المعلوم طالع أو نسخ أو حفظ آيات من القرآن الحكيم وقد تمكن من اختلاس مثل هذه الفرص أن يحفظ نحو ثُلُثَيْه . وكذلك كان يفعل بعد الفراغ من التدريس الى أن يحين وقت الظهر فيقفل الى الدار . ثم يذهب الى المدرسة الثانية فيدرس الى ما بعد العصر ثم يعود الى الدار فاما أن يجالس لبعض الزائرين وإما أن يعود الى مثل عمله حتى العشاء فيصلي وينام تواً . فاذا كان ثلث الليل الأخير انتبه فاما أن يتهجد نافلةً له واما أن يكتب أو يطالع الى قبيل طلوع الشمس فيذهب الى المدرسة وهلم جرّا .

وكان يجلس للزائرين صباح كل جمعة وثلاثاء حيث لا درس في هذين اليومين وقلما يقبل فيما عدا ذلك زائرا . وكان لا ينقطع عن التدريس أبدا . وأذكر أنني انقطعت في يوم مزعج شديد الريح غزير المطر كثير الوحل عن الحضور ظناً مني انه لا يحضر أيضا فلما شخصت الى الدرس فى اليوم الثانى صار ينشد بلهجة غضبان

« ولا خير فيمن عاقه الحرّ والبردُ » !

وكان شديد الثبات جلداً على البحث والتنقيب والنسخ والمطالعة لا تعرف همته الملل ولا الكسل ، لا يؤخر عمل اليوم الى الغد مااستطاع . ولا يفرغ من عمل حتى يشرع في آخر . واذا استحسن كتاباً عاود مطالعته ولو كان مجلدات . وما ظنك بمن يتناول (لسان العرب) المعجم اللغوي لابن منظور الافريقي وهو في عشرين مجلداً فيدرسه من مبتداه الى منتهاه ثلاث مرات غير مغادر منه حرفا ؟ ثم ماقول فيمن ينسخ ديوان البوصيري وأمثاله ويصححه في أقل من اسبوع على وفرة أشغاله وكبر سنه وتناوب أمراضه ، بل يؤلف في شهر كتابا في سبعين

كراسة بياضاً من دون تسويد ؟ بمثل هـذا المضاء وقوة الارادة بلغ رحمه الله شأواً تقصر دون بلوغه همم الابطال ، ونال من المجـد ما لا يكاد يشيده الوف الرجال ، فيحق له ولمن كان له مضاؤه أن ينشد :

يامن يحاول بالأماني رتبتي   كم بين مُستَفِلٍ وآخر راق ؟
أأبيت سهران الدجى وتبيته   نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي ؟

لا والله ! لا تدرك تلك الرتبـة بالأماني ولا يبلغ ذلك الشأو بالكسل والتواني !

وكان في آخر أمره لا يجتبي تلميذاً مالم يعجم عوده ويثق من أدبه وذكائه لأنه رأى من بعض الأذناب الذين خرجهم وجعلهم بفضله في الذؤابة ما لم يكن ليأمله من ضروب الاساآت وسوء المنقلب والعياذ بالله :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضر كوضع السيف في موضع الندى

ولمـا حاولت الاتصال به والاخذ عنه كلفني نسخ كتاب نقض أساس التقديس للامام شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وكان قد استكتب منه نحو مجلدين كبيرين وجدهما في الشام وغيرها ، وإنمـا أراد بذلك اختبار مقدرتي وفهمي ، والتحقيقَ من الخارج عني ؛ حتى اذا ما وثق مني أمرني بحضور الدرس ، وبذل من العناية بتعليمي وتدريبي ما أنا عن شكره ووفائه عاجز !

***

ونختم هذه الكلمة بشهادة لعالم مصلح كبير (أظنه الشيخ كامل الرافعي) كان قد زار العراق واجتمع بعلمائه ونشر في مجلة المنار الغراء مقالة بديعة وصف بها حالات العراق السياسية والعلمية والادبية واستطرد الى ذكر الفقيد وابن عمه وأثنى عليهما بلسان الانصاف ما شاء الله أن يثني .

وبقصيدة عامرة في صفته أملتها أخلاقه السامية ومزاياه العالية على قلم صديقه العالم الاديب الضليع أحمد بك الشاوي الحميري رحمه الله وكان في إحدى البلاد نائياً عنه .

١ – كلمة الرافعى

قال الرافعي :

« ... ولقد اجتمعت بكثير من علماء بغداد وعقلائها وأشرافها ولم أر فيهم أجمع لفنون الفضل وصفات الكمال كشكري أفندي الألوسي وابن عمه الحاج علي أفندي . فلقد رأيت من سعة اطلاعهما وقوة دينهما وسلامة عقيدتهما السلفية واستنارة عقولهما ووقوفهما على حكمة الدين وأسراره واطلاعهما على أمراض الإسلام والتهابهما غيرةً وحمية على الدين ومجاهدتهما في سبيله فريقاً من الجامدين من المقلدة وعبّاد القبور — مابهرني وعشقني فيهما . ولقد أوذوا في هذا السبيل وامتهنوا فما ضعفوا وما استكانوا ، ولا يزالان يصدعان بالحق ويهتفان بضرورة الاصلاح مع منازعة اليأس لهما وأعداؤهما من عَبَدة القبور والأوهام وأنصار التقليد والخرافات ينبزونهما باسم الوهابية لينفروا منهما ويحضّوا الحكومة على اضطهادهما . غير أن حزبهما من ذوي العقول النيرة وطلاب الاصلاح أخذ ينمو عدده ويكثر عضده وكلهم أو جلهم من الأعيان وذوي المكانة ورفعة الشأن . ولم أر أحداً يقدر مؤلفات ابن تيمية وابن القيم قدرها مثلهما . ولهما تعشق غريب فيها . وقد سعيا في طبع الكثير منها . وهمهما مصروفة وراء تتبعها لاطمع لهما في ذلك سوى خدمة العلم والدين فلله درُّهما وعلى الله أجرهما ...

ولشكري افندي قوة على التأليف عجيبة ، وقد ألف في رمضان رداً على

الشيخ يوسف النبهاني في سبعين كراساً بياضاً من دون تسويد . وقد تكفل بطبعه أحد تجار جُدَّة فأرسله اليه وهو كتاب نفيس يقضي على النبهاني قضاء لا يسمع له صوت من بعده ... الخ » (مجلة المنار : م ١١ ص ٤٦) .

٢ - قصيدة الشاوى

معاتبتي - لو أعتب الدهر - للدهر ... بما قد جرى لا تنقضي آخر العمر
وحربي مع الأيام لاصلحَ بعده ... ولا هدنة حتى أوسـد في القبر
وكيف وقد روّعتني بفراق من ... عليَّ فراقيـهِ أمرّ من الصبر
أخ ماجـد مادنّس اللؤم عرضه ... ولا خاط كَشْحَيْهِ على الغدر والمكر
ولا قلبٌ قلب المودة إنْ يَغبْ ... له صاحب يدميه بالناب والظفر
ولـكنه يعطي الاخوّة حقها ... ويجمع للخـلّ الوفاء مع النصر
ولا هو ممن همّه لبس فروة ... يباهي بها أقرانه من بنى المصر
وينفض تيهاً مِذْرَوَيْهِ مفاخراً ... ويدفع من فرط التكبر بالصدر
ويرفـل في أثوابه متبختراً ... وينظر كيما يُرهب الناس عن شزر
ولو عدلت من ظالم الدهر قسمة ... لعدلت بالصفع الذي فيه من صعر
وعلمته كيف السيادة عندنا ... وكيف يسود المرء من حيث لا يدري
وعرّفته أن المعاليَ لم تكن ... بأردية حمر وأردية صفر
وأن الفتى لا يمتطي صهوة العُلا ... بأكل لُباب البرِّ يُلْبِك بالتمر
وما ذاق حلو المجد من لم تلذّه ... ويغفـر زلاّت الأخـلاء بالمرّ
لعمري لقد جربت أبناء دهرنا ... برمتهم في حالة الخير والشرّ
وقلّبتهـم ظهراً لبطن بأسرهم ... مراراً لدى الحاجات في العسر واليسر

فما سمعت أذناي ما سرّ منهم ولا أبصرت عيناي وجه فتى حرّ
وما إنْ رأى إنسان عيني واحداً كماشئت إنساناً يعد سوى (شكرى)
ولو لم يكن في حاضر العصر مثله لقلنا على الدنيا العفاء بذا العصر
فقل لغبيّ قاسه بسوائه ولم يعرف التبر المصفى من التبر :
عداك الحجا أين الثريّا من الثرى وأين حصى الحصباء من درر البحر؟
وهل يستوي لادرَّ درك عالم وفهٌّ جهول ناقص الدين والحجر

أميز أطواره :

كان شيخنا رحمه الله بصيرا بالعواقب ، بعيداً عن الاغترار بالمظهر الكاذب لايكاد يستهويه زخرف الدنيا المخادع ، ولا تستميله المطامع . فلذلك كان من أطواره الميل الى من يتقي المحارم ويتجنب الشبهات ويستقيم على العمل الصالح ويثابر على خدمة الدين والأمة — والامتعاض من المتمجدين أصحاب الجاه الكاذب والمجد العاطل أولئك الذين تجردوا عن كل كمال ، فافتخروا بعظام في القبور بوَال ، وتعروا (كالابرة) عن كل فضيلة وأدب ، فاستطالوا على البرية بما جمعوا من المال والنشب ، ولا بدع اذا ما كان يمتعض منهم فان وجود هؤلاء بين ظهرانينا لأضر على جسم المجتمع من الجراثيم الفتاكة والطواعين الجارفة فلقد رأيناهم لايهمهم سوى أمرهم شيء ... استحبوا الأثرة وغرقوا في تيار الشهوات بين آذيّ الاهواء وألموا بالعمل السفساف ، وأسفوا الى الدناءة أيما إسفاف : الطمع رائدهم والشح قائدهم واختلاس أموال ضعاف العباد ديدنهم والأصفر الرنان قبلتهم ودينهم يجودون على الراقصات بالقناطير ، ولا تندى أكفهم لمصالح البلاد بقطمير ، يجيبون مناديَ الهوى ، ويعصون داعي الهدى ، لاحياء لهم ولا إيمان ، أولئك هم شرار الخلق عند الله ...

وكما كان يمتعض من هؤلاء كان يمقت التزلف الى الحكام (وكل من يتزلف اليهم) أشد المقت ، ويبتعد عنهم ولا يغشى أبوابهم خشية الافتتان ، وهرباً من الزلق في مداحض الشيطان ، فانه ليس أضر على الدين وأبعث على اضاعة العلم وفساد الاخلاق من مخالطة الامراء المستبدين ، وحكام السوء الجائرين ، وإن المتردد اليهم لا يؤمن عليه أن يحرف الكلم عن مواضعه وينبذ كتاب الله وراء ظهره ويشتري به ثمنًا قليلا ثم يدنس عرضه بخيانة وطنه وأمته وبترويج المظالم القاسية التى تئن منها الانسانية عليهما حسب أهوائهم طمعاً بنيل الحظوة واكتساب الرتب والتحلي بالحلل الموشاة والأوسمة البراقة والسلاسل الذهبية ، كما قد رأينا في زماننا ما كان لكثير من الهياكل الجوفاء علماء الشعار والدثار وأدعياء العلم الذين يلبسون على العامة أنهم علماء ! وما دعواهم - يعلم الله - في العلم إلا كدعوى حرب في زياد ! رأيناهم كيف يتهافتون على أبواب الامراء ، ويتصاغرون للعظماء ، لتعظمهم جماهير الدهماء ! وكيف يتملقون للحكام ويسبحون بحمدهم بكرة وأصيلا ! وكيف يواثبون رجال الاصلاح وينبزونهم بالالقاب ، ويسيئون سمعتهم لدى جماهير العوام بدعوى الدفاع عن بيضة الدين وهم — يعلم الله — يحاربونه ويتجرون به ! وكيف اشتروا بدينهم الدنيا ، وضللوا الامة ، وقادوها بخطام الضلال الى دركات الذل والهوان .

واذا سئلوا ، قالوا : إننا قد كفينا - ولله المنة والشكر ! - فتنة الدنيا وزهدنا في حطامها وجاهها ولا نغشى أبواب الحكام الا لضرورة شفاعة أودفع ظلامة ، أو لنصيحة ، وإرشاد الى مصلحة !! وان يريدون لعمر الله الا الحطام والجاه ، والتعاظم على عباد الله ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

لقد كان السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم يفرون من الامراء المستبدين

فرار السليم من الأجرب حتى ان بعضهم سلك في هذا سبيل الخشونة ولم يكرموهم وان زاروهم استحقاراً لهم . ورووا في ذلك آثاراً وأخباراً لا تكاد تدخل تحت العد والحصر . وقد جمع السيوطي كثيراً منها في كتاب خاص أسماه (الأساطين فى عدم المجيء الى السلاطين) ولم نقف عليه . منها قوله صلى الله عليه وسلم : « العلماء أمناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم » ومنها « من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن » ومنها : « ان ناساً من أمتي يتفقهون في الدين ويقرأون القرآن ويقولون نأتي الامراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ، ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم الا الخطايا » ومنها « سيكون في آخر الزمان علماء يرغبون الناس في الآخرة ولا يرغبون ويزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون وينهون عن غشيان الامراء ولا ينتهون [1] » . وعن أيوب السختياني الامام الثقة المشهور قال « قال لي أبو قلابة - يا أيوب إحفظ عني ثلاث خصال : إياك وأبواب السلطان ، واياك ومجالسة أصحاب الاهواء ، والزم سوقك فان الغنى من العافية » . وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول : ان في هذا لَغنى عن هؤلاء السلاطين : وقال وهيب : — هؤلاء الذين يدخلون على الملوك هم أضر على الامة من المقامرين . وقال أبو ذر لسلمة : ياسلمة لا تغش أبواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه . وعن محمد بن داود البصري قال : لما ولي اسماعيل بن علية على العشور - أو قال : على الصدقات - كتب الى عبد الله بن المبارك يستمده برجال من القرّاء [2] يعينونه على ذلك فكتب اليه عبد الله :

---

(١) نروي هذه الاحاديث من غير أن نتحمل تبعة عدم ثبوتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاننا وان كنا نجزم بصحة بعضها الا ان فى النفس شيئاً من البعض الآخر وان صح معناه .

(٢) يعنون بالقراء علماء الدين .

يا جاعل العلم له بازيًا يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونًا بها بعد ما كنتَ دواءً للمجانين
أين رواياتك فيما مضى عن ابن عون وابن سيرين؟
ودرسك العلم بآثاره وتركك أبواب السلاطين
تقول: أكرهت، فماذا كذا زلّ حمار العلم في الطين!
لاتبتغ الدنيا بدين كما يفعل ضلال الرهابين

وأنشد ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ويورثك الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل بدّل الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة يبين لذي العقل إنتانها

وقال بعض الشعراء في فقيه يتردد الى أمير: —

قل للأمير مقالةً لاتركننّ الى فقيه
إن الفقيه اذا أتى أبوابكم لاخير فيه

وقال محمود الوراق:

ركبوا المراكب واغتدوا زُمَرًا إلى باب الخليفه
وصلوا البكور الى الروا ح ليبلغوا الرتب الشريفه
حتى اذا ظفروا بما طلبوا من الحال اللطيفه
وغدا المولّى منهمُ فرِحًا بما تحوي الصحيفه
وتعسفوا مَنْ تحتهم بالظلم والسير العنيفه

خانوا الخليفة عهده بتعسف الطرق المخوفه
باعوا الامانة بالخيانة واشتروا بالأمن جيفه
عقدوا الشحوم وأهزلوا تلك الأمانات السخيفه
ضاقت قبور القوم واتسعت قصورهم المنيفه
من كل ذي أدب ومعرفة وآراء حصيفه
متفقه جمع الحديث الى قياس أبي حنيفه
فأتاك يصلح للقضاء بلحية فوق الوظيفه
لم ينتفع بالعلم إذ شغفته دنياه الشغوفه
نسي الإله ولاذ في الدنيا بأسباب ضعيفه

***

وبعد فهكذا كان السلف الصالح رضى الله عنهم وعلى هذه القدم درج شيخنا الفقيد في غالب أطوار حياته ولا سيما في أيامه الاخيرة . فكم خطب الامراء وده فامتنع ، واستمالوه اليهم فتعزز ، وزاروه فلم يرد زيارتهم ، وقصدوه فأهملهم وعرضوا عليه المناصب السامية فزهد فيها . وقد سئل عن انقباضه وانزوائه مراراً عديدة فكان جوابه : انهم ان يريدون باستمالتي اليهم الا ترويج سياستهم على العوام لما يعلمون من ثقتهم بالعلماء وتعلقهم بقادة الدين ويأبى الله لي أن أبيع ديني بدنياي وأخدع أمتي ووطني

ولم يكن امتعاض الامام من الحشوية ـ أدعياء العلم ومتمجدي المتمولين ـ بأقل من انكاره وتشنيعه على جهلة النابتة الجديدة من كل غر لم تحكمه التجارب ، وإمّعة لايحسن غير محاكاة الفرنجة في الزيّ والاخلاق ، وأخرق تلقف كلمات من أفواه السذّج المارقين ، فطار بها فرحا وأخذ يتشدق بها في كل ندي ومحفل ، مزدريًا بدينه وعادات قومه الصحيحة الحسنة غير هياب ولا وجل واذا دعي

الى الهدى أبى واستكبر ، حاسباً نفسه الجرم الاصغر ، الذي انطوى فيه العالم الاكبر !

نعم ! وأي عاقل لايمتعض حينما يرى هؤلاء الشبان المتعلمين قد انسلخوا — بداعي الجهالة والهوى — من دينهم وقوميتهم ، وجرهم الطيش والغرور الى إنكار الخالق والاستهزاء بالنبوات والاستخفاف بالديانات وبكل مالا يتفق مع ماعليه جهلة الفرنجة من الآراء المأفونة ؟

مساكين هؤلاء المتعلمون ! قرأوا في المدارس قشورا من العلوم الجزئية وجهلوا كلّ الجهل العلم الكلي ثم استسمنوا أنفسهم بتخييل العلم — وهم ذوو ورم — فهجروا البحث وتركوا التفكير فظلوا وسطا فلاهم مثل العامة مقلدون ، ولاهم علماء محققون ، قد أصاب الجهل المركب منهم كل عرق ومفصل وتركهم الطيش في بيداء التعسف والخيالات هائمين ، فلا عقل مستحصف ، ولا رأى وثيق ، ولا ذهن مشحوذ ، يدرسون ولا يعقلون ، ويقرأون ولا يفقهون ، ويتفلسفون وهم حتى الجهل نفسه يجهلون !

سألت ذات يوم أحدهم : مادليلك على نفي الصانع وكيف تثبت أن الدين لايتفق مع العلم والمدنية ؟ فوجم وتلعثم ثم عيي وأحجم ؛ ولم يكد ينبس ببنت شفة تؤيد مدعاه وماكان منه الا أن قال — إنما أنا مقلد فلاسفة الفرنجة الذين عرفوا أسرار الكون واكتشفوا كنهه كهربرت سبنسر الفيلسوف الكبير وغيره !

فقلت — أسفاً عليكم ! كيف ينكر سبنسر أوغيره الخالق ويسخر بالديانات وهو القائل : « العلم الطبيعي لايناقض الدين — والدين هو السبب في سوق النفوس الى علم الطبيعة » والناقل عن الاستاذ هكسلي : « أن العلم الطبيعي الصحيح والدين توأمان اذا انفصل أحدهما من الآخر خرّا صريعين وماتا حتف أنفهما » ؟ ... ...

الحديث طويل وشرح الخزي الذي حاق بهؤلاء الاغرار أطول. وكفى بهم جهلا أنهم يقلدون ولا يفقهون ثم يحقرون الديانات وهم لم يعرفوا منها شيئاً وانما هم أشبه بالببغاء التي تسمع الاصوات فتحاكيها من دون أن تفقه لها معنى أو تقيم لها وزنا. فاهد اللهم قومي فانهم لايعلمون، وابعث فيهم روحاً تبصرهم وترشدهم فانهم لايعقلون!

﴿ سيرته في بيته: ﴾

لم أعرف من سيرته البيتية في أطوار حياته كلها شيئاً كثيراً فأبحث عنها وأتوسع فيها. ولكنني في مدة ملازمتي دروسه، وانتيابي مجلسهُ في بيته الفينةَ بعد الفينة ـ عرفت أنه منذ مدة اتخذ البيت الخارجي مسكناً له وحده، وانقطع عن الدخول الى البيت الداخلي حتي وفاته. اذ لا حليلة له فيه فيطمئن اليها ولا ولد فيأنس به، فكان يكتفي من صلة أخواته وذوي أرحامه باحتمال أعباء مؤونتهم في شؤون الحياة كلها.

ولقد كان رحمه الله مثال البساطة الاعلى في جميع أحواله: يدخل المرء بيته فيتخيل أنه في مسجد من مساجد العهد القديم، ثم يدير طَرْفه الى مجلسه فلا يرى غير مقاعد وكراسيّ هي في السذَاجة الطراز الأول، على بعضها خام مبرقش بالزرقة والبياض، وفي الرواشن والزوايا كتب مبعثرة غير منضدة لا قمطر يجمعها ولا خزانة تحفظها. وله خادم (ولا يزال حياً!) قد أكل الدهر عليه وشرب يذكر بنوح الانسان، أو بلبد نسر لقمان، وكان لا يكلفه أكثر من حراسة البيت ورش المجلس في أيام الصيف ولذلك لم يشق به كما شقى أبو العلاء بخادمه فقال فيه: ـ

ومن عناء الليالي خادم ضغن ... إن يؤمر الامرَ يفعل غير ما أُمرا

أما طعامه فلهنة الضيف ، وعجالة الراكب : يقنع بما تيسر ، ويملأ بطنه الشيء النزر ، ولم أرَه - وقد كان يهدى اليه أنواع الفواكه والحلويات - يأكل البقلاوة ، أو قاضي الحلاوة ، ولا الفالوذج ، أو حشو اللوزينج ، بل كنت أجده يوزّع كل ما يهدى اليه على أصدقائه ، وذوي قرابته وأحبّائه ، والى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، ولا يدخل بطنه منه غير الشيء النزر القليل جداً .

وكان من عادته أنه يأوي الى فراشه عقيب صلاة العشاء حتى في ليالي شهر رمضان التي اعتاد الناس احياءها سهراً ، وينتبه أبداً مع الفجر فاذا احتاج الى الضياء أوقد شمعة ووضعها على كرسي صغير بجانب الاقلام والدواة . وكان يفضل الشمعة من كل جهة على « الغاز » و « البترول » . . .

وكان يخبر أنه يستحمّ صبيحة كل يوم بالماء البارد حتى في صبارة البرد . وقد كنت أعد ذلك من تكليف المرء نفسه ما لا يطاق وأذكر له أني اذا اغتسلت في صكة عمي من حمارة القيظ بالماء غير المسخن مرضت مرضاً شديداً فكان يتعجب مني كما كنت أتعجب منه أشد العجب ويقرأ : وخلقنا كم أطوارا . . .

المقالة الثالثة

﴿ مميزاته : ﴾

النبوغ في أفانين من الفنون والعلوم نادر جداً ، فانا نرى الرجل لا ينبغ ويتفوق الا في صنف من العلوم ينقطع اليه بحثاً وحرثاً ولا يتخطاه ، ويعكف عليه لا يتعداه ؛ بل إن الشاعر ليجيد في فن من فنون الشعر ويقصّر فيما عداه ، فربّ بارع في النسيب مقصر في الافتخار ، وحاذق في الهجاء عاجز في الاعتذار . . .

ولقد نظرت الى رجال العصر فرأيت الكاتب منهم بارعاً فى صناعته مقصراً فى غيرها ، والمؤرخ ضليعاً فى علمه عاجزاً عن الخوض فى سائر العلوم ، واللغوي طويل الباع فى اللغة قصيره فى سواها ، وهكذا كلٌّ بصيرٌ فيما انصرف اليه . ولم أرَ من بينهم نابغة مبرزاً فى جملة من العلوم محققاً بها وضارباً منها بسهم وافر سوى (السيد الألوسيّ) فهو فى العلوم الاسلامية الامام الذي القيت اليه المقاليد والمقدام الذي لا يتقدمه أحد . وفى العلوم اللسانيـة الضليع الذى لا يشأى ، والفارس الذي لا يساجل . وفي التاريخ والسير والانساب العالم الذي يحق له أن يتمثل بقول القائل :

ما مرَّ في هذه الدنيا بنو زمن الا وعندي من أخبارهم طرف

لست فى دعواى هذه بحيث أعد مغالياً ومفرطاً لأنني أكتب عن استاذٍ لي أكبره وأجله وربمـا يربو الاكبار والاجلال على الانصاف فلا يجري القلم على صراطه مستقيما . كلاّ بل إنني لأخشى أن أكون قد قصرت في وفائه حقه ولم أبلغ بعجزي عن بليغ الوصف والتعبير ما هو أهل له من الثناء وحقيق به من الوصف . وهذا شعور عام يحس به كل من عرف السيد ودرسه من نفسه .

﴿ الدين وعنايته به : ﴾

الدين وضع إلٰهي يسوق ذوي العقول باختيارهم المحمود الى الخير بالذات وهو ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم . وإنه ليبلغ بالتسلط على صاحبه ما لا يبلغه متسلّط آخر مهما كان سلطانه . والشعور الدينيّ غريزة فطرية في النفوس يستحيل أن تزول منهـا كما يستحيل أن تزول منها غريزة الحب والبغض . واذا رأيت انساناً متسماً بالالحاد فانما ذلك عرض طرأ عليـه من شُبَهٍ علقت بذهنه وظنَّ بمجرد نظره السطحيّ أنها والدين على طرفيْ نقيض ، ولو أعمل فكره وبحث وحقق لتبين له فساد شبهه ولرجع بحكم الضرورة الى الفطرة التي فطر عليهـا

لا مَحالة . ولقد أفضى البحث بالعريقين في الإلحاد ومناوأة الأديان من فطاحل فلاسفة الغرب الى التصريح بأن الشعور الديني هو غريزة النفس البشرية لا يقل في التأثير عن الشعور بضرورة الغذاء كما أدت بهم نتيجة بحثهم وتحقيقهم بأنه لا بد للنوع الانساني من دين يكبح جماح غيه ويكفل له السعادة في أولاه وأخراه وأنَّ (القوانين المدنية) التي هتكت المحرمات ، واستباحت الزنى ومعاقرة الخمرة ولعب القمار وأكل أموال الناس بالباطل - إنما هي معاول تقوض صروح المدنية وتقضي على الانسانية . قال الفيلسوف الشهير أرنست رينان Ernest Renan في كتابه تاريخ الأديان : « من الممكن أنْ يضمحلّ ويتلاشى كل شيء نحبّه ، وكل شيء نعده من ملاذ الحياة ونعيمها . ومن الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة العقلية والعلم والصّناعة ولكن يستحيل أن ينمحيَ الدين أو يتلاشى ، بل سيبقى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادّي الذي يودّ أن يحصر الفكر الانسانيّ في المضايق الدنيئة للحياة الطينية » .

وقال الاستاذ كاميل فلامريون (Camille flammarion) : لا يجوز لنا أن نخجل من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط لأننا رضينا به ، وأصبحت عقولنا المتشبعة بالاثرة لا همّ لها الا أغراضها الذاتية ! أليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها ، والحصول على المجد بطريق الاغتيال لا الكسب ، والجمود وعدم الاهتمام بالدستور والواجبات . وان من التناقض البيّن المؤلم أنْ ترى أن الرقيّ الباهر الذي حصل في العلوم مما لا مثيل له في التاريخ ، وان هذه الفتوحات المتوالية التي تمّت للانسان في الطبيعة بينما رفعت عقولنا الى المدركات العالية - أهبطت انسانيتنا الى أخس الدركات . ومن المحزن أن نحسّ بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوماً بعد يوم ، تنطفيء حرارة قلوبنا ، وتتصوّح زهرة حياتنا القلبية ، بتأثير غلبة المطامع المادية ، والشهوات الجسدية »

ومما قال الفيلسوف الحكيم الانكليزي هربرت سبنسر (Herbert spencre) لحكيم الاسلام الشيخ محمد عبده حين تلاقيا بمدينة بيرن عاصمة سويسره في صيف سنة ١٣٢١ على مانقلت مجلة المنار : محي الحق من عقول أهل اوربة واستحوذت عليها الأفكار المادية فذهبت الفضيلة . وهذه الأفكار المادية ظهرت في اللاتين أولا فأفسدت الأخلاق وأضعفت الفضيلة ثم سرت عدواها منهم الى الانكليز فهم الآن يرجعون القهقرى بذلك وسترى هذه الامم يخبط بعضها ببعض وتنتهي الى حرب طامة ليتبين أيها الأقوى فيكون سلطان العالم .

***

والدين الوحيد الذي يجري مع العقل جنباً الى جنب ، ويدور على محور السعادة ، ويجمع شتات الامم المتفاوتة بتفاوت العقول والميول ، ويصلح لمرافق الحياة في كل زمان ومكان — إنما هو الدين الاسلاميّ المبين [١] . لا الأديان التى بنيت على إلْف قوم مخصوصين وكانت معرضة للتغيير والتبديل على حسب ماتدعو اليه حاجة أهلها، ولا القوانين الوضعية التى بيّنا حالها ومكانتها في نظر العلماء .

لانقول هذا بمجرد دعوى ندعيها أو رأي نرتئيه . كلا ! فان الناظر في القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة ليطل من شرفاتهما على حكم واسرار يقضي المتأمل فيها العجب ويشهد الحس لأول وهلة بأنها هى الغاية التي يسعى وراءها البشر في الوجود .

الدين الاسلاميّ فوق أن تحيط بوصفه الطروس وماوسقت ، والاقلام وما نسقت ، « ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله » فماذا عسى أن أشرح في هذه الوريقات من تلكم المحاسن

(١) قال ابن سينا : لم يقرع العالم ناموس أفضل من ناموس محمد صلى الله عليه وسلم .

والمزايا التي رفعت رأس الانسانية ، وماذا عسى أن أحصي من درارى السماء ، وقطرات البحار ؟ ولـكنني بكل صراحة أقول : إن من قارن بينه وبين مجموعة أعمال غالب الذين ينتمون اليه اليوم ليجد بينهما بوناً شاسعاً ثم يقف حيال هذه المعضلة مبهوتا ! واليك تعليل ذلك :

كانت الجزيرة ، قبل انبلاج الفجر الاسلامي الزاهي — كما يعلم كل واقف على تاريخ العرب — منقسمة الى قبائل وفصائل و بطون وأحياء وعشائر تأصلت ضغائنهم واستحكمت عصبيتهم فهم أبداً في نضال دائم ونزاع مستمر لاتهدأ لهم نائرة ولا يقر لهم قرار . وكان أحـدهم شعلة نار تضطرم يؤزّ هذا ويطعن ذاك لاهمّ له غير الـكر والفر والانتصار لذوي القرابة سواء أكانوا ظالمين أم مظلومين كما قال شاعرهم :

قوم إذا الشر أبدى ناجذَيْه لهم ... طاروا اليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

و كانوا من جهة التدين في أخسّ أنواع الوثنية والمجوسية ، ومن جهة العادات والمعايش فيما بينهم و بين الحياة المدنية بعد مابين الارض والسماوات .

ظهر الدين الاسلامى فخضد شوكة الوثنية ، وأخنى على العصبية الجاهلية ، فألّف بين قلوبهم وجمع كلمتهم ووحد قواهم . ثم انتحى اليهودية فاكتسحهـا من الجزيرة ولم يدع لها بعـد عزها ومنعتها أثراً بعد عين . ثم زحف الى النصرانية والمجوسية فدك عروشها . ومضى يشيد في المعمورة قواعده وينشر ألوية المدنية والسلام مما اطمأنت له النفوس المرتاعة وطهرت به القلوب المدنسة وخضعت له الارواح المتمردة . كل هذا في أقل من نصف قرن مما لم يعهد له مثيل في التاريخ. ولـكن جماعة من بعض تلك الامم التي كانت تدين بمذهب (زردشت) وعبادة (أهريمان) و (هرموز) وتسجد للشمس لم يكن ليروقها ذلك ويرضيها كما هو

شأن الخاصة الذين يمنعهم من قبول الحق استكبارهم أن يكونوا تبعاً لغيرهم وحرصهم على حفظ مكانتهم ومراكزهم في قلوب السواد. فلم يجدوا ما يحجبون به أنوار تلك التعاليم - التي زعزعت أركان نحلهم بل أخنت على أممهم - خيراً من الكيد لها والوقوف في طريقها، فدخلوا في الدين رياءً، واصطبغوا بصبغة خيار أهليه، وصاروا يلقون بين المسلمين بذور الشقاق ويغرسون حنظل الخلاف حتى كان من الحوادث ما جعل المسلمين، الى يومنا هذا متشاكسين، ثم قام آخرون وأدخلوا في الدين من بقايا عقائدهم الفاسدة، وأساطير مذاهبهم الباطلة كل مالا يتفق مع روحه بحال من الأحوال ووضعوا كل ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة بطريقة الترغيب والترهيب وتارة بطريقة الدسّ على المؤلفين واخرى بطرائق أُخَر يعرفها الذين أوتوا العلم، وألقوها على ناس لا تمييز لهم فغرهم صلاح حالهم الظاهريّ فتلقوها منهم بالقبول فتباينت بذلك العقائد واختلفت المذاهب وتحيّز كلٌّ الى عقيدته ومذهبه، حتى كان من تكفير بعضهم لبعض جهلا وضلالاً، ثم مقاتلة ناس لآخرين حماقة وجنوناً ماهو غير خفيّ على أحد. ولم تزل أوضاع الدين تتقلّب وألوانه تحول - مما لا يسع المقام شرح أسبابه وعلله - حتى آل الى ما عليه المسلمون اليوم من الحالة التي يلوي المسلم العاقل دونها عنقه ويمرُّ بها خزيان، ويعدُّها الجاهل بالدين البعيد عن الوقوف عليه من الدين فيسخر به وبأهله. والامر لله من قبل ومن بعد.

كل ذلك بسبب شيوع البدع والمحدثات التى وضعها المدلسون وغرّروا بها الغافلين حتى حلّت عندهم محل السنن الدينية وهي شارة عار في جبين الاسلام لو محاها المسلمون واتبعوا هدى الدين لكانوا اليوم في الذروة التى كان فيها سلفهم الصالح والتى يحاول عقلاؤهم اليوم بلوغها. ثم مناهضة علماء السوء من أصحاب العمائم المكورة الذين جدّدوا عهد الوثنية، لأهل العلم الصحيح وإثارة الرأي

العـام عليهم تارة بالتكفير والتفسيق وأخرى بالنبز بالألقاب ، بل بالإرهاق والعذاب . كما حدثنا شيخنا التاريخ وكما نرى كل يوم بأم أعيننا مئات الحوادث في أنحاء العالم الاسلامي . فمـا أنكر منكر بدعته وحث على اتباع سنته الاقاموا بوجهه وأهانوه ولا قرر عالم حقيقة راهنة في الدين الا افتروا عليـه الافتراءآت وشنعوا عليه : كل ذلك تثبيتاً لمراكزهم في قلوب العامة وخوفاً على طعام يملأون به بطونهم أن يحرموه فيموتوا من عجزهم عن تحصيل القوت جوعاً . . . اذن فما حجب الاسلامَ الا أهله ، ولا أخر أهله الا ترك السنن واتباع البدع ، ولا نشر البدع الا علماء السوء الفجرة الفسقة ، ولا أعان علماء السوء الا الملوك الذين يتطلبون غفلة العوام ليتلذذوا ببذخهم وترفهم من غير نكير . ولله در القائل :

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبـار سوءٍ ورهبانها

ورحم الله حكيم الاسلام الإمام محمد عبده حيث يقول :

ولستُ أُبالي أن يقال : محمد أبلّ أو اكتظت عليـه المآتم

ولـكن ديناً قد أردت صلاحه أُحاذر أن تقضي عليه العمائمُ

على أن طائفة من الامة لا تزال ظاهرة على الحق ، رافعة رايته ، حامية بيضته ، لا تدع وباء البدع يتفشى في النفوس الزاكية ، والقلوب السليمة ، وان قامت الدنيا وما فيها تحاربها أو تشنع عليها وتنبزها بمـا شاءت وشاء لها الهوى من الألقاب والمسميات . اولئك هم حماة الاسلام ، دين السلام ، وبفضلهم ثبت الدين هذا الثبات العجيب على ما أصاب جسمه من الصدمات المؤلمة ، ولم يكد يلمّ في قلبه ألم :

ولو لا رجال مؤمنون لهدّمت صوامع دين الله من كل جانب

ولقد انقسمت هذه الطائفة المباركة في عصرنا هذا بحكم تعدّد الواجب الى

قسمين : فريق أسعده الجد بتعلم اللغات الافرنجية فقام يدفع عن الدين ما يتوجه عليه من الاعتراضات والانتقادات ، ويقرّر حقائقه ويبرهن للعالم أنه ـ فضلا عن براءته من الأضاليل المنسوبة اليه ـ ناموس السعادة وملاك المدنيّة ؛ وفريق انتصب يحارب البدع والمحدثات وينشر لواء التوحيد ويحذر المسلمين من علماء الشعار والدثار وكيد الدجاجلة الملبسين . . . ولعل هذا الواجب بالنسبة الى صلاح المسلمين أنفسهم أهم من الأول وأشد ضرورة منه .

ولأستاذنا السيد الألوسي النصيب الاكبر ـ بين هذا الفريق ـ من ذلك . احتسب حياته لخدمة الدين الاسلامي ، وتطهيره من أوضار البدع والمحدثات التي فتّت في ساعده ، وبذل في ذلك غاية جهده . فجاهد أهل الحشو ودعاة عبادة القبور جهاد الابطال ، فى ساحات القتال ، فكان سيفاً ماضيا في رقاب الحشويين والقبوريين . ثم انتحى الى المذاهب الفاسدة المبنية على الحبّ والبغض فأظهر للملأ ما تنطوي عليه من الخبائث والدسائس ، وما تضمره للاسلام ـ وإن كانت تنتمي اليه في الظاهر ـ من الكيد والعداء ، فخدم بذلك الامة ، خدمةً لا تربو عليها خدمة . وقد كان يرى أن في القضاء عليها قضاء على جميع البدع والأضاليل المنتشرة بين أهل الاسلام ، وأخذاً بيد الاسلام من حضيض المكانة الى ذروة عزه القديم ومجده التليد . وهو رأي سديد يرتئيه كل باحث عن سر تأخر المسلمين ويؤيده كل مطلع على أسباب تأخره وتقهقره .

جاهد السيدُ البدع والوثنيات ، ودعا الى التوحيد الذي هو أول ما كانت تدعو اليه الرسل ، وبين ضرر تقليد الآباء والسير على آثارهم الغامضة ، غير مدّخر في جهاده ودعوته وسعاً حتى كبح جماح الوثنيين ، وخفف من غلواء القبوريين أو كاد ، فكان له من التأثير المحمود في قمع الضلال ما لا سبيل لأحد الى

انكاره . وهذه آثار جهاده بين الأيدي ـ والمخطوط منها أكثر من المطبوع ـ تشهد له بالحسنى والمقام المحمود . وقد استضاء بأنوارها الداني والقاصي .

ولم يقف في جهاده عند هذا الحدّ فحسب بل سمت به الهمة أيضا الى السعي وراء نشر مؤلفات فطاحل الاسلام كالامام ابن تيمية وتلميذه الامام الشيخ ابن القيم وأمثالهما ممن لهم اليد الطولى في مكافحة البدع ونزع القشور عن لباب الشريعة ، فكان يبذل في الحصول عليها كل نفيس وغال ، ويسهر في نسخها وتصحيحها الليال ، حتى نشر بالطبع الشيء الكثير منها ، ولو لم يكن له من العمل سوى السعي في نشر (منهاج السنة النبوية) ذلك الكتاب العظيم الذي لم يكتب مثله عالم في الاسلام لكفى .

على أنه اذا انصرف الى خدمة الدين من هذه الجهة كل الانصراف فلم تفته العناية بالتوفيق بين الدين والعلم وله في ذلك مؤلف لا بأس به . وسنذكر ـ عند ذكره في مؤلفاته ـ مذهبه في ذلك . والله المستعان .

﴿ اللغة وعنايته بها ﴾

عرّفوا اللغة بأنها « أصوات يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم » فلغة الامة إذَنْ مظهر قواها العاقلة ، ودليل نفسيتها ، والمرآة التى تتجلى فيها جميع حالاتها الروحية والجسدية ، لان في كل لفظ من ألفاظها معنى يدل على الجهة التي نظرت منها اليه ، حينما وضعت ذلك اللفظ الخاص له واصطلحت عليه . فمجموع اللغة هو مجموع الأغراض والمقاصد التى احتاجت الأمة في أحوالها اليها وشعرت في حياتها بها فعبرت بها عنها ... ومن هنا تتبين النسبة مابين الأمة ولغتها ، ومنزلة حياتها منها ، كما يدرك سرّ قولهم « لاحياة للأمة الا بحياة لغتها » . وكأني

بالسلف الصالح قد أدركوا قبل غيرهم هذا المعنى . فإنَّ التواء مِقْوَل صبيّة أعجبها منظر السماء الزاهي فهتفت بصوتها العربي الرخيم متعجبةً « يا أبت ما أحْسَنُ السماء ! » أثار عصبيتهم ، وهاج نعرتهم ، فأشفقوا إنْ تركوا الامر هملا أنْ تصبح لغة القرآن يوماً غيرها ، فتندمج الامة في سواها وتكون كأنْ لم تُغْنَ بالأمس ؛ فرسموا من ذلك الحين الحروف ، ووضعوا الحركات ، واخترعوا النحو ودونوا اللغة وفنوناً أخر من متعلقاتها ؛ وعدُّوا علم اللغة من أركان الدين ، وإهمال هذا الركن اهمالاً للدين ، كل ذلك حفظاً للامة من الزوال والاضمحلال . عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه « لايقريء القرآن إلا عالم باللغة » وهو قول رشيد لان القرآن عربي ولا تفهم مقاصده الا باللغة . وقال الفارابي في مقدمة كتابه (ديوان الأدب) : « القرآن كلام الله وتنزيله ، فصل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم مما يأتون ويذرون ، ولا سبيل الى علمه وادراك معانيه الا بالتبحر في علم هذه اللغة » . وقال بعض أهل العلم :

حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة
فليس يضبط دين الا بحفظ اللغات

وهذا ما حدا بجميع علماء الاسلام الى دراستها والتفقه بها وبذل الجهود العظيمة في سبيل نشرها وتعميمها . فكان لها في عهد شباب دولة الاسلام وازدهار الحضارة العربية من الشأن الخطير ما كان للامة من الحول والطول والبسطة والسلطان والابهة والجلال . حتى اذا مادالت الايام ، وتقوّض عرش العرب ، وفقدت الامة جامعتها ، وانحلت عصبيتها ، وغلبت على أمرها لحق اللغة ما لحق الامة من الضعف والانحلال ، فسرت اليها لوثة العجمة ، ودخلتها العامية وخامرها الدخيل ، واعتورتها الركاكة ، وفشا فيها اللحن :

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الالوان مختلفات

ورُميت بالعقم والاملاق ، وضيق العطن والنطاق ، مع أنها - ولا نزاع - سيدة اللغات ، وأغلى الالسن مقداراً ، وأصفاها جوهراً ، وأوفرها مادة ، وأدقها خصائص وأسراراً ، وقد وسعت من المصطلحات الشرعية والعلمية والفنية ما لم تسعه لغة غيرها ، وبلغت في معارج المجد والعظمة منزلة لم تبلغها سواها ، ولولا كنوز ثمينة أودعت فيها لما اغتبط بها علماء الغرب ، وأسسوا لتعليمها في بلادهم المعاهد ، وشدوا الى أخذها عن أهلها الرحال .

ولقد انتبه أبناؤها اليوم بحمد الله من سباتهم العميق ، وانتعشت أرواحهم وشعروا بالحياة ، فاخذوا يعدون العدد لاحيائها ، واصلاح جوهرها ، مما طرأ عليه من أعراض الفساد ، والدفاع عنها وبيان مزاياها وخصائصها ، ناهجين نهج السالف الصالح علماً منهم بأنه المنهج المستقيم الذي لاخفاء فيه ، وأنه الطريق اللاحب الذي لاطريق يوصل الى الغاية غيره ولقد كان الاستاذ الالوسى في مقدمة رجالها العاملين على احيائها واصلاحها : انتبه من أول أمره الى فساد طريقة المتأخرين فضرب بها عرض الحائط . ثم نظر الى اللغة وما يتوجه عليها من المطاعن فانبرى ينزهها مما ينسبونه اليها من الضيق والاملاق ، وأزاح العواثير التي يلقيها بعض أبنائها الجاهلين في سبيلها فجعل النحت قياسياً لصوغ ألفاظ تسد مسد الالفاظ العجَمية وألف في ذلك كتاباً - كما أنه كان يرى في جعل الاشتقاق قياسياً سداً لكثير مما نحتاج الى وضعه في حياتنا الحاضرة . وهو رأي لامناص عن الاخذ به والعمل بمقتضاه وقد ارتآه غير واحد من المعاصرين وحض الجامدين على التبصر به والتساهل فيه . ولكن الاستاذ مع ذلك كله لم يكن ليجوّز الاغضاء عن الدخيل الا اذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه أو لم يمكن صوغ مثله . فأما مع وجود هذا الامكان فالاغضاء عنه بخس لحق اللغة عنده . . . ووضع في التضمين النحوي كتاباً فأظهر بذلك خاصية للغة اخرى هدَم بها كثيراً من مزاعم اولئك

المتطفلين الذين يتصدون لانتقاد اللغة وليس لهم - كما قال بعض الحذاق - من رأس مال الا وَرَدَ ولم يَرِد . عرضت عليه يوماً رسالة عنوانها (لغة الجرائد) من وضع رجل نصراني يدعى (ابراهيم اليازجي) كان يضعه قومه في منزلة فوق منازل أئمة اللغة السابقين ولا يرون له عديلا ، فما طالع منها عدة صفحات ، الا وعدَّد له بضع هفوات ، لا يكاد يقع فيها أصغر الدارسين ؛ وبين منشأ أوهامه ، ثم قال : كثيرون مثل هذا بين ظهرانينا [1] يدعون العلم باللغة وينتقدون أئمتها على غير علم وهم لم يقوّموا بعد ألسنتهم . ولم يطهروا من الرطانة واللكنة أنفسهم ، فيجب اذا تنازل الانسان الى مطالعة كتبهم أن لا يغتر بما يسطرونه ولا بما يؤيدون به مزاعمهم أيضاً لانهم يفهمون النصوص فهماً مقلوبا فيظنون أنها دليل لهم والحال أنها نقض لما يذهبون اليه !

وللاستاذ عدا هذا مؤلفات قيمة في أبوابٍ أخر سنذكرها في مصنفاته خدم بها الآداب العربية خدمة عظمى . هذا عدا ما نشره أو دلّ عليه فنشر من مصنفات أئمة الأدب واللغة التي تسد كثيراً من حاجاتنا مما لا يحضرني الآن أسماؤها وبعضها منشور في المجلات كالمقتبس وغيرها . وبفضله طبع كتاب (مبادىء اللغة) للامام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافيّ المتوفى سنة ٤٢١ هـ وهو سفر نفيس يجد فيه الباحث كثيراً من أسماء الأدوات واللباس والأثاث والطعام التي استبدلنا الكلمات الدخلية والعامية مكانها . وكذا كتاب (كمال البلاغة) تأليف عبد الرحمن بن عليّ اليزداديّ ؛ وغيره . وقد كان له من الحرص على إحياء آثار السلف ما ليس له منه معشار معشاره على مؤلفاته ، وهذا من غرائب أطواره .

---

(١) مثنى ظهر ، وزيدت الالف والنون في الصيغة لزيادة المعنى والتأكيد

﴿ التاريخ وعنايته به : ﴾

اتفق عقلاء الامم أجمع على أن التاريخ - على اختلاف ضروبه و تفرق شعبه - ضروريّ لعامة الناس ولا غنى لأحد عنه أبداً لما فيه من ضروب الفوائد والمواعظ والعبر التى لا تقوم بتعدادها الأقلام وما نسقت ، والطروس وماوسقت حتى قال بعضهم :

ليس بانسان ولا عاقل مَنْ لا يَعي التاريخ في صدره
ومَنْ درى أخبار مَنْ قبله أضافَ أعماراً الى عمره

يؤدى الينا التاريخ أحوال الأجيال الماضية ، ويفيدنا درسَ أخلاقٍ عظيم الخطَر ، ويشرح لنا العوامل المؤثرة في تقدم البشر وانحطاطه ، ويعيد ما مضى من العالم وحوادثه وعجائبه وغرائبه في صورة الخيال ، وينقشه في مرآة النفس حتى لكأننا نراه بالقلب ونشاهدهُ بالبصيرة ، فهو مرآة الأمم البائدة بل معادهم الروحاني ، ومرقاة الامم التى تتوق الى التقدم . وتتسابق في مضمار الرقي وتتنافس في التمدن والعمران . . .

والحازم من يتفكر فيعتبر ، ويتدبر فيذكر . ثم يتخذ له من تجارب تلكم الأجيال ، التي تقلبت بها الاحوال ، فصارت موعظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، نبراساً يهتدى بلألائه في ظلمات الحياة فينتقي النافع ويتقي الضارّ لتتم له السعادة والهناء وتكمل له أسباب البلهنية والرخاء .

ولقد اعتنى قدماء المسلمين بالتاريخ عناية فاقوا بها - كما فاقوا بغيرها - الامم حتى انهم ضربوا في الأرض ، ونقبوا في البلاد ، وبحثوا عن الآثار فدوّنوا أخبار الامم وسير الملوك والاقيال ، وتواصوا بمطالعته والسعي في اجتناء ثمراته وتدبر مواعظه وعبره . وكان فيما أوصى به أبو حيان بنيه « عليكم بمطالعة

التواريخ فانها تلقح عقلا جديداً » ومما قال المؤرخ الاسلامي العظيم عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي في مقدمة (عبره) : « إن فن التاريخ من الفنون التي يتداولها الامم والأجيال ، وتشد اليه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال ! إذ هو في ظاهره لا يزيد على الأخبار عن الايام والدول ، والسابق من القرون والاول ، تنمى فيها الأقوال ، وتضرب الأمثال ، وتطرف بها الاندية اذا غصها الاحتفال ، وتؤدى الينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال ، وحال منهم الزوال - وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق . فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد في علومها وخليق . . . » وقال أيضاً : « إن فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد شريف الغاية . اذهو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم ، والانبياء فى سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا الخ » .

ووصايا العلماء في الاعتناء بالتاريخ وحثهم على تدبره والتعلق بعبره ، لا تكاد تدخل تحت الحصر ، واجلالهم إياه فوق مايتصوره الفكر . ولا بدع فان لهم اسوة حسنة بالقرآن الكريم ، والنبي العظيم : فقد أتى القرآن طافحاً بأخبار الامم الخالية باسلوب يأخذ بمجامع القلوب ويهز أوتار النفوس ويثير فيها الاعتبار . وتوسع النبي صلى الله عليه وسلم في شرحها لأصحابه وبيان مواطن العبر والعظات فيها . . .

وفي الجملة ان التاريخ هو الدعامة العظمى في بناء المجتمع البشري فخليق بكل عاقل أن يُعيره نظراً زائداً غير مستغن عنه بجزئياته وكلياته ولا سيما تاريخ

العرب قبل الاسلام وبعده بالنسبة المسلمين فانهم – وقد جهل أغلبهم تاريخ سلفهم في دوري التقدم والتقهقر فافتتنوا بحضارة الافرنج الموهومة وازدروا بقومهم جهلاً وضلالاً – لفي حاجة شديدة الى التوغل في درس تاريخ أمتهم الزاهر وتدبر مغزاه، وفقه معناه، ليعلموا في أيّ غمرة من غمرات الجهل والهوان كان العالم وكيف حيي حياة طيبة حينما أشرقت شمس الاسلام من آفاق الحجاز فبدّدت جيوش الظلم والجهل وأنارت الخافقين ودخل الانسان بين لحظة وأخرى في طور جديد، وأقام أركان مدنيته على أسس راسخة لاتتزلزل مادامت السموات والأرض. وكيف كان الاسلام يعامل أهله . . . وكيف عظم شأنه وامتد سلطانه بأقصر مدة شرقاً وغرباً من نهر الكنج الهندي الى نهر اللوار الفرنجي" فأُنْشِئت الدول، ونظمت الحكومات، ونشر العدل، ونفى الظلم، ووطدت أركان البلاد، وعزت العباد، وصينوا من الدمار والفساد؟ وكيف كانت سيرة الفاتحين مع من فتحوا بلادهم، وجاسوا خلال ديارهم، اذ نشروا ألوية العدل والإنصاف، وصانوا الأموال، وثقفوا العقول وهذبوا النفوس؟ وكيف كانت سير الخلفاء الراشدين الهداة المهديين مع الرعية ولا سيما الذميين منهم، اذ اطلقوا لهم حرية دينهم، وتسامحوا معهم، وصانوا أعراضهم (١) وقربوهم منهم. وأسندوا اليهم كبار المناصب؟ وكيف عزّزوا العلم، ونشروا أعلامه الخفاقة على الأقطار، إذ شادوا له المعاهد، وأسسوا الخزائن وعزّ واحامليه وأحلوهم الذروة العليا والمكانة العظمى، فلا جرم أن من يعرف هذا حق المعرفة يظهر له أن هذه الحضارة الغربية لم تقم إلاّ على أسس التمدن العربي الاسلامي كما يتضح له سر المؤثرات التي قعدت بنا عن النهوض والسعي على آثار أسلافنا رحمهم

---

(١) قال [روبر تسن] في تاريخه : ان الذين بقوا فى بلاد الاسلام ورضوا ان يكونوا لهم رعية لم تبطل عندهم القوانين القديمة بل رخص لهم رجال الاسلام ان يبقوا على دين النصرانية ويعملوا بقوانينهم القديمة ويستمروا على ما كانوا عليه فى المحاكم من الاقضية والاحكام ويسلكوا فى الضرائب المسلك الذي كانوا عليه

الله . ولكن أين هؤلاء الذين ينظرون ويتبصرون وقد اندفع معظمنا وراء مدنية الغرب بغير حساب . بحكم قانون التقليد الأعمى الذي هو بعض ما مُني به الأمم المغلوب على أمرها ، وافتتن بها افتتاناً عظيماً حمله على الانسلاخ من دينه وقوميته ووصمها بما لم يخطر حتى على بال ألدّ اعداء الاسلام من قسيسي الغرب المعروفين ، ثم حذا حذوهم القذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضبّ لدخله . . . ويا ليت هذا الافتتان حمله على أن يقبس من صالح هذه المدنية قبساً ينير به لقومه سبل الحياة وينيف بهم على يفاع المدنيـة والعمران كما فعل أبناء الغرب حينما حملوا مدنيتنا وعلومنا الى قومهم .

الا فليصحُ شباب اليوم ورجال الغد من هذه النشوة الغربية ، وليعلموا أن حرصهم على قشور المدنية الاوربية مطوح بهم لا محالةَ الى مهاوي المهالك . فاذا حلّت بهم المثلات ، فهيهات أن تنفعهـم الندامة وهيهات !

وبعد فخليق بقوم يريد أن يضارع الأمم الحية ، ويحيا حياة استقلالية ، أن يلفت أبداً أخدعه وليته الى ماضيه ، ويضم الى تليده كل طريف مجيد ، ويحرر جهده أبناءه من التقليد الاعمى ، فانه علة العلل في التدهور والانحطاط ، وأتعِسْ بقوم جهل تاريخ الأمم وتاريخه ، وضيع ماضيه وحاضره ومستقبله .

ومن أجل ذلك كله عني السيد رحمه الله بالتاريخ ولا سيما بتاريخ العرب قبل الاسلام وأثناء البعثة وبعد الاسلام عناية لا تقل عن عنايته بالدين لأنه كما رأيت ركن من الأركان التي ينبني عليها الاصلاح الاسلامي ، وأصل عظيم يرجع اليه في فهم كثير من نصوص القرآن والسنة . فان من لم يتفقه في تاريخ العرب لا يكاد يدرك سرّ ذلك الانقلاب العجيب الذي أدخل الانسان بين اللحظة والأخرى في طور جديد وحياة رشيدة وأنه سر تربطه بالأمية يد فوق يد البشر . كما أنه لا يفهم كثيراً من نصوص الدين على وجهها الصحيح .

وجه السيد عنايته الى التاريخ العربيّ منذ الصغر وأكب على تفقهه وزاوله طول العمر ، حتى كان من أعلم الناس به في عصره ، لا أظن أن احداً يجاريه ، أو يشق غباره فيه ، وإنّ مؤلّفه بلوغ الأرَب الذي حاز قصب السبق في مضمار جمعية اللغات الشرقية في استكهلم ، وكذا كتابه شرح عمود النسب ، وأخبار أخيار العرب ، لمن أكبر الشواهد على بسطة علمه ، في معرفة تاريخ العرب وفهمه.

مؤلفاته

﴿ مؤلفاته الدينية الاصلاحية: ﴾

١ — (غاية الأماني ، في الردّ على النبهاني) قال العلامة المصلح الشهير السيد رشيد رضا في تقريظه (المنار م ١٢ ص ٧٨٥) : « كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الأعلام المكنى بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي . رد فيهما ما جاء به النبهاني (في كتابه شواهد الحق) من الجهالات والنقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى ، وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وأنصار السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية . ـ الى أن قال ـ وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية في التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والآداب والتصوف ، وما انفرد به بعض المشاهير فأنكره العلماء عليه كالانكار على الغزاليّ وابن عربيّ الحاتمي وغيرهما . فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون الينا من الشرق والغرب يسألوننا أن نرد على النبهاني ، وكذا من اغتروا بقوله وتقوّلِه وظنوا أن قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها « أنه لا يوثق بعلمه ولا بنقله » هو من قبيل السب . وحاشا لله ما هو الا ما نعتقده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها

ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة والنقول المكذوبة والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً وهو ينكر الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلا له الخ »

وقد طبع الكتاب في مطبعة كردستان العلمية بمصر ، بالتزام السلفيّ المفضال الشيخ عبد القادر التلمسانيّ رحمه الله .

٢ — (الآية الكبرى ، على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى) لما اطلع يوسف النبهاني على غاية الأماني « قامت قيامته ، وشالت نعامته ، وحاص حيصة الحمر الأهلية اذا رأت الأسد » فنظم قصيدة ركيكة رمى بها أجلّة المصلحين من علماء العصر ورتبها على خمسة أقسام : القسم الأول في مدح الكتاب والسنة والأئمة الاربعة ومذاهبهم !! والقسم الثاني في شتم موقظ الشرق جمال الدين الافغاني الشهير ، والقسم الثالث في شتم مفتي الديار المصرية الاستاذ الامام الكبير الشيخ محمد عبده لانتصاره لشيخ الاسلام ابن تيمية . والقسم الرابع فى شتم العلامة السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار وصاحب التآليف الاصلاحية لدعوته الي التمسك بجوهر الدين واطّراح الأعراض التى زادها عليه أمثال النبهاني ، والقسم الخامس في شتم النجديين ومن وافق الامام ابن تيمية والمصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب كالمفسر الألوسى وابنه صاحب جلاء العينين وحفيده صاحب غاية الأمانى . . . ولما كان شتمه للكل بسبب الذب عن السلف اقتصر الأستاذ على بيان ما في القسم الخامس من الزور والتضليل ومخالفة الحق على سبيل الاختصار ووسم ما كتبه « الآية الكبرى الخ » ؛ وقد ردّ عليه أيضاً جماعة من الفضلاء نظماً منهم الشيخ سليمان بن سحمان العالم النجديّ ، والشيخ محمد بن حسن المرزوقي القطَري ، والشيخ علي بن سليمان اليوسف التميمي ، وصديقنا الشيخ محمد بهجة البيطار العالم الدمشقي الجليل وغيرهم .

٣ — (فتح المنّان ، تتمة منهاج التأسيس رد صلح الاخوان) ذكر في أوله ما معناه : ان كتاب صلح الاخوان الذي ألفه الشيخ داود بن سليمان لما كان مشتملاً على ما يصادم الشريعة الغراء من الدعاء الى عبادة غير الله وجواز الالتجاء الى ما سواه وما الى ذلك من الشبه رد عليه العالم المحقق الشيخ عبد اللطيف النجدي بكتاب جليل أسماه (منهاج التأسيس) بيد أنه لم يكد يتمه حتى وافاه الأجل فأحببت أن أتطفل في إكماله الخ . وقد جاء الكتاب في ٢٥٨ صفحة مطبوعاً في الهند بالتزام محيي رفات المكارم الأمير الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني حاكم قطَر .

٤ — (المنحة الالهية ، تلخيص ترجمة التحفة الاثنى عشريه) الأصل للعلامة النحرير الشيخ عبد العزيز الفاروقي في اللغة الفارسية والترجمة للشيخ غلام محمد أسلمي الهندي وقد رأى فيها الاستاذ إطناباً وتكريراً لكثير من المسائل بعبارة بعيدة بعض البعد عن الفصاحة والانسجام فلخصها وضم اليها فوائد جزيلة بهذا الكتاب ثم قدمه الى السلطان عبد الحميد وذلك سنة ١٣٠١ هـ وطبع في الهند في (٢٠٠ ص) بالقطع الكبير .

٥ — (السيوف المشرقة ، مختصر الصواعق المحرقة) الاصل للشيخ محمد الشهير بخواجة نصر الله الهندي المكي ابن خواجة محمد سميع الشهير بمولانا برخور ولد الحسيني الصديقي . وهو رد على الشيعة بليغ في ٣٠٣ صفحات بالقطع الكبير فرغ منه سنة ١٣٠٣ هـ

٦ — (صب العذاب ، على مَنْ سبَّ الأصحاب) رد على الشيعة أيضاً في (١١٥ ص) بقطع الربع . وقد نقض به أرجوزة للشيخ أحمد أحدهم زعم أنه يرد بها ما أقامه أبو الثناء جد الفقيد من الادلة في كتابه (الأجوبة العراقية) .

٧ — (تجريد السنان ، في الذب عن أبي حنيفة النعمان) رد بليغ على غالٍ

من غلاة الشافعية ألف رسالة في الحط من أبي حنيفة . وهو في ٢٠٠ صفحة بالقطع الكبير . فرغ منه في أواخر شعبان سنة ١٣٠٦هـ ، وفيه مطالب في الفقه مهمة .

٨ — (سعادة الدارين . في شرح حديث الثقلين) رسالة في الرد على الشيعة باللغه الفارسية للشيخ عبد العزيز الملقب بغلام حليم ابن الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الفاروقي مصنف حجة الله البالغة ، وقد عربها الاستاذ وضم اليها بعض الفوائد المتعلقة بهذا الحديث ورتبها على مقدمة ومقصد وخاتمة ، فجاءت في نحو ٤٠ صفحة بقطع الربع .

٩ — (فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للامام محمد بن عبد الوهاب) لما يطبع .

١٠ — (كتاب مادل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) قال في أوله « . . . شاع في عصرنا قول فيثاغورس الفيلسوف الشهير في هيئة الافلاك ونصره الفلاسفة المتأخرون بعد أن كان عاطلا مهجورا وهو القول بحركة الارض اليومية والسنوية على الشمس وأنها هي مركز نظامها وأن الارض إحدى الكواكب السيارة وانها سابحة في الجو معلقة بسلاسل الجاذبية وقائمة بها كسائر الكواكب لا أنها ـ كما ذهب اليه بطلميوس ـ في الافلاك كالمسامير في الباب الى غير ذلك من قواعدها المشهورة ، وقوانينها المذكورة ، وقد سماها الفلاسفة المتأخرون الهيئة الجديدة لكونها شاعت في العصر المتأخر وإلا فالقول بها متقدم جدا ، وقد رأيت كثيراً من قواعدها لا يعارض النصوص الواردة في الكتاب والسنة على أنها لو خالفت شيئاً من ذلك لايلتفت اليها ولا نؤول النصوص لأجلها والتأويل فيهما ليس من مذاهب السلف الحرية بالقبول بل لا بدَّ أن نقول إن المخالف لهما مشتمل على خلل فيه فان العقل الصريح ، لايخالف النقل الصحيح ، بل كل منهما يصدق الآخر ويؤيده ـ الى أن قال ـ وقد أحببت أن أجمع ماورد

في هذا البـاب من الآيات المنتشرة في سور القرآن على ترتيب سورها وأخص منها المشتملة على الأجرام العلوية والاجسام السفلية وأذكر في تفسيرها ماذكره جهابذة المفسرين ملتزماً في ذلك طريق الاختصـار وأصح الاقوال وأصوب الافـكار . . . »

وهو يقع في ١٠٠ صفحة بقطع الربع ، وقد فرغ من إملائه عليّ في ٢٤ شوال سنة ١٣٣٩ هـ ، ونسخته وحيدة بخطّنا ومن أراد أن يطبعه فانا نقدمه اليه بدون ثمن .

١١ — (الدلائل العقلية ، على ختم الرسالة المحمدية) رسالة في نحو ٣٧ صفحة بالقطـع الصغير .

١٢ — (عقد الدرر ، شرح مختصر نخبة الفـكر) في مصطلح الحديث ، والمتن للشيخ عبد الوهاب بركات الشافعي الاحمدي في ٧٢ صفحة بخط دقيق . فرغ من تسويده في ١٨ شهر ربيع الاول سنة ١٢٩٩ هـ .

١٣ — (كشف الحجاب ، عن الشهاب في الحـكم والآداب) للقضاعي : لم أره . والمتن مطبوع في الاستانة وبغداد

١٤ — (مختصر مسند الشهاب ، في الحـكم والآداب) اختصرناه كلانا معاً والنسخة بخطنا في خزانة كتبه .

١٥ — (منتهى العرفان والنقل المحض ، في ربط بعض الآي ببعض) شرع فيه في أوائل سنة ١٣٤١ فوافته المنية قبل إتمامه .

١٦ — (كنز السعادة ، في شرح كلمتى الشهادة) في ٥٤ صفحة . ألفه فى جمادى الثانية سنة ١٢٩٨ هـ.

١٧ — (الروضة الغناء ، شرح دعاء الثناء) في ١٧ صفحة وهو باكورة مؤلفاته ألفه سنة ١٢٩٤ هـ .

١٨ — (اتحاف الامجاد ، فيما يصح به الاستشهاد) في ٩ صفحات كتبه سنة ١٣٠١ هـ .

١٩ — (القول الانفع ، في الردع عن زيارة المدفع) في بغداد أمام الثكنة العسكرية في الميدان مدفع مصنوع من النحاس يسمى (طوب أبي خزامة) وقد كتب على ظهره مما يلي الفوهة مانصه « مما عمل برسم السلطان مراد خان بن (كذا) السلطان احمد خان » وعلى مؤخره أيضاً مانصه : « عمل علي كتخداي جنود بردركاه عالي سنة ١٠٤٧ » أي : عمل عليّ الذي هو رئيس الجنود في باب السلطان . وكانت العامة تعتقد بهذا المدفع اعتقاد الجاهلية باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، إذ تنذر له النذور وتعلق عليه التمائم وتقبله وتتبرك به الى غير ذلك من المنكرات فحمل ذلك الاستاذ على كتابة هذه الكراسة باحثاً فيها عن تاريخه والمفاسد التى تنجم عنه وقدمها الى المشير هدايت باشا ليمنع العوام من هذه الأعمال المضادة لما جاء به الاسلام . وقد ترجمت الى اللغة التركية .

﴿ مؤلفاته اللغوية والأدبية ﴾

٢٠ — (الضرائر ومايسوغ للشاعر دون الناثر) رتبه على (مقدمة) تشتمل على ١٥ مسألة تتوقف عليها معرفة هذا الفن ، و (ثلاثة أقسام) - ١ في ضرائر الحذف - ٢ في ضرائر التغيير - ٣ فى ضرائر الزيادة و (خاتمة) في أمور تقع في فصيح الكلام وليست من الضرائر . « وقد تتبع فيه ضرورات الشعر التى سمعت عن العرب واستوفى الكلام عليها تمثيلا وتبييناً مما لم يسبقه اليه في وفرة مادته وحسن تبويبه وتنسيقه سابق . نعم كتب بعض علماء اللغة الاقدمين في هذه الضرورات ووضعوا لها المصنفات « غير أن أيدي الايام ، قد رشقتها من التلف بصائب السهام » كما قال المؤلف [(١)] .

(١) مجلة المجمع العلمى بدمشق (م ١ ص ٤٧٦)

وقد علقتُ عليه شرحاً لطيفاً سنة ١٣٤٠ ﻫ وطبع بالمطبعة السلفية بمصر فجاء في ٣٣٤ صفحة .

٢١ — (مختصر الضرائر) لمّا يطبعْ وهو في ٧٠ صفحة .

٢٢ — (الجوهر الثمين ، في بيان حقيقة التضمين) أي التضمين النحوي وهو إشراب اللفظ معنى لفظ آخر واعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين نحو قوله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أي يخرجون ، وقوله « واصلح لي في ذريتي » أي بارك لي ، وكقول الشاعر :

اذا رضيت عليّ بنو قُشَيْر لعمر الله أعجبني رضاها

أي إذا أقبلت عليّ ، وفي كونه مقيساً خلاف . ونقل أبو حيان في ارتشافه عن الاكثرين أنه ينقاس . والفرق بينه وبين الضرورة أن الضرورة ما وقع في الشعر مما لايقع في النثر سواء كان للشاعر عنه مندوحة أم لا كما هو مذهب الجمهور ، وهذا النوع كثر وشاع ولم يخص الشعر دون النثر . والكتاب يقع في (٥٠ صفحة) .

٢٣ — (كتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده) يقع في (١٣ صفحة) وقد جمع فيه ما وقع عليه من كلام الأئمة . وهو موضوع مهم لا يجوز إغفاله ولو لم يكن من فوائده الا أنه يسدّ مسد الكلمات العجمية التي اضطرنا اليها لكفى . والنحت : أن تنحت من كلمتين أو ثلاثٍ كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار وذلك كقولهم رجل عَبْشَميّ منسوب الى اسمين وهما « عبد شمس » وأنشد الخليل :

أقول لها ودمع العين جارٍ ألم تحزنك حَيْعلة المنادي

من قولهم حيّ على الصلاة . والامثلة كثيرة .

٢٤ — (كتاب تصريف الأفعال) فقد في جملة ما فقد من مؤلفاته وكتبه في اثناء نفيه .

٢٥ — (شرح أرجوزة تأكيد الألوان) الأرجوزة للشيخ عليّ بن العزّ الحنفي المعروف بالشارح الجارح أحد شراح الهداية . وقد صدّر الشرح بمقدمة ذكر فيها اختلاف الناس في حقيقة اللون ، واختتمه بخاتمة ذكر فيها ما ظفر به في كتب اللغـة من الأسماء الموضوعـة للألوان المختلفة فهو يشتمل على مقدمة ومقصد وخاتمة ؛ وقد نشر في مجلة المجمع العلميّ العربي (م ١ ص ٧٦) .

٢٦ — (السواك) بحث في العيـدان التى كانت تستـاك بها العرب أيام الجاهلية . وقد نشرتهُ في مجلة الحرية ببغداد (م ١ ص ٦٧) .

٢٧ — (المسفر ، عن الميْسر) في ٤٠ صفحة .

٢٨ — لعب العرب : رسالة لطيفة اقتطفها من كتاب لسان العرب لابن منظور الافريقي في اثناء مطالعته له عام ١٣٢٦ هـ

٢٩ — (المفروض ، من علم العروض) في ٧٨ صفحة . قال في آخره « هذا آخر ما وجدناه في كتاب لسان العرب من المسائل العروضية وذلك اثناء مطالعتي له عام ستة وعشرين وثلثمائة وألف من الهجرة المباركة » .

٣٠ — (نقد مقامات مجمع البحرين لناصيف اليازجيّ) بيّن فيه سرقاته وركاكة أسلوبه الذي يفوّقه كثير من النصارى على أسلوب الحريريّ مع أن اليازجي قد انتحل مقاماته من مقامات الحريريّ وغيرها كما برهن على ذلك الأستاذ في نقده . وقد فقد هذا النقد في جملة ما فقد من مؤلفات الأستاذ ولـكنني وجدت منه عدة أوراق من أوائله

٣١ — (كتاب ما اشتملت عليه حروف المعجم ، من الدقائق والحقائق والحـكم) في ١١٥ صفحة .

٣٢ — (الجواب عما استبهم ، من الأسئلة المتعلقة بحروف المعجم) أجاب فيه عن أسئلة السيوطي السبعة التي لم يجب عنها أحد في زمانه ، والكتاب يقع في (٤٠ صفحة) . وقد رأيت في تاريخ أدبيات اللغة العربية (م ٣ ص ٢٩٠) أن الشنواني المتوفى سنة ١٠١٩ ﻫ أجاب عنها أيضاً في كتاب أسماه (حلية أهل الكمال . بأجوبة أسئلة الجلال) ومنه نسخة في دار الكتب المصرية

٣٣ — (شرح القصيدة الأحمدية) مدحه صديقه الأديب الكبير أحمد بك الشاوي الحميري بقصيدة مطلعها :

معاتبتي ـ لو أعتب الدهرَ ـ للدهر بما قد جرى لا تنقضي آخر العمر[1]

فأجازه عليها بشرحها : وقد جاء في ٨٠ صفحة .

٣٤ — (الأسرار الالٓهية ، شرح القصيدة الرفاعية) بينا في أثناء ترجمته سبب تأليفه .

٣٥ — (شرح خطبة المطوّل) لم أره .

٣٦ — (شرح منظومة الشيخ حسن العطار) في فن الوضع .

٣٧ — (بدائع الانشاء) في جزأين . الأول يشتمل على رسائل أبيه . في ١٠٠ صفحة . والثاني طرَفٌ مما كاتبه به الأمراء والعلماء والأدباء ، وقد ترجم فيه لبعضهم وهو يقع في ٣٤٠ صفحة . وذكر في المقدمة أن في نيته تأليف قسم ثالث له يذكر فيه بعض التعاليم المتعلقة بصناعة الانشاء وأدوات الكتاب

٣٨ — (رياض الناظرين ، في مراسلات المعاصرين) في نحو ٥٦٠ صفحة

٣٩ — (أمثال العوام ، في مدينة دار السلام) هو مجموع مايدور على ألسنة عوام بغداد من الأمثال المشهورة . وقد نقل اللفظ العامي من غير تغيير ، وربما غيره الى ما يقارب به في التعبير ، تحاشياً عن بعض الألفاظ العجمية ، وتجنباً

---

(١) أنظر ص ١١٦.

عن وصمة بعض الحروف التي تأباها مخارج الحروف العربية . وهو في نحو (٧٠ صفحة) وقد رتبه على حروف الهجاء .

٤٠ — (إزالة الظما . بما ورد في الما) في كراسة .

٤١ — (بنان البيان) متن صغير في علم البيان .

٤٢ — (اللؤلؤ المنثور ، وحلي الصدور) مجموع مكاتيب والده وجده في ١٧٠ صفحة

* * *

﴿ مؤلفاته التاريخية والعلمية : ﴾

٤٣ — (بلوغ الأَرَب ، في أحوال العرب) تقدم ذكره . وقد طبع لأول مرة بمطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٣١٤هـ فنفدت نسخه بمدة وجيزة وازدادت الرغبة فيه وأخذت الرسائل من البلدان تترى الى المؤلف بطلب الكتاب فكان يَعِدُهم باعادة طبعه اذا سنحت له الفرصة وأتاح القدر له ذلك حتى عام ١٣٤٠هـ أي بعد اتصالي به بقليل فأشار عليَّ بتصحيحه والتعليق عليه وضبط ما يستحق الضبط من ألفاظه فقمت بذلك على قدر الإمكان واستدركت عليه أوهاماً تابع فيها من نقل عنه . وقد قاسيت من العناء في تصحيحه مالم يكن ليخطر ببالي حيث إن التحريف كان مستفيضاً في كل صفحة من صفحاته ، فكنت أرجع في أثناء التصحيح الى الأصول المعتمدة وربما قلبت لأجل كلمة وتصحيح رواية عشرات الكتب ومع ذلك كله لا أراني قد وفقت للغاية التي نشطت لها ، وعذر الأستاذ رداءة المخطوطات التي اعتمدها ثم إفسادات الطبع لحداثته يومئذ ببغداد ، ولا يزال داء المطابع في كل مصر عضالاً ولا يكاد يسلم كتاب من وقوع غلط فيه ، والشكوى من النساخ قديماً ومن المطابع حديثاً قد بلغت عَنان السماء .

بوشر طبع الكتاب بمصر في أواخر عام ١٣٤٢ وتم في أواخر ١٣٤٣ هـ. وكان قد نقله الى التركية أديبان كبيران: احدهما عبد الحميد بك الشاوي البغدادي وسمى الترجمة « منتهى الطلب » ورأيت مقدمتها في جريدة الزوراء. وثانيهما أحمد عزت باشا العمري الموصلي: ذكر لي الأستاذ أن ترجمته صارت طعمة نار شبت في داره في القسطنطينية.

٤٤ — (شرح منظومة عمود النسب)[1] في نحو (١٠٠٠ صفحة) وهو من أهم الكتب المؤلفة في التاريخ والأنساب، وقد وصفناه في مجلة "المجمع العلمي العربي" (م٣ ص ١٠٥).

٤٥ـ (تاريخ بغداد) في ثلاثة اجزاء:

١ — (أخبار بغداد) ذكر فيه بناء بغداد ومحالها وقصورها وجسورها وأنهارها، وقراها المجاورة لها ووصف مبانيها وما آل اليه أمرها على سبيل الاجمال وهو في ١٥ كراسة ولم يتمه.

٢ـ (المسك الأذفر، في تراجم علماء القرن الثالث عشر) ترجم فيه لطائفة من علماء بغداد وأدبائها وسَرَاتها وهو في ٤٥٠ صفحة).

٣ — (مساجد بغداد) ذكر فيه ما في بغداد اليوم من المساجد والمدارس وتراجم بعض من أنشأها، ووصف بناءها ونقل ما على جدرانها من الكتابات والأشعار، وأهم ما فيه كلامه عن المستنصرية والنظامية. وهو في نحو ١٤٠ صفحة

وقد ذكر في آخر الجزء الأول أن في عزمه أن يبتديء الجزء الثاني بالكلام على من تولى بغداد من الحكام الى عصرنا هذا وما جرى عليهم من الأحوال

(١) المنظومة للشيخ أحمد المالكي المغربي الشنقيطي الشهير وهي تنقسم الى قسمين الاول في أنساب عدنان ونسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنساب أصحابه المدنانيين، والثاني في ذكر قحطان وما تفرع منه. وقد ابتدأ الاستاذ بشرح القسم الثاني وفرغ منه في ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦هـ ثم شرح القسم الاول وفرغ منه عصر الجمعة ٨ ربيع الآخر سنة ١٣٤٠هـ

والأهوال وما كان في كل عصر منهم من الحوادث المهمة ، ولكنه لم يوفق لما قصد كما لم يوفق لإتمام الجزء الأول وترتيبه وتبويبه .

٤٦ — (أخبار الوالد) جزء لطيف في ترجمة أبيه السيد عبد الله بهاء الدين الألوسي .

٤٧ — (الدر اليتيم ، في شمائل ذي الخلق العظيم) صلى الله عليه وسلم : لم يتمه .

٤٨ — (تاريخ نجد) كان المظنون أن هذا الكتاب قد فقد أيضاً في جملة ما فقد من آثار الأستاذ وكتبه ثم عثرنا عليه في أوراقه ومسوّداته ناقصاً فنسخناه وصححناه وحرّرناه وأضفنا اليه بعض الفصول من قلم المؤلف وجدناها في كتابه «أخبار بغداد» ثم طبعناه في المطبعة السلفية الشهيرة بمصر .

يبتديء الكتاب بالكلام في بيان ما يطلق عليه اسم نجد من جزيرة العرب على ما يفهمه أهلها ، وتليه جملة من شعر الأموي في التغنّي بنجد والحنين اليها ، ثم فصل فيما اشتملت عليه نجد من القرى والبلاد ، وفصل في مقاطعة الأحساء التابعة لها اليوم . وفصل في شمائل أهل نجد ومعايشهم وأقواتهم وأزيائهم ثم بسط الكلام على معتقداتهم . ولأجل زيادة التعريف بسلامتها سرد مناظرة بين عالم نجديّ وشيخ عراقيّ كان التحقيق فيها أن عقيدة أهل نجد هي عقيدة السلف الصالح لم يزيدوا عليها ولم ينقصوا منها لا كما يشيع عنهم اعداؤهم السياسيون وجهلة المعمّمين . ويلي ذلك نبذة من تاريخ امراء نجد ، وبيان رسم حكومتهم وبعض مكاتبات آل سعود الآمرة اليوم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واختتم الكتاب ببعض من اشتهر من علماء نجد ولا سيما المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . وانظر تقريظ الكتاب في مجلة الزهراء (م ٢ ص ٦٢) ومجلة المجمع العلمي العربي م ٥ ص ٤٤٢) .

٤٩ — (عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم)

رسالة لطيفة نشرناها في ممتاز جريدة العراق لعامها الخامس .

٥٠ — (الأجوبة المرضية ، عن الاسئلة المنطقية) : في (٤٢ صفحة) نقد فيها بعض القواعد المنطقية وبين عدم فائدة علم المنطق الذي يزعمون أنه علم يعصم الفكر عن الوقوع في الخطأ !!

٥١ — (شرح الرسالة السعدية ، في استخراج العبارات القياسية) شرح صغير كتبه سنة ١٣٠٠ هـ

٥٢ — (ترجمة رسالة للقوشجي في الهيئة) لم أرها .

***

وبعد فهذه هي آثار أستاذنا الألوسي المبرور وتلك هي أعماله الباقيات الصالحات ذكرتها حسبما اتصلت به خبرتي وربما أغفلت منها مالم أحط به خبرا . وله عدا ذلك ثلاث مجاميع علمية نفيسة ، ومقالات منشورة في كثير من المجلات الراقية كالمقتبس والمشرق وغيرهما . ولو جمعت فتاواه الدينية والعلمية لبلغت مجلدات ولكنه لم يكن يحفل بالاحتفاظ بها . وقد علمت أن الأستاذ الأب أنستاس ماري الكرملي جمع طائفة كبيرة من أجوبته العلمية واللغوية والتاريخية التي كان يستطلع بها طلع رأيه في بضعة أجزاء ، ولكنه مع الأسف الشديد فقد بعضها في معمعة سقوط بغداد بيد الانكليز . وقد أورد الأب في تأبينه الذي سنرويه بعض فتاوي الفقيد شاهداً على علمه وتحقيقه وهي غاية الغايات في التحقيق وبعد النظر . ولقد رأيته في فتاواه أكثر تحقيقاً وأبعد نظراً منه في تآليفه فلو نشط الأب الكرملي لطبع ما لديه منها لخدم العلم خدمة جلّى يشكر عليها ولعله فاعل إن شاء الله . . . وأما ما نسخ بيده من نفائس مؤلفات الأقدمين فلست بمبالغ اذا ما قلت « يعسر إحصاؤها » وقد مرت الاشارة الى عنايته باستكتابها واحياء الكثير منها بالطبع .

وصفوة القول انه كان من أعاظم رجال النهضة العلمية في العالمين الاسلامي والعربي لا ينازع في ذلك منازع وآثاره أعدل شاهد على ما نقول :

تلك آثاره تدل عليـه فانظروا بعده الى الآثار !

أسلوبه الكتابيّ

وأمثله متنوعة من إنشائه

كان السيد سريعًا في الكتابة ، سريعاً في الإملاء : تجري اليراعة بيده جرْي السابح بصاحبه ، وعلى بديهة لايروّى فيها ولا يفكر الا نادراً . وقد التزم في أول أمره طريقة السجع التي كانت ذات السلطان القويّ على أقلام الأدباء لذلك العهد ، ثم مال عنها الى طريقة الترسل حيث يتمكن فيها من الإفادة والتبيان وأخذ يسير مع الطبع أى يكتب كما يفكر أو كما يتحدث تاركاً التسجيع والترصيع ، وسائر أنواع البديع ، الا حيث يقدّم لكتابٍ مقدمة أو ينشيء لصديق ألوكة .

وانشاؤهُ في كل ذلك سهل غير متكلف ولا متعسف ، وسلس لا حوشيّ فيه ولا مبتذل ، ولم يكن على علو كعبه في اللغة والأدب ممن يتطالع وراء المبرزين أو يكلف نفسه مباراة سحرة الكلام ممن يلعب ببيانه بالعقول ، لعب الشمول . ويسكر الأذهان ، اسكار بنت الدنان . وانما كان يتعمد الأسلوب العلمي ويقصد الإفادة والايضاح وذلك كل همّه . واليك أمثلة متنوعة من كتاباته مما يفيدك فائدة علمية . أو يوقفك على رأي له حكيم تزداد به بصيرة ، ولروحه به تقربا :ـ

﴿ ثراء اللغة العربية ﴾

قال من كلام له في بلوغ الأرَب :

« .... وقد سمعت بعض من لا خلاق له من الناس يدعي أن لغات الافرنج اليوم أوسع من لغة العرب بناء على ما حدث فيها من الفاظ وضعوها لمعان لم تكن في القرون الخالية والازمنة الماضية فضلا عن أن تعرفه العرب فتفوه به أو تتخيله فتنطق به . ولا يخفى عليك أن هذا كلام يشعر بعدم وقوف قائله على منشأ السعة ، وأنه لم يَخُضْ بحار فنون اللغة حتى يعلم أن المزية من أين حصلت .

أما ما ذكر من أن مفردات العربية غير تامة بالنظر الى ما استحدث بعد العرب من الفنون والصنائع مما لم يكن يخطر ببال الاولين فهو غير شين على العربية اذلا يسوغ لواضع اللغة أن يضع أسماء لمسميات غير موجودة ، وانما الشين علينا الآن في أنْ نستعير هذه الاسماء من اللغات الاجنبية مع قدرتنا على صَوْغها من لغتنا . على أن أكثر هذه الاسماء هو من قبيل اسم المكان أو الآلة وصوغ اسم المكان والآلة في العربية مطرد من كل فعل ثلاثي فما الحاجة الى أن نقول « فَبْريقة » أو « كَرْخانة » ولا نقول « معمل » أو « مصنع » أو أن نقول « بيمارستان » ولا نقول « مستشفى » أو نقول « ديوان » ولا نقول « مأمر » أو نقول « إسطرلاب » ولا نقول « منظر » ؟ والعرب اليوم بخسوا اللغة حقها فانهم عدلوا عنها الى اللغات العجمية من غير سبب موجب فان مَن يستعير ثوبًا من آخر وهو مستغن عنه يُحكم عليه بالزيغ والبطر . واذا اعترض أحد بأن دخول الالفاظ العجمية في العربية غير منكر ، وأن كل لغة من اللغات لا بد أن يكون فيها دخيل فاللغة هي بمنزلة المتكلمين بها فلا يمكن لامة أن تعيش وحدها من دون أن تختلط بأمة اخرى فان الانسان مدني بالطبع أي محتاج في تمدنه الى

الاختلاط مع أبناء جنسه ـ فالجواب أن هذا الدخيل إنما يُغْضَى عنه اذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه أو لم يمكن صوغ مثله ، فأما مع وجود هـذ الامكان فالاغضاء عنه بخس لحق اللغة لا محالة ، والا لزم المستعربين أن ينطقوا بالباء أو الكاف الفارسيتين ، أو أن يقدموا المضاف اليه على المضاف . وهناك وجه آخر في العربية لصوغ ألفاظ تسد مسدّ الألفاظ العجمية التي اضطررنا اليها وهو باب النحت . قال ابن فارس في فقه اللغة : العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار ، وذلك كقولهم « رجل عَبْشَمِيّ » منسوب الى اسمين وهما « عبد . شمس » وأنشد الخليل :

أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حَيْعَلَة المنادى

من قولهم « حيّ على كذا » وهذا مذهبنا في أن الاشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد « ضبطر » من « ضبط وضبر » وفي قولهم « صهصلق » انه من « صَهَل وصلق » وفي « الصلدم » انه من « الصلد والصدم » الى آخر ما قال مما يدل على أن اللغة العربية أحسن اللغات صيغاً وأساليب ، وأتمها وأكملها نسقاً وتاليفاً مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء الضرورة . ولو أن العرب الأولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد واسلاك « التلغراف » و « الغاز » و « البوستة » ونحو ذلك مما اخترعه الافرنج لوضعوا له أسماء خاصة ناصة فهم على هذا غير ملومين . وانما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم ، وشاهدنا هذه الامور بأعيننا ولم ننتبه لوضع أسماء لها على النسق الذي ألفته العرب وهو الاختصار والايجاز

التفسير العصري

قال يرد على رجل يدعى يوسف النبهاني البيروتي زعم في رسالة له أن الذي يتصدى لتفسير القرآن بأسلوب جديد يوفق فيه بين الدين والعلم والعمران ملحد مبتدع زائغ :

« ان من طالع كتب التفسير المتداولة بين الايدي اليوم وجدها أعظم مانع من الوقوف على مراد الله تعالى بكتابه الكريم . فان منها ماهو مشحون بقواعد النحو ووجوهه فتراه يذكر في كل آية من الوجوه ما يفوت الحصر . ومنها ما هو مشحون بالمسائل الكلامية ، والقواعد الحكمية حتى يصرف الآيات الى ما أصّله من الأصول ويؤوّل النصوص القطعية الى ما يوافق معتقده : اذا نظرت تفسير الرازي والبيضاوي وأبي السعود تعلم حقيقة هذا الكلام . ومنها ما اشتمل على قصص بني اسرائيل وأكاذيبهم وأقوالهم التي تحيلها العقول وتنفر منها الطباع . ومنها تفاسير لا يدل عليها نقل ولا عقل ولا لغة من اللغات كالتفسير الشهير بأنه من باب الاشارة . ومنها ومنها مما لا يحيط به العد والاحصاء ـ وهنا نقل كلاماً لبعض الفضلاء تأييداً لما تقدم كما هي عادته ، ثم قال : ـ فكيف يقال ان تفسير القرآن قد فرغ منه العلماء مع أنهم هم الذين قالوا في شأن علم التفسير « علم لا نضج ولا احترق » وقالوا : المراد بنضج العلم تقرير قواعده وتفريع فروعها وتوضيح مسائله ، والمراد باحتراقه بلوغه النهاية في ذلك ؟ فمتى أعطى العلماء التفسير حقه حتى يقال إنهم قد فرغوا منه ؟ فهل هذا إلاّ قول من قد بلغ من الجهل بدينه الى الغاية ؟ وأيّ ذنب لمن طلب في هذا العصر أو تمنى أن يفسر القرآن تفسيراً نافعاً للعامة والخاصة بعبارة سلسة يفهمها كل أحد كعبارات بلغاء هذا العصر وكتابه النابغين فيه لا كعبارات الكتاب الماضين من الأعاجم

وغيرهم فانهم كانوا يتفاخرون بدقة العبارات وصعوبتها وعدم فهمها ويعيبون الواضح منها مع أن البلغاء المتقدمين والكتبة السابقين على العكس من ذلك .
فقد رأيت في بعض كتب أصول الحديث مانصه « ويكره كراهة تنزيه الخط الدقيق لفوات الانتفاع أو كماله به لمن ضعف نظره وربما ضعف نظر كاتبه بعد ذلك فلا ينتفع به كما قال الامام احمد بن حنبل لابن عمه حنبل بن اسحاق بن حنبل ورآه يكتب خطا دقيقا : فانه يخونك أحوج ما تكون اليه » ، فكتب عليه الوالد رحمه الله في هامش الكتاب : انظر اذا كانت الدقة في الخط هكذا فكيف بها في عبارات العلوم الشرعية وقد عدّوا ذلك وجعلوه من الفضائل العلية ... وليت شعري اذا اشتغل المتعلم في فهم العبارة فمتى يشتغل بحفظ المعنى ...؟

وشكوى الناس في كل عصر من الكتب المتداولة بين الايدي قد عرفها كل أحد فأي ذنب لمن تمنى في هذا العصر عصر ظهور كنوز العلم وانتشار الكتب العجيبة تفسيراً يفصل فيه محاسن الشريعة الغراء وتطبق فيه أحوال العصر ويوافق فيه بين القواعد التي ثبتت بالبرهان وبين الآيات الكريمة مما يستوجب ميل العامة الى مطالعته ومراجعته فانه الكتاب الذي قال الله تعالى في شأنه « مافرطنا في الكتاب من شيء » ؟ وقال عز اسمه « سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى » فهذه الآية شملت جميع ماخلق الله تعالى من العرش الى الفرش ، ولمن تكلم على هذه الآية مجال واسع في البحث عن سائر الفنون ، ولهذا كانت هذه السورة من أحب السور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال سبحانه لما قالت الملائكة « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ ـ قال : إني أعلم مالا تعلمون » وهنا ذكر المفسرون أن من جملة حكم خلق الانسان وتخليفه في الأرض إبراز ماأودع الله في الأرض من خواص النبات والحيوان والمعدن على يدي هذا الخليفة لما أودع فيه من الشهوات

وحوائج المأكل والملبس وغير ذلك مما استنتجه بأفكاره ووصل اليه ببصيرته فدخل هذا الباب من العلوم ما لا تحيط به دوائر الامكان ، ولا يقوم به قلم ولا لسان ؛ فالاشتغال بمثل هـذا التفسير أليس أولى من صرف العمر بذكر القبور وأهلها ، وتشويق الجهلة وحثهم على عبادتها والالتجاء اليها مع أنهم لم يقصّروا في ذلك وهي لديهم من أعظم الواجبات بل ليس لهم سوى هـذا الكمال [1] من أمور الدنيـا والآخرة فتراهم مفلسين من كل فضيلة ؟ ويقال للنبهاني الجاهل القبوريّ هلاّ رأيت كتاب الفاضل الشيخ حسين الجسر الطرابلسيّ وقد كتب فيه ما نصه « وقد خطر لي حيث وجدت مجالاً للكلام ، وسمعاً للنداء أن أحرر رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلاميّ وكيفية تحققه لمتبعيه على اسلوب جديد سهل الفهم لا تمله الأنفس ولا تستوعره الأفكار يروق العقول الحرة ويعجب الأذهان المطلقة عن قيود التعصب إن شاء الله . . . » أفيقال إن الكتاب الذي ألفه فيه مغمز لثالب ؟ كلا بل هو كتاب من أجلّ الكتب المصنفة في هذا الفن إن لم نقل أحسنها . فأي فائدة في الكلام مع الفلاسفة الأولين ؛ وأي نفع يترتب على الكلام في عقائد المعتزلة وابطال دلائلهم مع تقلّص ظل وجودهم من هذا العالم ؛ وفلاسفة العصر لهم فنون اخرى غير فنون أسلافهم ، وسلاحهم الذي يحملونه على أهل الدين غير سلاح أوائلهم ، فينبغي للحازم أن يعدّ لهم ما ينخذلون له وينقادون اليه . فأي ذنب لمن تمنى تفسيراً على هذا المنهج . . ؟

نرى كثيراً من المفسرين يؤول آيات الله تعالى المحكمة ليوافقها مع قواعد هيئة اليونان ويطبقها على أصول الحكمة الالهية أو الطبيعية اليونانية مع مكابدة المشاق وتحمل الصعوبات مع أن ما ظهر من الفنون الجديدة التى قام على صحتها البرهان يمكن تطبيقها وتوفيقها مع النصوص من غير كلفة لموافقة صحيح المعقول ،

(١) التعبير بالكمال هنا من باب التهكم كما يقولون لمن يخلط في كلامه « فلان يتفلسف »

لصريح المنقول ؛ فلم لم يعترض النبهاني "قبوري" على مثل تفسير فخر الدين الرازي وقد شحنه من كلام المتكلمين وفلاسفة اليونانيين ؟ ومتى كانت هذه المباحث لدى المسلمين قبل أن تترجم كتب الفلاسفة ؟ فاذا لم يعترض على مثل ذلك فلمَ يعترض على من يسلك ذلك المسلك في الفلسفة الجديدة التي هي أصح وأولى بالاعتبار من هذيان اليونانيين ؛ فهل هذا الكلام منه الا تحكم وترجيح بلا مرجح ؟ ثم إن هذا القبوري لم يعترض على تفاسير القوم التي فسروا بها كلام الله تعالى ولم يقصدها من كلامه رب العالمين. بل عدّ مثل هذه التفاسير من أجلّ المآثر ، وأعظم التحف والمفاخر ، ولم يتكلم بها أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا عليّ ولا غيرهم ، فلمَ يعترض على من تمنى أن يُصنَّفَ تفسير يدل عليه كلام الله دلالة صريحة ويصدقه العيان ، ويؤيده البرهان ؟ فأي ذنب لمن يطلب تصنيف مثل هذا التفسير ؟ نعم المذنب هو الذي يطلب تصنيف ذلك من هذا الجاهل القبورى الغبيّ ويتكلم معه مثل هذا الكلام ، وهو على ماسمعنا به ممن رآه من قرّاء الموالد والتهاليل للأموات ، فأين هو من مثل هذه المطالب العالية . . . ؟

﴿ تطبيق بين سنن الجاهليين وسنن غلاة الحشويين ﴾

« ... ورد في الحديث المتفق على صحته « إنكم لتتبعون سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه » * أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سيكون في أمته من يحذو حذو الأمم السابقة وهم جاهلية الكتابيين وغيرهم كما فسر في الحديث . ولا شك أن ما أخبر به صلى الله عليه وسلم كائن لامحالة فانه الصادق المصدوق ومانطق عن الهوى . ومن اليقين أن من استمسك

بهديه واتبع ما ثبت من سنته غير مقصود بالحديث لما ثبت في حديث الفرق انهم الفرقة الناجيـة وهم من كان على ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما هو الوارد فلا بدّ أن يكون الذين يحذون حذوهم هم من بدّل وغيّر وابتدع وحرّف وحاكى الذاهبين الأولين في أفعالهم وأعمالهم من بنـاء المشـاهد والمساجد على قبور صالحيهم وندائهم في المهمات والملمات وغير ذلك مما كان يفعله اليهود والنصارى والمشركون مما دلت عليه الأحاديث الصحيحة . وفي الغلاة ومبتدعة أهل القبور من خصـال الجاهليين من الكتابيين والمشركين مايصدق به عليهم اتباع سننهم حذو القذة بالقذة ونحن نذكر بعض ذلك (١) ليكون كالمثال الموضح لمـا نحن بصدده .

[التقليد]

فمن خصالهم أن دينهم كان مبنيا على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع من كان قبل ظهور الاسلام من الامم الأولى . قال تعالى « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه أباءكم ؟ قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون » فأمرهم الله تعالى أن يتبعوا الحق فقال « إتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون » وقال تعالى « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » الى غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا مقيدين بربقة التقليد لا يحكمون لهم رأياً ولا يستعملون نظراً ولا يشغلون فكراً فلذلك تاهوا في أودية الجهالة وقضوا أعمارهم في الضلالة ، وهكذا الغلاة ، وعبدة الاموات ، قلدوا آباءهم في تلك العادات ، فلا يمكن نقلهم عنها ولو ظهرت

(١) ونحن اقتصرنا هنا على بعض ماذكر

الآيات البينات ، ولكم بحثت مع عقلائهم فما زادهم ذلك الا نفوراً ، وعتوا على الحق وغروراً . فطابق بين الفريقين ، تجد الموافقة ظاهرة لكل ذي عينين .

[التعصب]

ومن خصالهم التعصب لباطلهم فانهم لما افترقوا خطأ كل فريق منهم الآخرين . قال تعالى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون » وهكذا تجد الغلاة من أهل الطرائق المبتدعة ، فالرفاعي يقول ليس القادري على شيء والقادري يقول ليس الرفاعي على شيء . وهذا يقول شيخي أخذ زنبيل الأرواح من عزرائيل وأعاد كل روح الى جسدها . وهذا يقول مرّ شيخي على جهنم فأراد أن يطفئها ببزاقه فحالت الملائكة بينها وبينه ، ومن اتبع العيدروسي :

يقول العيدروسي كان يحيي من الأموات مَنْ قد مات دهراً

وهكذا تجدهم يتضاربون بالاقوال ، ولم يزالوا قائمين على ساق المخاصمة والجدال ، والحازم ينظر الى الدليل فما أداه اليه نظره من الحق أخذ به وترك ما سواه .

[الكرامات الكاذبة]

ومن خصالهم الاعتياض عن شرع الله ووحيه بالخوارق الكاذبة وكتب السحر . قال تعالى « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدّق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ... » الآية والكلام عليها في كتب التفسير مشهور ، وعلى هذه الخصلة اليوم كثير

من الناس لاسيما بعض الغلاة المنتسبين الى المشايخ والصالحين وهم بريئون منهم فانهم قد تعاطوا بعض الأعمال السحرية من إمساك الحيّات وضرب السلاح والدخول في النيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله ولم يلتفتوا اليه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما ألقته اليه شياطينهم وادعوا أن ذلك من الكرامات وخوارق العادات. ومن المعلوم أن الكرامة لاتصدر عن فاسق ومخالف للشريعة ومن يتعاطى تلك الأعمال فسقه ظاهر للعيان وقد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً. وليت شعري لم اختصت الكرامة بمسك بعض الحيّات والعقارب والضرب بسلاح مخصوص والضرب بأيديهم فهلاّ وقفوا أمام مدفع من المدافع فدلع لسانه عليهم وقرأ سورة الدخان وأطلق كراته على وجوهم لنرى كراماتهم حينئذ أين تبقى ؟

[رسالة في التعزية]

لم نجد بين يدينا شيئاً من رسائل الأستاذ لذلك اضطررنا الى ايراد رسالة له في التعزية عثرنا عليها في مجلة المنار م ١٧ يعزي بها صاحبها العلامة السيد رشيد رضا بوفاة عالم الشام القاسمي :

قال بعد الألقاب وفاتحة الكتاب :

اما بعد فقد نعت الينا صحف البلاد الشامية، وفاة العلاّمة السيد جمال الدين القاسمي قدس الله روحه الزكية، فأمضّ ذلك الخبر قلبي، وأفضّ لبي، وجرح فؤادي، وطرد رقادي، وأحدث لي حزناً ملازما، وألماً دائما، وأورثني قلقاً واخزا، وانزعاجا وافزا، وحيث كان المشار اليه من أعزة أحبابكم، وخُلَّص أصفيائكم، مع ما كان عليه من الفضل الوافر، والأدب الباهر، والورع الظاهر، والنسب الطاهر، والذب عن الشرع المتين، وقوة

الإيمان واليقين ، ومناضلة الحائدين والملحدين ، وأنه حسبما اعترف له الموافق والمخالف :

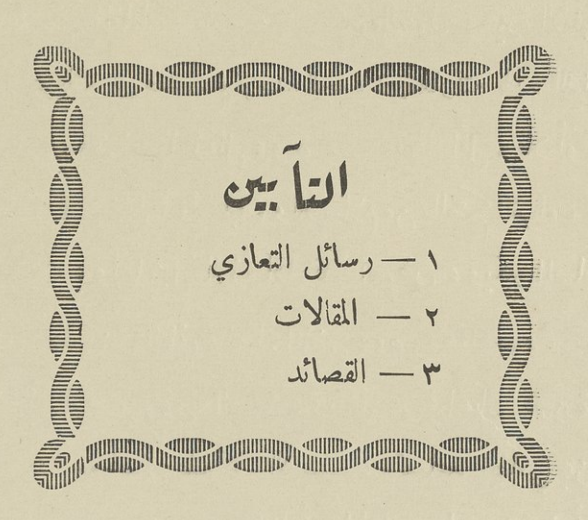
أحيا به الله الشريعة والهدى وأقام فيه شعائر الإسلام

حِكم على أهل العقول يبثها منعوتة الاوضاع والأحكام

ويريك في ألفاظه وكلامه سحر العقول وحيرة الأفهام

ـ فاني أعزيك على فقده ، وتوسده للحده ، ومفارقته لهذه الدنيا الغدّاره . الخائنة المكّاره ، فان نعيمها زائل ، وكوكب سعدها آفل ، فلا أوجع الله لك قلباً ، ولا كدّر لك خاطراً ولا لباً ، وللإسلام من طلعتكم الغراء ، سلوان عمَّنْ مضى من الفضلاء ، وإنما يجلّ الرزء اذا قلّ العوض ، ويكبر المصاب اذا عدم الخلف ، فأما اذا كنت الباقي وغيرك الماضي ، وصرت الموجود ، وسواك المفقود فالفادحة خفيفة الوقع ، مرؤوبة الصدع ، ويد الدهر فيما نال قصيرة ، ومنته فيما ترك كبيرة ، هذا مع أسفي عليه كلّ الأسف ، وتصاعد أنفاسي بمزيد اللهف ، وقد جرت عليه من العيون عيون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، نسأله تعالى أن يديمكم ركناً للاسلام ، ومرجعاً للخاص والعام ، ويصونكم من طوارق الليالي والأيام ، تذكرة للسلف الأعلام » .





التآبين

١ — رسائل التعازي

٢ — المقالات

٣ — القصائد

التآبين

نروي في هذا الباب طائفة من (رسائل التعازي) و (مقالات الكتاب) و (قصائد الشعراء) مما يُعين على فهم رأي الناس في السيد ، تاركين كلمات الجرائد ، وشيئاً كثيراً مما يُغني عنه ما آثرنا روايته وإيراده .

١

﴿ رسائل التعازي ﴾

كتب العلامة الأستاذ الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي عضو المجمع العلمي العربي :

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي السميّ الكريم : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر الصابرين » أما بعد فقد كتبت الى تعزيني - أيها العزيز - بعلامة العراق ، ذي الشهرة الطائرة في الآفاق ، سيدنا ومرشدنا ، (السيد محمود شكري الألوسي) . فلقد شق نعيه على مسمعي ، وجرت له أدمعي ، وأقض مضجعي ، وأدمى فؤادي ، وحرمني رقادي ، ولكن ما الحيلة أيها السميّ الكريم ، ذلك تقدير العزيز العليم ، الذي نقابله بالرضى والتسليم ، وخير كلمة للمحزون ، « إنا لله وإنا اليه راجعون » أما ما ذكرت لي - حرسك الله - من حزنك الشديد ، على هذا السيد الفقيد ، فلك الحق في ذلك . كيف لا وهو مثقف عقلك ، ومرجع فضلك ونبلك ، وقطب رحى شهرتك في الأقطار ، بتشجيعه اياك على مانشرته في حياته من الآثار . رحمه الله عدد حسناته وتغمده برضوانه وإحسانه . وأسأله سبحانه أن يلهمك الصبر الجميل على فقده ، ويحقق رجاءه فيك من بعده ، ويجعلك أفضل خلف له . فكثيراً ما كان ينوّه بفضل أخي في كتبه ، ويثني على علمه وأدبه ، وها قد رأينا من بدايتك بحمد الله ما يعدّ نهاية غيرك على حداثة سنك . ذلك

فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

وقد كتبتُ اليك في البريد الماضي كتاباً في آخره تعزية بسيدنا العزيز فلعله وصل ان شاء الله تعالى . وقد قرأت كتابك الشجيّ على رجال (المجمع العلميّ) فعلاهم الحزن والاضطراب وأبدوا الأسف والتوجّع . وهم يهدونك جزيل الشكر والشوق ، ويسألون المولى أنْ يحسن عزاك ، ويطيل بقاك . وقد اشتركنا في الدعاء والثناء ، وذكر أيادي استاذك البيضاء وماثرك الغراء ، واتفقنا على أنك ستسدّ فراغه باذن الله علماً وأدباً . وسيعطلون (الجلسة) غداً بعد عصر الجمعة بضع دقائق حداداً على الفقيد العظيم ، ويرسلون من بعد كتاب تعزية لآله الكرام ولا أعرف واحداً منهم ولذا رجوت من السميّ - أيده الله - في كتابي السابق أن ينوب عني بتعزيتهم ولعل فيهم من يشتغل في العلم فيسد بعض فراغ الفقيد إن شاء الله . وقد عزموا على أنْ يقيموا له حفلة تأبين وهم يشكرون أخي على ماسيتحفهم به من سيرة أستاذنا المبرور ويرجون من همته الاسراع بذلك . . . الخ

دمشق : ١٨ شوال سنة ١٣٤٢ﻫ محمد بهجة البيطار

وكتب الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف أحد أعضاء المجمع العلمي العربي العاملين : -

دمشق - المجمع العلمي ١٢ ايار ١٩٢٤

أيها الصديق اللوذعيّ الشيخ محمد بهجة الأثري الأكرم ، يعزّ عليّ أن يكون التعارف بيننا على أثر ما نابنا من فقد علاّمتنا الاستاذ الكبير ، والمحقق الخطير ، والمدقق الشهير (الألوسيّ) وكفى باسمه شهرة لأبناء العربية الناطقين بضادها . فثق أيها الصديق أننا شاركنا كم بتفجعكم عليه وبكيناه بالدماء عوض

الدموع عارفين قدره الكبير ومصابه الأليم ، والحاجة الى آرائه وتحقيقه ، ولكن ما العمل وهذه سنة الله في خلقه ولا تجد لسنة الله تبديلا . فأعزيك وأعزي اسرته الكريمة ، بهذه الفاجعة الأليمة ؛ وطيه كلمتي فيه وأنا على فراش الداء وهي من نوع « الشعر المنثور » كانت بنت دقيقتها . أعاضنا الله بسلامتكم وسلامتهم وتغمد مَنْ فقدنا برحماته ، وسقى ضريحه شآبيب رضوانه ، فدم لصديقك الداعى الأسيف :

عيسى اسكندر المعلوف

وكتب في الهامش :

عزم مجمعنا العلمىّ على إقامة حفلة تأبين لفقيدنا المومأ اليه ، ولكننا نحتاج الى ترجمته أطول مما هو عند الداعى عنه ومما أرسلتموه الى الصديق الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار فلا تحرمونا ذلك قريباً .

وكتب من دمشق ضيفها صديقنا المفضال الشيخ أبو عبد الله الزنجانيّ من عقلاء علماء الشيعة في إيران :

حضرة العامل الجليل ، والفاضل النبيل ، محمد بهجة الأثري :

سلاماً واحتراماً . أكتب اليك هذا الكتاب والأسف ملء قلبي من أفول ذلك النجم الذي طالما أضاء عالم العلم . واليوم فقدت الامة الاسلامية بفقده رجلاً عظيما من رجالها ، وعالماً كبيراً من علمائها ، ولا شك أن تلك الروح الكريمة ـ وان أظلمت علينا الدنيا بفراقها ـ لكنها رجعت الى ربها راضية مرضية . وسوف تتجلى مآثره في صحائف العلم والأدب بمداد النور . وأظنكم تعلمون أن هذا العالم كان شيخ إجازتي في الرواية حسب عادة المحدّثين كما

تشهد صورة إجازته التي قدمتها الى فضيلتكم ، كما أنه رحمه الله كان يرشدني في رسائله العلمية . قرأتُ في إحدى جرائد بغداد أنكم - إحياءً لذكره وأداء لحقه - وجهتم العزيمة الى تأليف كتاب يكفل شؤون حياته العلمية وآثاره الجليلة . وأشكركم على هذه الخدمة النبيلة ، وأرجو من فضلكم أن تذكروا في تأليفكم صورة هذه الإجازة اذا اقتضى رأيكم واسلوب تأليفكم ، والا أشكركم أن تشيروا اليها اشارة تكفي لبيان الحقيقة . ولا ريب أن هذا أكبر دليل على نبذ العصبية التي سادت بها حال الامة كما أنه أقوى دليل على تقدير الشيعة وعلمائها قدره ، وثقتهم بهذا العالم الكبير رحمه الله . وسأزوركم إن شاء الله في بغداد .

دمشق ١٩ شوال سنة ١٣٤٢ هـ ابو عبد الله الزنجاني

وكتب الأديب الدمشقي أبو هشام محمد سعدي يس كتاباً في التعارف وطلب الاخاء وفيه كلمته في التعزية وهي :

« . . . وإني ليمضني قلبي أن أكتب اليك معزياً في بحر العلم ، وعلم الهدى واستاذ الأساتذة المرحوم السيد محمود شكري الألوسي" أستاذكم الكريم ، ووالدكم الحميم الرحيم ؛ ولو كان بي أن أكتب في رثائه - أنزل الله عليه سحائب رحمته وأسبل عليه جلابيب مغفرته - لتركت اليراع يذرف من دموع مداده ، ما يكسو به القرطاس ثوب حداده لأن الدهر فجعنا بذخائر علم ثمينة ، وكنوز عرفان ذات قيمة ، ولكنك أنت العزاء والسلوى ، ولو لم يكن للاستاذ - وايم الحق - غيرك لكفاه ذلك فخراً وسؤدداً ، ومجداً مشيداً . »

وكتب الفاضل المهذب السيد مراد ابن المرحوم محمد الضالع التاجر المحسن الشهير :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الأجلّ الفاضل محمد بهجة افندي الأثري .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ومغفرته ومرضاته . وبعد فاللسان يقصر دون التعبير عما تكنه الجوانح من آلام الحزن على ما حل برجل الاسلام ، وامام العلماء الاعلام ، حامل لواء التوحيد ، والآخذ بالاقتداء دون التقليد المرحوم المبرور السيد محمود شكري الألوسي غفر الله له ورضي عنه . فلقد كان نبأ وفاته حين الاطلاع عليه باحدى الصحف السورية مهيباً مريعاً تتفطر له القلوب ، وتنشق عليه الصدور لا الجيوب

وراع كل عظيم عظم مصرعه   وكم تردّى سواه غير مأسوف

ثم وافانا كتابك المؤيد لذلك النبأ العظيم والمجدد للبلوى ، ولا عزاء هناك ولا سلوى ؛

أكيداً لنا يا بَيْنُ واصلت وصلنا   فلا دارنا تدنو ولا عيشنا يصفو

أردّد وَيْلي لو قضى الويل حاجةً   وأكثر لهفي لو شفى غلةً لهف

فانا لله وإنا اليه راجعون ، ونسأل الله الذي لا يسأل سواه أن يتغمده برحمته ورضوانه ، ويسكنه فسيح جنانه ، ويلهمنا جميعاً الصبر على ما قضى ، لنحظى بالاثابة والرضى .

صبرت فكان الصبر خير مغبّة   وهل جزع يجدي عليّ فأجزع ؟

ملكت دموع العين حتى رددتها   الى ناظري فالعين في القلب تدمع

ولقد أحسنتم صنعاً بتدوين فضائل السيد الراحل أجزل الله له الجزاء الأوفى ، ووفاه أجره في جهاده في سبيله والله لا يضيع أجر المحسنين . هذا وأرجو أن لا تحرمونا التمتع بالآثار المجموعة من فضائله آنسه الله برحمته بعد أن حرمنا الانس بلقائه والتمتع بمحادثته وإن كان الأمر كما قيل :

وإجلال مغناك اجتهاد مقصر اذا السيف أودى فالعفاء على الجفن

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حلب ١٦ شوال سنة ١٣٤٢ هـ مراد بن محمد الضالع

وكتب من مصر الفاضل الجليل الشيخ راغب محمد علي القبانيّ الأزهريّ البيروتي :

مصر - الاثنين ١٥ شوال سنة ١٣٤٢ هـ رواق الشوام بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز المفضال الشيخ محمد بهجة الأثري أمدّ الله في حياته . بعد السلام والتحية أعرض اليكم مشاطرتي أساكم ومصابكم بل فاجعة الامة الاسلامية بفقد ركن عظيم من أركان حياتها ألا وهو امامنا الاجل ، وشيخنا الامثل ، المرحوم السيد محمود شكري الالوسيّ رضي الله عنه وأرضاه نعيّ ما كاد ناظري يهوي الى عنوانه (وفاة عالم العراق) في (اهرام) البارحة حتى دبّ الى قلبي الاضطراب فاذا ما انتهى الى اسم الامام صرت في مهاوى السهام .

أجل يا أخي إننا من بدء الحرب العامة الى اليوم في شتى من الرزايا والخطوب وكنا نعلل النفس بالفلاح من مشرق أمثال الامام المحمود ، فاذا ما فوجيء المسلمون بذلك الخطب الاليم انهالت علينا سحائب أشد من الليل ، وبتنا كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ولكنه حكم الله الذي لا مردّ له فلا يسعنا غير الصبر الجميل ضارعين اليه سبحانه أن يتغمد الامام برضاه ، ويجزل له الثواب ويخلد ذكره في الاجيال ، بماله من الكتب وصفوة الرجال ، وان يمد تبارك وتعالى في حياتكم تحيون ذلك الذكر المحمود ولنعم خليفة صاحبه أنت . وأسأله تعالى أن يبقي حياة آل الفقيد ويعوضهم عنه كما يعوّض سائر المسلمين من يخلفه من بيتهم إنه رؤوف رحيم . وأرجو إبلاغهم سلامى وتعزيتي

هذا ونعلم أن للإمام المحمود كثيراً ناقماً عليه من العلماء وأنهم لفقده سيشعرون بفراغ كبير كان يشغله الإمام في أمرَيْ الدين والدنيا فيبيتون يتقلبون على أضغاث الآلام وأسنة الندم كما ترى اليوم جلّ أعداء الأستاذ محمد عبده المصريّ من علماء الازهر . ونحمد الله جلّ جلاله أنْ ظهر من شباب طلاّبه فريق كبير ينتهز الفرص لبناء ذكراه : العلمية والعملية. إنّ خصوماً كأولئك منتسبين الى العلم لعلمهم أن الفرقة ولا سيّما اذا طالت حياتها من أعظم الأسباب في تسليط الله على أوطانهم من لا يخافه ولا يرحمهم ، لَجَدِيرٌ بهم ألاّ يلبثوا أنْ يطفئوا تلك النار بمياه إيلافهم أمثال ذينك الامامين ممن سلف وممن خلف ، ولا سيما أنهما على ما نعهد لله وحده كانا حليفَيْ الحق ولو عليهما . كما بادر الامام المصريّ الى تصحيح تفسيره « وأما السائل فلاتنهر » في الصحف السيّارة إذْ نبهه الى ذلك إمام اللغة العربية الشنقيطيُ رضي الله عنهما .

نعم لقد آن لأولئك الخصوم أن يقتلوا خصومتهم بسلاح قوة الارادة والإيمان والعلم فيحل الانصاف محل الخلاف ، والوفاق ، محل الشقاق ، وخصوصاً نحن المسلمين الذين جعلنا الله بفضله وإحسانه خير أمة أُخرجت للناس من أعظم الواجبات الاسلامية علينا أن نكون رحماء بيننا لنشر ألوية المجد على أبناء الانسان . وأعظم مخاطب منا بذلك الواجب هم علماؤنا الذين هم قادتنا وأئمتنا في أمرى الدين والدنيا .

هذه خير تعزية نعزى بها نفسنا ، وأفضل دعوة نوجهها الى أولئك العلماء في هذا اليوم العصيب ونسأل المولى الكريم أن يوفقنا وإياهم وسائر المسلمين لتأييد الاسلام الحنيف على سنن السلف الصالح فيعيد تبارك وتعالى ـ لنا نحن المسلمين ـ سابق المجد ، وسالف الحمد ، اللذين بهما يعتزّ أبناء الانسان فضلاً عنا والحق من وراء القصد . . .

راغب القباني

وكتب عالم الكويت لهذا العهد الأستاذ السلفي المفضال الشيخ عبد الله ابن خلف :

من الكويت ١٨ شوال سنة ١٣٤٢هـ الى بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي أفضل سلام ، لجناب العلاّمة الهمام ، بهجة الزمان ، ونابغة الأقران ، الأستاذ الأخ السيد محمد بهجة الأثري حفظه الله تعالى ولطف به في كل حال ، وبلغه من كل خير منتهى الآمال ، آمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني أرفع الى كريم حضرتك ، وعظيم فضيلتك ، ـ والقلب ذائب ، والدمع ساكب ، والأسى غالب ـ التعزيةَ بفقيد العلم والأدب ، ومجيد الحسب والنسب ، علاّمة العراق ، وبدر الآفاق ، ومن وقع على علمه وفضله الاجماع والاتفاق ، سيدي الامام الأستاذ المحقق المدقق السيد محمود شكري الألوسي تغمده الله برحمته ، وأباحه دار كرامته ، ونفع بعلومه عموم الخلق ، وأحلّه عنده في مقعد الصدق ، وكتبه في المهديين ، وجعل كتابه في عليين ، وأخلف على أهله في الآخرين . إن موت هذا الامام مصيبة عظمى ، وخسارة في العلم كبرى وثلمة في الدين ، ورزية للاسلام والمسلمين ، وإنك أيها الأستاذ الفاضل أشدهم به مصيبة ، وأعظمهم بفقده رزية ، حيث إنك حفظك الله تعالى خريج علمه ، والمستخرج كنوز تفهيمه وفهمه ، والمعتني بنشر تآليفه الحسان ، والمعلّق على طررها قلائد الدر والمرجان ، وإن القريب من قربته المودة وإنْ بعد نسبه على أن نسب العلم أقوى ، والاتصال به هو السبب الأقوى ، لأن آباء الأرواح ، أعظم من آباء الأشباح ، فأعظم الله أجرك ، وأحسن عزاءك وغفر لميتك وأكرم نزله ، وأوسع مدخله ، وأعانك على ما بلغنا أنك آخذ فيه من جمع آثاره ، ونشر أخباره ، ضمن مؤلف جامع مانع آتٍ على ترجمة حياته ، وبيان مصنفاته الجامعة

النافعة ، وجمع فتاويه ورسائله ، وأجوبته لمستفتيه وسائله ، كان الله لك ، وبلغك أملك ، وجعلك خير خلف ، لذلك الصالح السلف ، الذي أصيب به العالم الاسلامي الأجمع ، وانهدَّ بموته ركن العلم الأرفع ، رحمه الله رحمة الأبرار ونفع بما خلفه من محاسن الاثار ، انه سميع الدعاء ، وأسأله تعالى أن يحقق فيك الرجاء . . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبك الداعي

عبد الله بن خلف

وكتب الفاضل الأديب الشيخ عبد العزيز الرشيد الكويتي أحد تلاميذ الفقيد :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الاديب الفاضل الأُستاذ الاجلّ الاخ العزيز الشيخ بهجة الأَثري المحترم سلمه الله آمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أخي الفاضل قدمت لجنابكم قبل هذا كتاباً أنبأتكم فيه بوصولي الى الكويت سالماً ولم أشكُ الا فراقكم . أما الآن فيسوؤني وايم الحقّ أن أكتب اليكم أعزيكم بأستاذنا الألوسي الذي كان لنعيّه في بلدنا رجّة كبرى ، عوض الله المسلمين عن هذا المصاب ، بالصبر والثواب ، والا فلا أظن أن في عالمنا من يقوم مقامه أو يسدّ مسدّه فأعظم الله أجركم ، وأحسن عزاءكم وغفر لميتكم ، وإني الآن أسعى في إقامة (حفلة تأبين) لهذا الفقيد العظيم بين شبابنا بعد مضي أربعين يوماً من وفاته وسأوافيكم بعد ذلك بما يدور هنا إن شاء الله تعالى . . .

محبكم :

عبد العزيز الرشيد

وكتب من باريس المستشرق الفرنسي لويز ماسنيون مانصه بلفظه العربي :
الي السيد العالم الفاضل محمد بهجة الأثَري وفقه الله تعالى . أما بعد واجبات السلام والاحترام والتحية فقد نعى' الي ّ جواب من بغداد الأُستاذ العزيز الصديق الفريد الشيخ محمود شكري الألوسي رحمه الله تعالى . توجعت وتأسفت أي تأسف . نحمد الله سبحانه لما سمعنا من صبره في الشدائد ومن فضائله . هذا فلتمس من لطفكم أن تكونوا وكيلنا لتقدمة احتراماتنا الى عائلته الشريفة جمعنا الله تعالى في الخيرات تذكاراً من المرحوم

الى تلميذ المرحوم الأخصّ
من أقل تلامذته
الفقير الخاضع لربه سبحانه
لويز ماسنيون

يوم الاربعاء ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٤ م
٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٢ هـ

وكتب العالم الاسلامي الكبير السيد رشيد رضا منشىء مجلة المنار بمصر الى سمينا العالم الفحل الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي :

« . . . إن مصاب الامة العربية ، بل الأمة الاسلامية ، بفقد علاّمة العراق السيد محمود شكرى الألوسىّ لعظيم ، وإن نصيبنا نحن منه لأعظم ، فهو أخونا الأكبر ، وظهيرنا الأعظم ، ومرجعنا في إحياء آثار السلف الصالح وأنفع كتبهم التي نعتمد عليها في تجديد أمر الدين ، ومقارعة المارقين والمبتدعين . ونحن أولى الناس بتخليد ذكره ، وتعطير الآفاق بعبير نشره ، وتعريف الحاضرين والآتين بجلالة قدره ، ونحمد الله تعالى أن رأينا له خلفاً في العراق قبل الفجيعة بفقده وهو أخونا الأستاذ الشيخ (محمد بهجة الأثَري) سميكم وأشبه الناس بكم في فضلكم وإخلاصكم ، فلولاه لكانت المصيبة أعظم ، والرزء أوجع ، ولكنا

نعدُّ قطر العراق قد خلا من المصلحين وقضى عليه ، ولم يبق فيه أحد يرجع اليه وقد نويت أن أكتب اليه منذ علمت بالمصاب ولما أوفق لذلك .

أكتفي بهذه الكلمة المشتركة بيني وبينك وسائر الاخوان الأثريين في مصر والشام ، وأما ما يخصّني وحدي فأفوض فيه أمري الى الله ، وإنما أشكو بثي وحزني الى الله وأسأله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنا لله وإنا اليه راجعون .

أحب أن ترسل اليّ ما لديك من ترجمة فقيدنا العظيم ، ثم ما عسى أن يرسله سميك الكريم ، ولا أدري أكَتَبَ اليّ شيئاً أم لا ؟ فان عمَّال العراق لا يؤتمنون على ما يرسل الي ولا على ما يرسل مني الى بلادهم » !

وكتب العالم المحقق صاحب السعادة أحمد تيمور باشا المصري الى الأب أنستاس ماري الكرملي :

سيدي الصديق أبقاه الله ! قضى الله ولا راد لقضائه أن يفجع العلم بامامه ونبراسه وأن يُحْرَمَ المستفيدون من سندهم في حل معضلاته ، ويعلم الله ما كان لهذه المصيبة من الوقع في نفسي ، ولكن ما الحيلة وقد نفذ القضاء وطوي الكتاب . وإنا لله وإنا اليه راجعون

أحمد تيمور

وكتب اليه أيضاً الاستاذ الكبير صاحب السعادة أحمد زكي باشا المصري :

أسفت جدَّ الأسف على وفاة علامة العراق ، فقد مضى دجلة والحمد لله الذي أبقاك لنا يافرات ! كنت والله أقصد برحلتي الى العراق رؤية السيد الألوسي والاغتراف من بحر علمه ، فحالت المنية ، دون الأُمنية ، فرحمة الله عليه ، وعزانا الله عزاءً جميلاً على فقده ، ولا أدري أيجيب دعوتي في أن يتمَّ نعمته علينا بخليفة

له ؟ ولكنني أدعو وأدعو فأَمِّنْ يأبتاه ، حتى يستجيب الله ، وأرجو أن تتفضل بتقديم تحيتي وشكري لتلميذه الجاري على أثره محمد بهجة الأثري جعله لله خلفاً لصاحبنا آمين

أحمد زكي

وورد من ديوان (المعتمد السامي) ببغداد الى شقيق الفقيد :

جناب الفاضل الاكرم الحسيب النسيب مصطفى افندي الألوسي الأفخم :

تلقى فخامة المعتمد السامي بمزيد الحزن والأسف خبر وفاة شقيقكم المرحوم العالم العلاَّمة الإمام محمود أفندي شكري الألوسي . وقد كان لنعيه رنة أسف شديد في قلوب جميع اصدقائه الذين كانوا بحق يحترمونه ويحبون شخصه الكريم فأسأل الله تعالى أن يمن عليكم وعلى العائلة أجمع في ساعة أحزانكم هذه بالصبر والسلوان ، وبقوة الايمان ، تقوية لكم على تحمل هذا المصاب الأليم إذْ ليس للمرء من تعزية حقة أو عزاء صحيح في أوقات الشدة والاسى الا من لدنه تعالى

هذا ولما كنت من محبي المرحوم أرجو أن تتأكدوا مشاركتي لكم في الأسى والحزن على هذه الفاجعة الأليمة التي ألَمَّتْ بكم وأطلب ثانيةً من المولى أن يلهمكم الصبر والسلوان المخلصة :

كرترودْ بِلْ

وورد أيضاً من مفتش معارف بغداد مستر سميثْ :

حضرة الفاضل مصطفى افندي الألوسي المحترم

بعد الاحترام اعزي حضرتكم تعزية مخلص لوفاة المرحوم الفاضل أخيكم محمود شكري افندي الذي خسر العراق بفقده مرشداً حكيماً ومنشطاً للمعارف كما خسر العلم أجمل حليته وإني لآسف لوفاته كصديق حميم يحبه ويحترمه وأسأل الله تعالى طول بقائكم مع جميع أفراد العائلة م ؟

— ٢ —

المقالات

التأبين في الجاهلية والاسلام

— الخطبة التي افتتحنا بها حفلة التأبين الأربعينيَّة في فناء جامع الحيدرخانة في ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٤٢ هـ وقد نشرتها مجلة الحرية في م ١ ص ٥٩ — :

سلام عليكم أيها السادة الأجلة ورحمة الله وبركاته !

أحييكم تحيَّة مهيض جُبرَ كسرُه ، وكئيبٍ أذهب عنه الحزن بعد أن راعه دهرُه ؛ وأشكركم على شعوركم الحي في تقدير نوابغ الرجال والاهتمام بامورهم : شعرتم بالأمس عند ما حمَّ القضاء ، ونزل البلاء ، وغالت المنية رجل الاسلام الفذ ، بالفراغ الكبير الذي كان يشغله في عالمي العلم والأدب فهرعتم لتشييع جثمانه الطاهر من كل فج متفجعين ، وما فيكم الا المحوقل والمرجع ، والمتأسف والمتوجع ، والنادب والمتصدع ، والنائح والجازع .

واليوم لبيتم دعوتنا واجتمعتم لتأبينه واستمطار الرحمة لتلك الروح الطاهرة التي خدمت العلم والأدب سبعين حجة واصلة ليلها بنهارها من غير أن يعروها فتور أو سأم الى أن لبت داعي ربها وذهبت اليه طاهرة زكية .

فنشكركم على عرفانكم للجميل ، ووفائكم بالذمة ، وتقديركم للعلم ، لا جعل الله لعدوكم عليكم سبيلا

أيها السادة !

إننا لا نريد بهذه الحفلة التأبينية أن نتبرم بالقضاء الواقع ، الذي لم يكن له من دافع ؛ أو نثير في الأفئدة لواعج الاحزان ، وكوامن الاشجان ، فننوح ونجزع ونبكي وتندب ، أو نلطم الخدود ونشق الجيوب أو ندعو بدعوى الجاهلية

كما يتبادر لبعض الناس من معنى « التأبين » .

كلا ثم كلا : إننا لأجلُّ وأعظم من أن نتشبث بهذه السخريات المضحكة المبكية فنعقد لها المجالس ، وندعو اليها أجلة الرجال . نعم إن القصد لأعظم مما يتصوره أولئـك الذين لا ينظرون أبعد من أرانب أنوفهم ، فيرمون بالمروق أو الابتداع كل مَنْ يأتي بما لم يعرفوه في دفاترهم !

القصد من حفـلات التأبين جليل ، وفيها من الإجلال والتعظيم للعلم معنى جميل ، وهي لا تقام إلاّ لنوابغ الرجال : أصحاب الأعمال السديدة ، والآثار الخالدة ، والأيادي البيضاء ، والمآثر الغراء ،

تقام لهؤلاء وتذكر فيها مناقبهم ويثنى عليهم بما قاموا به من الخدمات الجليلة في سبيل العلم والوطن حثًّا على سلوك طريقهم ، واتبـاع آثار فعالهم وصنائعهم ، ودعوةً للخلف ، لإتمام مابدأ به السلف ...

هذا هو المراد من التأبين ، وهذا هو معناه في لغة العرب . قال علماء اللغة : « التأبين : الثنـاء على الشخص بعد موته . والتأبين : اقتفاء أثر الشيء ، ومنه قيل لمادح الميت « مؤبّن » لاتباع آثار فعاله وصنائعه » . فهل من بأس أو مخالفة للشرع تترتب عليهـا مفسدة اذا اجتمع ناس وأثنوا على ميتهم ، وذكروا مناقبه وفضائله ومحاسنه ترغيباً للخلف في اتباع منهجه وسلوك طريقتـه ، وقد ورد في الأثر « أذكروا محاسن موتاكم » ؟ وأي ذكر لمحاسنهم أحسن من ذكرها في جمـع محتشد يضم المئات والألوف من الشيب والـكهول والشباب وكلهم يسمعونها ويستمطرون سحائب الرحمة والغفران لتلك الأرواح الزكية ؛

إن الشريعة الاسلامية لم تمنع من اجتماعات حيوية كهذه فيها عبرة وذكرى ، ولا نهت عنها أو قالت إنها من أعمال الجاهلية يجب استئصالها كما يموّه المخرقون الذين يرتكبون في كل حين ضروب المنكرات ثم يرون القذى في عيون الناس

ولايرون الجذوع في أعينهم ! فحاشا لله أن تكون الشريعة مثلما يصفها الجامدون المقلدون العمى الصم البكم . على أن العرب قبل الإسلام ما كانوا يعقدون حفلات تأبينية مثل هذه يثنون فيها على الميت ويتناشدون الأشعار الاستنهاضية التي يرمى فيها مرمى بعيد . نعم : ربما كان ولي الميت يقوم على سرير فقيده قبل دفنه ويثني عليه ثم يدفنه ، وربما كان بعضهم إذا اجتاز بقبر صاحبه وقف مترحماً ومنشداً فيه بعض الأبيات ، ثم عقر على قبره ناقته . رُويَ أنَّ بعض الشعراء اجتاز بقبر ربيعة بن مكدَّم فوقف وأنشد :

لايبعدنَّ ربيعةُ بن مُكدَّمٍ … وسقى الغوادي قبره بذَنوب
نفرت قلوصي من حجارة حرّةٍ … نُصِبَتْ على طلق اليدين وهوب
لاتنفري ياناقُ منه فانه … شِرّيب خمر مِسْعر لحروب
لولا السفار وطول قفرٍ مَهْمَهٍ … لتركتها تحبو على العرقوب

وأنّ رجلاً وقف على قبر النجاشيّ فترحّم وقال : « لولا أن القول لايحيط بما فيك ، والوصف يقصر دونك لأطنبتُ بل لأسهبت » ثم عقر ناقته على قبره وقال :

عقرت على قبر النجاشيّ ناقتي … بأبيض عضب أخلصته صياقله
على قبر مَنْ لو أنني متّ قبله … لهانت عليه عند قبري رواحله

(هذا ما كان من أمرهم) ولكن هل أبطلت الشريعة كل ذلك ياترى ؟ انها لم تبطل الا العقر ، وأما الإنشاد والثناء فلا … … روي أن الإمامَ علياً وقف على قبر فاطمة رضي الله عنها فتمثل :

لكل اجتماع من خليلين فرقة … وإن الذى دون الفراق قليل
وان افتقادي واحداً بعد واحد … دليل على أنْ لايدوم خليل

ووقفت فاطمة على قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها   وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا   لما نعيت وحالت دونك الكثب

ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه جاء عليّ فوقف بالباب وقال : رحمك الله أبا بكر كنت والله أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيمانا ، وأشدهم يقينا ، وأعظمهم غنى ، وأحفظهم على رسول الله ، وأحربهم على الإسلام ، وأحناهم على أهله ، وأشبههم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتاً ... الخ .

ووقفت سيدتنا عائشة على قبر أبيها الصدّيق رضي الله عنهما فقالت : نضّر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فقد كنت للدنيا مذلاّ بادبارك عنها ، وكنت للآخرة معزّاً باقبالك عليها ، ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، فان كتاب الله ليعد بحسن الصبر فيك ، وحسن العوض منك ، وأنا أنتجز موعد الله بحسن العزاء عليك ، وأستعيضه منك بالاستغفار لك ، فعليك السلام ورحمة الله توديع غير قالية لك ولا رازئة على القضاء فيك

ووقفت على قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر فتمثلت بقول متمم ابن نوَيْرة :

وكنا كندمانَيْ جَذِيمةَ حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا   أصاب المنايا رهط كسر وتبّعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً   لطول اجتماع لم نبت ليلةً معًا

وصلى متمم بن نويرة مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه الفجرَ في المسجد عقيب قتل أخيه فلما فرغ قام متمم بحذائه واتكأ على سِيَةِ قوسه ثم قال :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت   خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور
ولنعم حشو الدرع كنت وحاسراً   ولنعم مأوى الطارق المتنوّر

أدعوته بالله ثم غررته لو هُو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبي بكر ، فقال ابو بكر : والله ما دعوته ولا غررته . ثم أتم شعره فقال :

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحطّ على سِيَة قوسه وكان أعور دميماً حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : وددت لو أني رثيت أخي زيداً بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك . ويروى عنه أنه قال : لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك !

ثم ما تقول بلبيد الصحابي الجليل رضي الله عنه حيث أوصى ابنتيه لما حضرته الوفاة أن ترثياه وتؤبناه فقال :

تمنى ابنتايَ ان يعيش ابوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما وقولا بالذي تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعَر
وقولا : هو المرء الذي لا صديقه أضاع ولا خان الأمين ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

والشواهد كثيرة لا يسعها المقام .

قلنا فيما تقدم ان الجاهلية ما كانوا يعقدون اجتماعا للأموات كهذا ، ولئن سلمنا جدلاً أنهم كانوا يجتمعون فهل نسلم أن كل عمل كانوا يأتونه أبطلته الشريعة ونهت عنه كما يزعم الجامدون من فريق المقلدة ؟ ذلك مالا أظن واقفا على مبادىء التعاليم الاسلامية يتفوه به بملء فيه .

ألم يكونوا في الجاهلية يحجون البيت ويعتمرون ، ويهدون الهدي ويحرمون ويرمون الجمار ويطوفون ، ويسعون بين الصفا والمروة ويمسحون ؟

ألم يكونوا يغتسلون من الجنابة ويستنجون ، ويحلقون العانة ويقلمون ،

وينتفون الابط ويختتنون،ويقصون الشارب ويفرقون ، ويتسوكون ويتمضمضون ويستنشقون ؟

ألم يكونوا يقطعون يد السارق ويصلبون الذين يعيثون في الأرض فساداً ؟

ألم يكونوا يحكمون بايقاع الطلاق اذا كان ثلاثاً وللزوجة الرجعة في الواحدة والاثنتين ، وتفريق الفراش في وقت الحيض ، الى غير ذلك مما يطول بيانه ؟

فهل أبطلت الشريعة كل هذا لكونه من أعمال الجاهلية أم قررته ؟ فما لهؤلاء المنتسبين للدين كيف يحكمون ؟

هذا ولا يَرِدُ علينا أن هذا العمل من المحدثات وقد ورد في الحديث «... شر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ..» لأن المراد بالبدعة في لسان الشرع ما طرأ على الدين ـ بعد أن أتمه الله ـ من الزيادات ، وليس في عملنا هذا بدعة كما عرفت مما تقدم فضلاً عن أنه لامخالفة فيه تترتب عليها مفسدة لأنه لايخرج عن ذكر محاسن الميت وحث الناس على سلوك طريقته السديدة وذلك شيء مأمور به في الشرع فقد ورد في الأثر : اذكروا محاسن موتاكم .

نعم يَعدّ عملنا هذا من البدع من يقسم البدعة الى خمسة أقسام : واجبة ومندوبة ومباحة ومحرمة ومكروهة ، والى حسنة وسيئة . ولكن هذا التقسيم لا دليل لهم عليه من الشرع وليس عليه أثارة من علم ، والناظر في كتاب الاعتصام للامام الشاطبي رحمه الله يتحقق لديه وجه انكارنا على القاسمين .

***

أراني قد أطلت أيها السادة فامنحوني عفوكم واسمحوا فان الضرورة قد ألجأت الى ذلك . فان الجامدين ممن تعرفون قد أخذوا يشنعون علينا ويرموننا بالابتداع والخروج عن دائرة الدين حينما علموا باقامة هذه الحفلة ، فاذا سكتنا فربما يتوسعون بعد في اللغو . فرأينا من الواجب أن نلجم أفواههم بالحجة واقامة

الدليل لا أن نغض الطرف عنهم أو نقابلهم بالمثل . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ؟ الأثري

عالم العراق * ورحلة أهل الآفاق (١)

السيد محمود شكري الألوسي

قال رسول الله صلى الله تعالى وآله وسلم « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه

وقد قبض الله تعالى اليه في الرابع من شهر شوال الماضي عالم العراق ، ورحلة أهل الآفاق ، ناصر السنة ، قامع البدعة ، مُحيي هدي السلف ، حافظ فنون الخلف ، علامة المنقول ، درّاكة المعقول ، دائرة المعارف الاسلاميّة ، نبراس الأمة العربيّة حجة العترة النبويّة ، عميد الأسرة الألوسيّة ، صديقنا وأخانا في الله عز وجل السيد محمود شكري الألوسيّ قدس الله روحه .

كان رحمه الله تعالى إماماً يقتدى به في علمه وعمله وهديه وآدابه وفضائله . وقف جميع حياته على علوم الاسلام وفنون اللغة العربية في هذا العصر الذي قلّ فيه الاشتغال بالعلم والأدب في تلك البلاد بين أهل السنة ، وكاد ينحصر في الشيعة . فبعد أن كانت بغداد في عهد العباسيين عاصمة العلوم والفنون في الأرض وكانت المدرسة النظامية فيها أول مدرسة جامعة في العالم ، ثم بعد أن كان يوجد فيها في كل عصر افراد نابغون كجدّ الفقيد صاحب روح المعاني « رحمه الله تعالى » استقبلنا هذا القرن الرابع عشر للهجرة من أوله في الاشتغال بالعلم ، وصار

---

(١) للعلامة الشهير السيد رشيد رضا منشيء مجلة المنار بمصر صدر بها ترجمتنا للفقيد (المنار م ٢٥ ص ٣٧٤) .

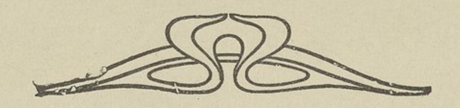
لنا بنشر المنار وبالسياحة علم واختبار بأحوال الأقطار الإسلاميّة فلم نسمع للعلوم العربية والدينية على مذهب السنة صوتاً الاّ من هذا الرجل ، لهذا لقبناه في مكتوباتنا له بعالم العراق ، كما لقبنا المرحوم جمال الدين القاسميّ بعالم الشام . إنما العالم من كان مستقلاً في فهمه للعلم واستدلاله على مسائله ، وقد مات العلم الحي المنتج في بلاد الاسلام بالتقليد رويداً رويداً حتى صار وجود العالم (المستقلّ) نادرا ، وصار اذا وجد متّهماً في دينه من أهل الحشو والجمود من أصحاب العمائم المكورة ، والأردان المكبرة ، والأذيال المجرّرة !

إن التعليم في المدارس الدينية الاسلامية كله تقليديّ فاذا رأيت عالماً مستقلاً فاعلم أنه لا فضل لمدرسته ولا لشيوخها في ذلك بل سببه استعداد خاص فيه قارنه إرشاد مرشد من غير العلماء الرسميين في الغالب - أو اطلاع على بعض المصنفات التي ترشد الى العلم الصحيح فلقحه فأثمر وأنتج ، وحسب فقيدنا الكريم أنه كان في أثناء طلب العلم يراجع تفسير جده أو يطالع كتاب أستاذه وعمّه (جلاء العينين) فهما يرشدانه الى ترك التزام ما قرره أفراد من العلماء لتسميتهم علماء مذهبه ، ونبذ كل ما أثر عن غيرهم من علماء الملة وان وضح دليلهم لأنهم أئمة مذاهب اخرى أو منسوبون اليها . وما يدرينا لعل عمّه السيد نعمان خير الدين كان يرشده الى الاستدلال والاستقلال ولو في الأصول ، وان كان كوالده صاحب التفسير يلتزم التقليد في الفروع ، فمهما تكن حالهما في التدريس والفتوى فقد كانا غريبين في عصرهما لما أوتيا من سعة الاطلاع وعدم الجمود على المألوف عند الأشياخ ، دع التعصب الذميم للمذهب .

والذي يظهر لنا أن الأستاذ رحمه الله لم يعن بالدعوة الى الاستقلال وترك التقليد وتربية نشء جديد يقوم بذلك على ما كان عليه من الشجاعة وعدم المبالاة بالدنيا وأهلها ، ولو عُني بهذا لكان له به شغل عن شرح فاتحة كتاب المطوّل

للسعد وامثالها [١]، ولعلّ عذره أنه لم يجد في بغداد طلاباً مستعدّين، ولذلك لم نرَ له غير تلميذ واحد يرجى أن يكون خلفاً صالحاً له في التدريس والتصنيف واحياء موات الكتب النافعة بالتنقيب عنها واستنساخها والسعي لطبعها، وفي غير ذلك من فضائله، الا وهو الأستاذ الشيخ (محمّد بهجة الأثري) — فقد عهد الفقيد اليه بمكاتبتنا بالنيابة عنه لما تناوبته الامراض في السنين الاخيرة فرأينا من مكتوباته خير مثال لمكتوبات أستاذه في اللفظ والمعنى، وفي الخط أيضاً فخطّه كخطه كأنَّه هو، ولولا آمالنا بهذا لكان حزننا على فقيدنا العزيز مضاعفاً أضعافاً كثيرة ٭

مصر (القاهرة) رشيد رضا



---

(١) أقول: قد عنى الاستاذ رحمه الله بالدعوة الى الاستقلال وترك التقليد لساناً وقلماً من يوم تحرره الى يوم وفاته، حتى ناله بذلك من الاذى ما فيما قدمناه غنية عن الاعادة والبيان. وتعرضه لشرح فاتحة المطول وأمثالها لأسباب: منها أنه كتبه فى أول عهده بالتأليف. ومنها أن الحاجة كانت ماسة الى شرح بعض الكتب وتدريسها لان طلاب العلم كانوا يمتحنون بها لاجل اعفائهم من التجند. ومنها أن مزاولة بعض تلك الكتب ضرورية للناظر فى كتب المتقدمين وقد درس المنطق وطرفاً من الحكمة فى حين أنه كان يكتب رداً على المنطقيين وذلك لان كتبنا مشحونة من اصطلاحات ذينك الفنين ومن لاتكون له خبرة بها يتعسر بل يتعذر عليه فهمها لا محالة. ومنها العذر الذي انتحله له حضرة السيد وهو أنه لم يجد فى بغداد طلاباً مستعدين. وقد قدمنا أنه صار فى أواخر أيامه لايدرس أحداً ولا يجتبي تلميذا مالم يسبر غوره ويثق من نبله. ونحن نشكر لحضرة الاستاذ السيد الجليل حسن ظنه بنا نفع الله به ٭

المؤلف

فقيدنا العلامة الالوسي

ـ بقلم الاستاذ المفضال صاحب التوقيع ـ

ضاق ـ وايم العلم ـ ذرعي ، وقض بي المضجع حينما فاجأني خطب فادح ألمّ بي ألمه بغتة قبل أن آوي الى فراشي بينما كنت أتتبع « المقتبس » الغراء .

وحقيق بمثلي أن يرمضه ويؤرّقه أفول كوكب العلم البازغ في أفق العراق ، الهاوي الى بطن الثرى ، عالم القطر بلا مراء صديقنا المرحوم (السيد محمود شكري الألوسي) تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه بُحْبُوحة جنانه .

ذلكم النابغة الماجد العصاميّ العظاميّ : العصامي بكده وجده واجتهاده ، العظامي بأسرته العريقة بالعلم والفضل والمجد . وما أحسن المرء اذا أضاف الى مجد النسب مجد النبل بالعلم والأخلاق والأدب ، وما أقبح من أضاع مجد آبائه بجهله وسوء أخلاقه ! ولاريب أن العاطل من مجدي النسب والنبل أقل معرةً من المتمجد بالعظم الرميم وهو خالٍ من كل فضيلة من أنواع الفضائل التي ازدان بها فقيدنا العظيم .

ذلكم العلامة النابغة الأديب الناثر الشاعر ، العليم بجوهر اللغة العربية وعلومها وآدابها ، الخبير بأحوال العرب وأنساب أحيائها ، وضروب قبائلها وأخبارها ، الفقيه بالشريعة الاسلامية ودقائقها وأسرارها ، الضليع بالسنة المحمدية وطرقها وأسانيدها وآثارها ، الجامع بين ماحكم به الشرع وبين مايدركه العقل بتأييد السمع ، وماأشد احتياجنا في هذا الوقت العصيب الى رجال يؤيدون النقل بالعقل ، ويوفقون بين الدين القويم وبين العلم النافع وفقاً لمقتضيات الزمان

والعمران ، أمثال فقيدنا النزيه عن الجمود ، والحشو ، والبدع ، والخرافات التي تناقض العلم ، وينبو عنها العقل ، وينبو منها الدين كما يبرأ الهدى من الضلال ، والعلم من الجهل ،

ذلكم المفضال الكريم اليد بما نمقته أنامله الكريمة ، ودبّجته يراعته العسالة من الكتب والرسائل والفتاوي والمقالات والمؤلفات لاسيما كتابه (بلوغ الأرب في أحوال العرب) المطبوع في دار السلام سنة ١٣١٤ هـ . ألّفه ـ نوّر الله ضريحه ـ تلبية لنداء لجنة الألسنة الشرقية المنعقدة في مدينة (استوكهولم) بدعوة (اسكار الثاني) ملك اسوج ونروج الشهير بتفانيه بمحبة العلم وأهله كما قال أستاذنا الشنقيطي الكبير الشهير واصفاً مآدبه بقول : —

مآدب كل الناس للطعم وحده ومأدبتا (اسكار) للطعم والعلم
دعا دعوة للعلم عمت وخصصت فأضحى بها اسكار يعلو على النجم

فقد اقترحت هذه اللجنة على علماء الأمة العربية تصنيف كتاب يعرب عن أحوال العرب العرباء وأخبارهم وخصائصهم وسجاياهم وانقسامهم الى شعوب وقبائل ونحو ذلك ، فانبرى الى إجابة هذا الاقتراح كثير من كتاب العرب ومتمكتبيهم ـ وما أكثر المتطفلين على موائد العلماء في ربوع تغلّب فيها الجهل على العلم : —

وعرض كل منهم بضاعته على سوق عكاظ تلكم اللجنة النقادة الخبيرة ، ولدى نقدها جميع ماعرض عليها بمحك النظر المستقيم أدركت أن الذي أحرز قصب السبق في مضمار الاجادة هو كتاب (بلوغ الأرب) الذي جاد به وأجاد أحد نوابغ العرب الذي أنشبت المنية أظفارها به هذه الآونة فاستحق الكتاب المدح والتقريظ كما نال كاتبه الجائزة مع التعظيم إذ بعث اليه الكنت (كرلودي

لندبرج) في ٤ يوليو سنة ١٨٨٢ م برسالة تقدر المؤلَّف المجيد حق قدره ، وتشكر مؤلِّفه المجيد . وما عداه من المؤلفين خسروا الصفقتين ، عائدين بخفي حنين ، لجهلهم بما تتوق اليه طبيعة علماء الاستشراق .

أسعدني سعود الطالع بالانتظام في سلك أصدقاء ذلكم الحبر الهمام منذ سبعة عشر عاما وأنا في ريعان الشباب إذ عهد الي — أجزل الله ثوابه — النظر بكتاب مخطوط في المكتبة الظاهرية لاتمام مانقص في نسخته التي حاول إظهارها الى عالم الطباعة وقد كان ذلك بنشره كتاب (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة) .

عهد الي بهذه الخدمة بواسطة تاجر عراقيّ الوالد ، شاميّ الوالدة ، فأديت المرام — بحمد الله تعالى — على غاية ما يرام ، مع زيادة حواش وتعليقات لم تكن بالحسبان ، فكافأني — رحمه الله — برسالة سداها الشكر ولحمتها التقدير خلع بها عليّ خلعة لاأستحقها لأنها أطول مني إذ كنت في مقتبل العمر ، ولكنها دلت على فرط أدبه ، وتواضعه ، ورقة شمائله ، وتقديره الفضل وأهله وتنشيطهم .

مضى وانقضى هذا العهد وصداقتنا غيبية الى أن ابتسمت دمشقنا الفيحاء بقدوم علامة بغداد الزوراء في السنة الأولى من سنى الحرب العامة ، فابتهجت بقدومه الزاهر ، وتشرفت بلقائه ، فألفيت منه رجلا عالمًا عاملا ، متخلقًا باحسن الأخلاق ، رقيق الشمائل ، رحب المحيّا رفيع الأخلاق ، عظيم التواضع . (وما أحلى التواضع من أرباب العظمة الحقة !) .

تبادلنا الحديث بموضوعات شتى فامتدح مقالتى المنشورة في إحدى الصحف الشامية التي عنوانها (الاتجار بالدين) قائلا :—

إن عنوانها وحده يغني عن مضمونها بالاعجاب بها وتقديرها حق قدرها .

فاوضته في الشؤون السياسـية فأجمع رأينا على النقمة على حكومة الترك ، والرغبة باسترجاع مجد الأمة العربية ، لـكن لم يصرح كل منا بالدولة التى يعقد العرب آمالهم بمؤازتها لبلوغ أمنيتهم وان لحظ كلٌّ منا ما يكنّه ضمير رفيقه بمـا يبدو أثره على صفحات الوجه ، أو من فلتات اللسان .

وقد خطر على بالى بمناسبة هذا المصاب بفقيد العالم الاسلامي عامة ، والشعب العربيّ خاصة قول الشاعر :

يا أهل بغداد ويامن بها   من فقهاء الناس أو شاعر

فاسترجعوا وابكوا على دينكم   واصطبروا فالأجر للصابر

فواحر دمعاه ، ويا أسفاه ، على هذا الحبر الجليل الذي تربطني به وشيجة الأدب ، التى هي أقوى علاقة من لحمة النسب .

وانى لا أقبح وجه الدهر كما قال أبو الطيب في رثاء عضد الدولة أبي شجاع ، بل أتمثل بما ورد في الأخبار : ان الله تعالى يعجّل بالخيار .

أغدق الله على جدثه شآبيب الرحمة والغفران ، وألهم آله وأصحابه الصبر والسلوان م؟

دمشق   محمد سعيد الباني



الامام السيد محمود شكري الالوسي

بعض مقالة مسهبة للاستاذ الباحث اللغوي صاحب التوقيع وصف فيها أولا وقع نعي الفقيد في نفوس أهل بغداد وتشييع نعشه وصفاً دقيقاً، ثم ما عاناه قبل موته من الأمراض التي كانت سبب موته وقال: «كان في مرض موته لا يفتر عن البحث والكتابة على الأسئلة التي كان يبعث بها اليه غير بائح له باشارة ولو طفيفة الى حالته الخطرة ولا الى مرضه». ثم وصف رسوخه في العلوم منها أنه كان إماماً في النحو واللغة والدين، ثم وصف مبلغ زهده وورعه وعزوفه عن حطام الدنيا... فاقتطفنا منها ما يلي:

كان الألوسي إماماً نحوياً... هدم بمعول تبحره عدداً جماً من القواعد والضوابط (يريد القواعد العربية التي لم تبن على الاستقراء التام لكلام العرب) ثم ضرب بها عرض الحائط لأنه بيّن ما فيها من الانحلال والفساد مستنداً فيما يقرّره الى ما يحفظه من كلام الأقدمين وشعرهم ورواياتهم القديمة. الا أن هذا الطود الراسخ في العلم لم يدوّن تلك الآراء في سِفر على ما أعهده، بَيْدَ أنه فاتحني بكثير منها في زياراتي العديدة له مدة ثلاثين عاماً، وكتب إليّ منها شيئاً غير نزر غير أن ثلاثة أرباع ما بعث به الىّ كتابةً غدا طعمة النار أو أتلف تمزيقاً وسحقاً بالأرجل في سقوط بغداد، ولم يبق لى منه سوى ما يؤازي الربع، وهو في مواضيع شتى من لغة ونحو ووصف بلدان وتاريخ وأدب وتحقيق امور لم تعنّ على خاطر أحد من السلف. ولو طبع الآن ما أحرص عليه حرصي على أنفس كنز لبلغ مجلداً قائماً برأسه يناطح السماء برفيع فكره ودقيق تحقيقه.

على أن ما لا يدرك كله لا يترك جلّه، ونحن نورد لك هنا كلاماً من تحقيقه

لتعلم منزلة الألوسي" من التثبت ، وتقف على أسرار ذلك الاستقصاء للبلوغ الى قعرها .

وقع لى أننى رددت على أحد ادباء دمشق مبيناً فساد قول من يذهب الى أن جمع مفعول لا يكسّر على مفاعيل سوى في ألفاظ معدودة وبعد أن أدرج نقدي أحببت أن أستفتي الامام في المسألة وطلبت اليه أن يذكر لى « أي الاثنين مصيب في كلامه » فكتب الي" هذه السطور وأنا أوردها بحرفها :

نظرت فيما كتبته على لفظ (المشاهير) راداً به على من أنكر هذه اللفظة من ادباء دمشق حيث حكم أنه لا يقال مشاهير الخ فرأيتك قد وفيت له الكيل صاعاً بصاع ، وألجمته بلجام الاسكات والافحام ، غير أن خصمك لا يذعن للحق إما لجهل أو لتجاهل . فان لفظ مشاهير أشهر من نار على علم ، واستعمال البلغاء لها قديماً وحديثاً لا يحيط به نطاق الحصر ولا سيما وجموع لغة العرب لا تدخل تحت قاعدة من القواعد وما ذكروه في هذا الباب إنما هو تقريب لا تحقيق.

فقولهم : كل ما جرى على الفعل من اسمى الفاعل والمفعول وأوله ميم فبابه التصحيح ؛ فاعلم أن هذه القاعدة منقوضة بمئات من الكلمات منها : ملعون ومشئوم وميمون ومسلوخ ومكسور وميسور ومفطر ومنكر ومطفل ومرضع ومجنون ومملوك ومجذوب وموقوت وموعود (ومنه كانت مواعيد عرقوب الخ) ومصروع ومخدوم ومضمون ومقدور ومعذول ومخنّث ، ومسند ومسانيد ومرسل ومراسيل ومجموع ومجاميع ومكتوب ومكاتيب الى غير ذلك مما لا يقوم به الإحصاء . فهل يجوز الحكم على جميع ذلك بالشذوذ وهي تجمع على مفاعيل ويستعمل هذا الجمع فصحاء الامة العربية صيانةً لما ذكره بعض الأعاجم من القاعدة التى ما أنزل الله بها من سلطان . على أنه لو سلمنا أن هذه اللفظة من الشواذ عن قاعدتهم فلا يجوز الحكم بانكارها وقد وردت في الحديث النبوي

(لفظة المشابيب) . فقول خصمكم : إنه ورد الحديث برواية اخرى وأن الدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال ؛ مما يدلّ على مبلغ علمه في هذا المقام . فقد ذكر الأئمة أن غلبة الظن في هذا الباب تكفي ، فكيف وقد وردت روايات متعددة في غالب ما استشهدوا به من الشعر العربيّ ولم يقل أحد من أئمة العربية إنه لا يصح التمسك بمثل ذلك لأن الدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال . وكل من ذكر هذه القاعدة استثنى ألفاظا كثيرة منها . فانظر الى البغية للسيوطىّ وما استثناه وهو كتاب ألفه على الكافية والشافية والألفية والشذور فانه تعقب كثيراً من قواعدها وما أهمله اصحابها وهكذا شراح التسهيل استثنوا كثيراً من الكلمات من هذه القاعدة

أفيقال : ان كل ذلك شاذ مع أن الشاذ ينحصر في كلمة أو كلمتين أو أكثر ثم إن الشاذ أقسام قسم منه موافق للاستعمال لايعاب مستعمله فلو سلم أن لفظة المشاهير شاذة فلتكن من هذا القسم . ثم ان منهم منْ يقول إن لفظة المشاهير هي جمع شهير . وشهير لايجمع جمع السلامة لما في كتب الصرف أن فعيلاً بمعنى مفعول لايجمع جمع الصحيح فلا يقال جريحون ولاجريحات ليتميز عن فعيل بمعنى فاعل . وقالوا : انْ لم يكن متضمناً للآفات والمكاره التى يصاب بها الحي كالقتل وغيره لايجمع على فعلى كجريح وجرحى وقتيل وقتلى فالشهير ليس متضمناً للمكاره فحينئذ لامحذور اذا قلنا : انها تجمع على مشاهير . وكذلك فأي منكر يلحق المستعمل لذلك بهذا المعنى . وكذا اذا قلنا ان المشاهير جمع الكلمة مشتهر وهذا الجمع لهذا المفرد مما صرحوا به مع حذف بعض الزوائد فكيف ينكر استعمال لفظة المشاهير اذا ادّعى أنها جمع مشتهر ؟

فهل وقف أحد على أنهم جمعوا المشتهر جمع سلامة فقالوا مشتهرون ؟ ما سمعنا ذلك من أحد قط فتبين مما ذكرناه أن قد حكم على من أنكر استعمال

هذه اللفظة قدح صحيح ، وأن المخالف لكم فيه الحاكم بانكار هذه الكلمة ليس له وجه وجيه » .

انتهى المقصود من ايراده ، فالألوسي من الطبقة الأولى بين النحاة ، لأنه من المجتهدين فيه غير مقيد بالقيود التي قيَّد بها اللغةَ أولئك القتلة قتلة الأحياء .

واذا كان محمود شكري إماماً متبعاً في النحو فهو إمام أكبر في اللغة ومفرداتها . لا أعلم اذا كنتَ استقريتَ أعمال مدوّني اللغة ، فانهم كثيراً ما ينقلون كلام من تقدمهم بنصّه وفصه وهم لا يشيرون اليه ولو من طرف خفيّ وكثيراً ما يوردون تعريف الأئمة السابقين لهم وهم لايفهمون ما يقولون ولا يتصورون مؤدى اللفظ الذي يتوخون شرحه فهم من هذا القبيل عالة بعضهم على بعض . . . والذي يُعنى بتتبع بعض الحروف يقع على شيء جمّ تأخذ مبهماته بالأرواح وتكاد تخرجها من الصدور الهائمة وراء الحقيقة . سألته يوماً هذا السؤال : (قرأت الآن في التاج في مادة حبس « الحِبْسُ سوار من فضة يجعل في وسط القرام وهو ستر يجمع به ليضيء البيت » فما يريد بهذا الكلام ؟ ولكم الفضل) .

فكتب اليّ ما هذا حرفه :

« هذه عبارة لسان العرب أيضاً والقوم ينقل بعضهم عن بعض من دون أن يتصوروا المعنى ، وإلاّ غيّروا ما نقلوه الى عبارة تفصح عن المعنى المراد ولم يرتضوا أن يجري قلمهم بمثل هذه العبارات الركيكة والجمل المبهمة التي أضاعوا بها العلم وحرموا الناس فهم المراد . وتوضيح هذه العبارة : الحِبْس سوار من فضة وبعضهم يقول المحبس الخ . أراد بالسوار الحلقة كما تكون حلقة من فضة تكون من نحاس وحديد وغير ذلك تجعل في وسط القرام وهو الستر وعوام بغداد يسمونه (پَرْدَة) توضع على الأبواب والشبابيك . وهذه الحلقة توضع في

وسط البردة وتدخل البردة فيها لتجتمع حتى يضيء البيت ويرتفع الظلام الحاصل من سَدْلها . والآن من الناس من يشد وسط البردة بخيط لتجتمع ويدخل الضوء البيت ، ومنهم من يجعل وسطها حلقة ، ومنهم من يدق بجنبها مسماراً فيعلق البردة فيه ، ومنهم . . . ومنهم . . . فحاصل المعنى أن الحبس حلقة يدخل فيها الستر الى وسطه ليجتمع بواسطة هذا الحبس ولا يكون مانعاً من دخول الضوء الى البيت اذ لو كانت الستور مسدولة على الأبواب والشبابيك يكون البيت المعلقة على منافذه الستور المذكورة مظلماً غير مضيء فاذا اجتمعت بواسطة دخولها في الحلقات أو شدّ أوساطها بخيوط أو بنحو ذلك أضاء البيت كما هو معلوم مشاهد للجميع » انتهى كلامه . فأنت ترى من هذا الكلام وضوحاً وجلاء لاتراه في أى معجم من معاجم الأقدمين والمحدثين ، وفى دواوين العرب والمستعربين ، لا بل اذا بحثت عن معناها نِعِمّا في كتب المتفرغين لهذه المباحث ترى فيها من الخبط والخلط ما يضحك الثكلى . وجمّ غفير من اللغويين المحدثين عرباً كانوا أو علوجاً أغفلوا شرح اللفظة بهذا المعنى لأنهم لم يحصّلوا من كلام الأئمة الأوائل ما يصوّر لهم الشيء تصويراً يبيّنه لهم .

وقد اكتفيت بذكر شاهد من كلام الإمام المتّبع اشارةً الى نوع أسلوبه في تحقيق الحق وإزهاق الباطل وإجلاء المعاني وإظهارها بعبارات تمكن القارىء أياً كان من معرفة الشيء جدّ المعرفة . وله مثل هذه التحقيقات أمثلة لاتحصى وقد اجتزأنا بما ذكرنا إثباتاً لما لأُستاذنا الكبير من المقام القصيّ في هذا المعنى .

واذا كان للألوسي قدم راسخة في النحو والعلوم العربية واللغوية فقدمه أرسخ في الأمور الدينية . نشأ محمود شكري في بيت دين كان فيه للخرافات مقام ظاهر (١) . إنْ لم يكن كبير أفلماترعرع تأصلت تلك الخزعبلات في نفسه النشيطة الا أنه لما خلا عن الأقران في إبان شبابه وطالع كتب الإمامين الشهيرين

(١) كذا وفى حكم الاب هذا نظر ولا أكلفك اكثر من مراجعة ماقدمنا

المجددين تقي الدين ابن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن القيّم نفض عنه غبار الجهل وان شئتَ فسمّه غبار التقليد الأعمى أو الخرافات الرثة البالية ، وسلّ سيفاً جراراً على كل من قال بها أو اتخذها حجةً على الصادقي الدين الآخذين بالكتاب والسنة . . .

إن صدق تديّن الألوسيّ يعرف من كتبه وأعماله : أما كتبه فكانت غارة شعواء على الخرافات المتأصلة في قلوب الجهلة والتقاليد الموهومة الخيالية التي لا نصيب لها من الدين ، وقد شبّ عليها القوم آخذيها من أناس لا دين لهم ولا خلاق . إن الألوسي اتخذ باروداً ناسفاً لإزالة ما عمّره بعض الأغمار في نفوس القوم ، فمؤلفاته : كتاب المنحة ، وغاية الأماني ، والسيوف المشرقة ، وفتح المنان وغيرها من الأسفار الجليلة كلها من باب سوط عذاب لأولئك الجامدين .

وأما أعماله فهي أحسن شاهد على صدق تدينه : كان يقوم بالصلوات الخمس ويصوم رمضان صوماً لا يتساهل فيه ، مع أن أولئك المفترين المشنعين على المصلحين يظهرون الصوم في الخارج واذا خلَوْا الى بيوتهم أكلوا وشربوا وتنعموا بالطيبات ، واذا خرجوا الى خارج قطّبوا وجوههم وتظاهروا بالعبوس وقالوا لكل من رأوه « إني صائم » ! فمثل هذه المراآة كان يكرهها الألوسيّ أشد الكراهية . وكان الألوسي غير متعصب بل كان في نهاية التساهل : المعممون البغداديون لا يقرّون بفضل غير المسلم مهما كان عالماً أو أديباً أو شاعراً أو لغوياً بخلاف الإمام فانه كان يجلّ كل من انتمى الى العلم والأدب . . . ! وكان يقوم بأوامر الدين ونواهيه كلما سنحت له الفرصة ، واذا رأى من خرّيجيه أو أصدقائه أو أحبائه بل اذا رأى من المنتمين الى بيته أعمالاً تخالف أحكام الدين نبذهم نبذ النواة ونسيهم ماحياً ذكراهم من فكره كل المحو . . . فلا جرم أن من يتصور أن

فلاناً معادياً لله ويريد أن يبقى كذلك لا يستحق أن ينال المغفرة . ومما دلّ على تدينه وزهده أنه كان يأكل فقط ما يسدّ به الرمق ومن الأكل البخس الثمن ، وكان لا يلبس الا الرث البالي وربما تزيّا بثياب لا تستره ستراً كافياً . ورأيته بعد الاحتلال يلبس حذاءً من أحذية جند الانكليز وكانت تباع رخيصة ، فقلت له : يامولاي ! أراك تلبس في رجلك مالم يرد أن يلبسه جند الانكليز أنفسهم لضخامة هذه الأحذية وشكلها الدميم وللجلبة التي تحدثها اذا ماسار بهـا المرء . قال : « إني أقنع ، بما بين يدي يقع » ولم يزد على هذا القدر .

وكان وصل الى حالة قاصية من الحاجة الى المال في عهد الاحتلال لأن الأتراك كانوا قد أفقروا البلاد والعباد ، فلما عرف ذلك المعتمد السامي (بوسي كوكس) أهداه ثلثمائة دينار ذهباً انكليزياً وكلفني بتقديمها اليه ، فلما أتيته بهـا رفض قبولها بتاتاً ، وقال : « خير لي أن أموت جوعاً من أنْ آخذ مالاً لم أتعب في كسبه » فألححت عليه إلحاحاً مملاّ مزعجاً فأبى وقال « لا تكثر من إلحاحك لئلا أطردك من بيتي طرداً لا عودةَ اليه » .

الا أن فاقته كانت وقراً عليّ وعلى محبيه ، وطلب اليّ بعض الاصدقاء أن أجِد له منصباً يثري منه . فتكلمت مع أولى الأمر وتمكنت من أن يعين قاضي قضاة المسلمين في العراق ، فلمـا وقف على تنصيبه أبىٰ وقال لي : إن هذا المقـام يستلزم علماً زاخراً وذمةً لا غبار عليها ووقوفاً تامّـاً على الفقه وأنا لا أشعر بذلك ووجداني يحكم عليّ بأني غير متصف بالصفات المطلوبة لمن يكون قاضي قضاة المسلمين .

والخلاصة : كان الرجل آية في التواضع والفقر ، كما كان آيةً في العلم والدين وعاش مع ذلك سعيداً بل أسعد الناس لأنه لم يكن يحتاج الى أحد .

وكانت أيامه ثمانياً وستين سنةً لأنه ولد في ١٤ أيار سنه ١٨٥٦ م ، وتوفى

عند ظهر نهار الخميس من شهر أيار سنة ١٩٢٤ م . فرحمه الله ونفع الناس بتآليفه وحسن أعماله ومبرّاته ؟

الاب انستاس ماري
الكرملي

الالوسى فى نظر علماء الاستشراق

كتب صديقنا العالم المستشرق الافرنسي الشهير لويز ماسنيون (L. Massignon) فصلاً في تقريظ كتاب الضرائر أحد مؤلفات الفقيد التى عنينا بتوشيتها ونشرها ـ نشرته مجلة العالم الاسلامي : (Revue du Monde Musulman) واستطرد فيه الى ترجمة الإمام فآثرنا ايراده في كتابنا ليقف القراء على ما كان له من المنزلة والشهرة في أوربة ، بعد أن عرّبه لنا صديق حميم ، وتصرفنا في تقديم الكلام وتأخيره على الوجه الذي تراه . واليك : —

« في ٨ أيار ١٩٢٤ توفي العالم البَحْر شكري الألوسي (١) البغدادي الشهير بابحاثه التاريخية ومجادلاته الفقهية على أثر تسمم دمه بالبول الدموي الذي آلمه إيلاماً شديداً مدة أشهر ولكنه مع ذلك كان يحقق نصّ كتاب الخيل لأبي عبيدة (لأجل احمد تيمور باشا وأحمد زكى باشا (٢)) والآلام تشويه وتقليه وهو ينظر اليها نظراً فلسفياً ويتحملها تحملاً زَنُونياً (٣) . وفوق هذا كله كان

---

(١) الالوسى من اسرة شريفة تنتمي الى الحسين وقد أقام الجد الاعلى فى جزيرة ألوس فى القرن الثالث عشر (م) وألوس قريبة من حانة على الفرات الأوسط (الكاتب) ـ (٢) كان الاستاذ قد استنسخ كتاب الخيل من مكتبة عارف حكمة بك فى المدينة ثم رأى أن يهدي لكل من هذين العالمين نسخة منه فكتبنا كلانا لسخة نسخة وأهدى هو نسخته الى الاول وأهديت انا نسختي الى الثاني . (٣) زنون . فيلسوف يوناني اشتهر بمتانة الاخلاق وتحمل المصائب واقتحام العقبات

يصوم رمضان صياماً لاتخفيف فيه محافظة على الشعائر مما أوجب اندهاش ذوي صداقته وقرابته .(١)

وقد اقيمت لذكرى فقده حفلتان تأبينيتان : احداهما في بغداد (في ١٦ حزيران) في اليوم الأربعين من وفاته . وكان قد حضرها (٣٥٠)(٢) عيناً من أعيان بغداد في مقدمتهم مندوب عن الملك والوزراء وكبار العلماء ، وافتتح الحفلة السيد محمد بهجة الأثري . والثانية جرت في دمشق (في ١٢ آب) وهذه الحفلة كانت مؤثرة للغاية لاسيما لأنها وقعت في اليوم الأربعين من وفاة الكاتب المصري الشهير المنفلوطي فازدوجت الذكريان معاً في يوم واحد بحضور عدة ألوف من الأدباء !! وقد خطب فيها كُرْد علي رئيس المجمع العلمي ، والشيخ بهجة البيطار ، وعز الدين علم الدين (الذي قفل من بغداد) ونطقا بما أدهش الحضور(٣) . وقد قرأ الشيخ البيطار تأبينين لعالمين من علماء بغداد كانا صديقي المرحوم الألوسي وهما : الأب انستاس ماري الكرملي العالم اللغوي من مبعث الكرمليين في العراق (صاحب مجلتي : لغة العرب ، ودار السلام) . والشيخ محمد بهجة الأثَرِي .

هكذا غاب الألوسي عن الأنظار ، وذلك قبل أشهر من فوز الوهابية(٤) التي كان عليها اعتماده في انعاش الاسلام وعودته الى مظهره الجديد في سالف الأعصار .

* * *

ووهابية شكري الألوسي(٥) نشأت عن ولعه بانقاذ الاسلام من الأخطار

---

(١) أقول : ولما مرض في أواخر رمضان أفطر (٢) بل كان عدد الحاضرين يزيد على الف وخمسمائة نسمة (٣) راجع مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية عن سنة ١٩٢٤ (الكاتب) (٤) راجع مجلة العالم الاسلامي الافرنسية في م٣٦ص ٣٢٠ وما يليها (الكاتب) ـ (٥) وكذلك كان على هذا الرأي صديقه جمال الدين القاسمي الدمشقي (الكاتب) ـ

الدنيوية والبدع المريبة المستحدثة في الأيام الأخيرة . وكان كسائر السلفيين يحب شخصياً حركة المذهب الحنبلى الجديدة التى تشاهد في ديار نجد .

ولقد أظهر لجميع أصحاب الحكم في العراق على اختلاف أنواعهم من الأنفة والاباء[١] مالا ينكره أحد سواء كان أولئك الحكام تركاً أو انكليزاً أوهاشميين واباؤه هذا الفذ جلب اليه جميع الانظار واستحق له شرفا مزدوجا الأول : أن الحكومة العثمانية نفته لأجل ذلك الى الموصل نفياً قصيراً (الى سنة ١٩٠٢) . الثاني : لما أحدق الخطر بالاسلام سنة ١٩١٥ استدعته الحكومة العثمانية ليعمل لأجل الوحدة الاسلامية فأجابهم وذهب برغم شيخوخته الى بلاد العرب الوسطى وبذل كل ماله من التأثير والمنزلة لبلوغ أربه ذاباً عن بيضة الاسلام الخطر الذي تهددها ومحاربا الأصفر الرنان الذي يبذله الانكليز ومحاولا اصلاح ذات البين من أمير نجد (ابن سعود) وأمير شمَّر (ابن رشيد) .

***

وكان شكري الألوسي يبطن تحت مظهر خشن وعنجهية بدويّة إخلاصا ومودة لايجاريان لاصدقائه وخلطائه، وكاتب هذه السطور قد شعر بهذه المناقب السامية في سنة ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ حينما كان في خطر الموت[٢] وكان قد بدأ يعقد عرا الصداقة المحكمة بين هذا الصديق وبين ابن عمه على بن نعمان الألوسي[٣] ، وكانت تلك الصداقة مبنية على تفاهم في العقليات ولقد حاياها بمراسلة بقيت حتى وفاتهما . ولا أزال أقر بفضل الألوسيين على ما تفضلا عليّ من الافادات الجلّي والنصائح الكبرى والوثائق التي كانا يحولاني عليها للوقوف على ما جاء

(١) رفض فى سنة ١٩٢١ منصب قاضى القضاة في العراق «الكاتب» (٢) يشير الى مواساة الفقيد اياه يوم مرض فى بغداد مرضاً مريباً (٣) كان قاضى الحنفية في بعلبك وعين نائباً عن بغداد في مجلس النواب سنة ١٩٠٨ - ١٩١١ وعين قاضياً لبغداد فى سنة ١٩١٩ وتوفاه الله في ٧ كانون الثانى ١٩٢٢ « الكاتب » .

في كتب القوم عن الحلاّج ذيّالك الصوفي البغدادي الشهير . ولقد وجدت في النصوص التى عثرت عليها رجلاً كان معجبا بالصوفي وهو ابن عقيل ذلك الحنبلي الصرف مع أن مذهبه كان يعدل به الى أن لايحوّل نظره اليه ، وكان الألوسي موافقا لابن عقيل المذكوز وان كان يعتبر العدول الذي أوجب على ابن عقيل كلا عدول ، وانتهى الأمر بالألوسي أن قال في الآخر بقول صديقه أمير بهوبال[1] صديق خان مصرحا بأن القضاء الذي حكم عليه كان شديداً[2] (في التاج المكلَّل)

***

ومن مؤلفات الألوسي في (التاريخ) بلوغ الأرب في أحوال العرب « في ٣ مجلدات . بغداد سنة ١٣١٤ هـ وقد أعيد طبعه حديثا » — أخبار بغداد « في ٣ مجلدات وهو مخطوط وعندي منه قطعة تتعلق بمساجد بغداد » — المسك الأذفر[3] — رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين . وفيه ذكر علماء بغداد الذين عاشوا في القرن التاسع عشر (في مجلدين مخطوطين[4]) .

وله في الأدب : كتاب الضرائر ومايسوغ للشاعر دون الناثر . يبحث عن الضرائر الشعرية التى يرتكبها الشعراء في نظمهم ، ولقد سعى في نشره تلميذه محمد بهجة الأثري الذي عُني بتوشية كتاب الصوّلي . وهذا الكتاب آخر مؤلَّف رآه المؤلّف في حياته مطبوعا . وله كتاب أمثال العوام في مدينة السلام . وهو مخطوط .

وله في العلم الدينى والفقه كتاب ما دلّ عليه القرآن من الهيئة الجديدة

---

(١) لم يكن الاستاذ صديق الامير بل عمه السيد نعمان الألوسي (٢) كنت يوماً فى مجلس من مجالس الاستاذ جرى فيه ذكر الحلاج فذكرت قول الامير صديق خان فقال : هل لك أن تأتينى به لابعث به الى لويز ماسينون عاشق الحلاج ؟ (٣) هذا هو الجزء الثالث من أخبار بغداد وهو الذي ذكر فيه علماء العراق لاكتاب مراسلات المناظرين (٤) راجع مقالاته فى الزوراء قبل ثلاثين سنة « الكاتب »

(واتفاق ما ورد في المصحف من أنباء علم الفلك الحديث وهو خط) . وكتاب عقوبات العرب في الجاهلية وهو خط [١] .

وله في المجادلات عدة كتب تدل على نقد شديد ينتقد فيها الشيعة والرفاعيين ويحبب للمسلمين المذهب الحنبلي على الطريقة الحديثة (وهي المعروفة عندنا باسم الشبيه بالوهابية) ، والفقهَ على الطريقة المذكورة ، وقد نشر كل هذا باسم مستعار [٢] ، ولا سيما في كتابه الذي اسماه (غاية الأماني فى الرد على النبهاني) وقد أظهره باسم أبي المعالي السلامي . طبع في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ في مجلدين ..

لويز ماسنيون

المصاب بالالوسي

للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

إن مصاب العلم والأدب والفضل بامامها الكبير ، ومعلي منارها الخطير ، وحامل لوائها الشهير ، العلامة المأسوف عليه ، والفهامة المعتمد عليه والبحاثة المنظور اليه ، هو مصاب الشرق بأجمعه ، ومصرع الغرب بمصرعه ، من مغرب العلم الى مطلعه .

فلا عجب اذا ادلهم النهار ، وتفجعت الآثار ، وتحيرت الأفكار ، وجفت الاقلام ، وناحت الانام ، وبكته الأعلام ، فان لمثله يحق البكاء ، وبه يجدر الرثاء وعلى فقده يحرم الهناء .

فلا يظن العراق مهد العلوم ، وملاذ المعقول والمفهوم ، ومطلع المنثور والمنظوم ، انه قد انفرد بمصابه ، ومُني وحده بأليم انتحابه ، وفقده إمام مريديه

(١) نشرته بعد وفاته في جريدة العراق (٢) لم ينشر باسم مستعار الاغاية الاماني

وأحبابه ، بل إن الشام قد نابته الآلام ، وعرته الأسقام ، فهو يشاطر شقيقه أحزانه ، ويكون في المصاب ممن أعانه ، وبكى فقيده مقرحاً عليه أجفانه .

ولا نحسب بعض الادباء قد عرفوا مكانة الفقيـد ، وأنه بين علمائهم وجهابذتهم بيت القصيد ، وأعظم مؤازر وغيور وعميد ، ولـكننا نثقُ أن كثيرين قد عرفوا مقامه ، وجرعوا من الحزن الشديد عليه جامه ، وأقروا له بالامامة .

فالشرق مبتلى بداء الاهمال ، واحباط الأعمال ، وتكثير الأقوال ، إذْ هو في مقدّمة المتخاذلين ، والمتحاسدين المتوا كلين ، والجاهلين المتجاهلين ، فهو ينكر كثيراً فضل نجبائه ، ويقصّر في تكريم أحبائه ، وينوءُ من الجهـل تحت أعبائه ، أفما حان له أن يفيق من هـذا السبات العميق ، وينظر بعين التدقيق والتحقيق ، الى ما فيه الاقرار بجميل الرفيق ؟

فالعلماء الأعلام الذين نبغوا بين الأنام ، مثل هذا الإمام ، هم قليلون اليوم على كثرة العدَد ، وما يجهزونه من العُدَد ، وما يُضْمَرُ من الغلّ والحسد

فعلى من فقَدْنا السلام ، راجين له حسن المقام ، وخير الثواب من رب الأنام.

فنَمْ أيها الفقيد في ضريحك المحبوب ، الذي نكلّله بحبات القلوب ، ونضمّخُه من طيب آثارك بأعطر الطيوب ، وثق أن كثيراً من مريديك ، وعدداً غير قليل من محبيك ، لا يزالون يفتخرون فيك ؛ فان كنت قد غبت عنهم بالجسم ، فقد أحياك الفضل والعلم . وخلدك الذكاء والفهم .

فعليك يهب بليل النسمات ، بأطيب النفحات ، في نواضر الجنات ، ويجود ضريحك شُؤبوب الرحمة ، ويتعهدك الاآله بوافر النعمة ، ويسمعك من ألحان الرضى أطيب نغمة ، فكن قرير المقلتين في النعيم ، جزيل الثواب العظيم ، وهذا خير عزاء لنا في مصابك الأليم ،

(دمشق) ١٢ ايار ١٩٢٤ الاسيف عيسى اسكندر المعلوف

الالوسي في نظر التاريخ (*)

بعض خطبة لصاحب التوقيع وصف فيها تأثير الألوسيين على سير العلم ببغداد ومناهضتهم للرأي العام الضالّ سواء في الدين أو العلم أو الأخلاق ، ومجاهرتهم بفتح باب الاجتهاد الذي أغلقه جمود المتأخرين قبل أن يجاهر به الشيخ محمد عبده وغيره . ثم أتى على بيان فضائل الاستاذ الفقيد فقال : —

أيها السادة : إن استاذنا الفقيد يمتاز بصفات اخرى زيادة عما توارثه من آبائه وأجداده الكرام . هي أنه قام بها بمقياس أوسع ، وبذلك أوضح محجتهم ورفع الخفاء عنها . . فمن فضائله خدماته التاريخية وإن كتابه بلوغ الأرب في أحوال العرب الذي حاز قصب السبق في مضمار لجنة الالسن الشرقية في استكهولم معروف ومشهور . وكذا تاريخه المسك الأذفر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر فان في خلاله وقائع تاريخية مهمة تتعلّق بقطرنا عدا سير الأشخاص والاسر ويقال في كتابيه تاريخ نجد ومساجد بغداد ما قيل في بلوغ الأرب والمسك الأذفر . وهذه التتبعات التاريخية ليست بالأمر السهل . ومع هذا فانها خير واسطة لمعرفة الحياة العلمية والأدبية والانتقادية مما لا يكاد يعثر عليه في سواها .

ومن فضائله احياء الكتب الدينية ونشر مذهب السلف فان له يداً طولى في اذاعتها ونشره . وكان يعتقد أن مذهب السلف هو الواسطة الوحيدة لتحرير العقول من رق التعصب الذميم وعدم مراعاة الدليل ، ولم يكن ليحبّ التبجح والافتخار كما هو شأن التجار وانما يرمي الى الحصول على الغرض ولا يهمه ذكر

(*) تليت في حفلة التأبين الاربعينية ببغداد .

أو لم يذكر . وكذا يقال عن إحيائه كتب الأدب واللغة وكل ما له مساس بالآداب العربية ، وتعداد هذه الجهات وايراد الأمثلة الكثيرة عليها مما لا يسعه المقام وغاية ما يقال انه سعى ولم يدخر وسعاً في التنقيب والنشر .

ومن فضائله أصول تدريسه. فانه لا يقلّ فائدة عن الامور المتقدمة . فاذا كان الاستاذ المرحوم الحاج عليّ الالوسي محبوباً في الالقاء والتلقين والافهام بصورة لا تدع ريباً لمستريب ، فان الاستاذ الفقيد لا يقلّ عنه في ذلك بل هو أوسع مادة وأغزر علماً وأكثر تحقيقاً ومن أراد التزوّد فاليه يفزع .

ومن فضائله أخلاقه ويندمج فيها زهده وورعه . فالأخلاق الفاضلة الاسلاميه وان كانت واجباً ينبغي لكل مسلم أن يتصف بها الا أن الاتصاف بها أصبح نادراً والتهاون بها كبيراً لذلك صرنا نطري من اتصف بها وان كان الواجب أن يتصف بها الكل . فالاستاذ الفقيد ممثل للأخلاق الاسلامية السامية في عصورها الاولى من زهد وورع وقناعة مع جدّ وعمل صالح وبرّ ومعروف ... وصفوة القول أن الاستاذ لم يتصف بما اتصف به متصوفة هذا الزمن الذين اتخذوا الطمع رائدهم والكسل منهجهم وإماتة النفوس ديدنهم لذا نراه يصل الرحم ويعود المريض ويغضب للحق ويصاحب للدين ويعمل لخير المسلمين ، وفي سبيل الحق والمجاهرة بالمبادىء الاسلامية الحقة لقي العناء والعذاب كسائر نحارير العائلة كالسيد محمود شهاب الدين ، ونعمان خير الدين ، وعليّ علاء الدين . ولم يكن ليثبط عزمه تقول المتقولين ولا اغراء العوام ولا الانتقاد الذي لم يؤيده برهان . وعلى كل حال فاننا :

فقدناه فقدان الربيع وليتنا فديناه من ساداتنا بألوف

ثم قال :—

والحاصل أن هذه العائلة منذ نشأت في بغداد منذ قرنين تقريباً الى يومنا هذا خدمت الحرية الفكرية والوجدانية ودافعت عن المبادىء الحقة واتخذت الوسائل للنهضة العلمية والدينية وفي ضمنها الوطنية العربيـة ، وقامت بامور ضد ما عرض للديانة الاسلامية الغراء من الجمود والخمول ، ولـكن الاسـتاذ الفقيد إمام الـكل والصادع الأعظم بالحق ولصيحته دوي هائل ، وهو أكبر من بث روح النهضة سواء في الوطنية العربية البحتة أو في المبادىء الاسلامية الفاضلة فهو أهل لأن يدعى (بالمصلح العربي الـكبير) .

هذا ولا محل لتعداد كل فضائل الاستاذ وانما اقتصرت على الاشارة .
رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ونفع بعلومه آمين ؟

المحامي عباس العزاوي



القصائد

— ٣ —

واشيخاه (*) !

أزمعت عنّا الى مولاك ترحالا لما رأيت مناخ القوم أوحالا
رأيتنا في ظلام ليس يعقبه صبح فشمّرت للترحال أذيالا
كرهت طول مقام بين أظهرنا بحيث تبصرنا للحق خُذّالا
ولم تَرُقْ نفسك الدنيا ونحن بها لسنا نؤكّد بالأفعال أقوالا
وكيف تحلو لذي علمٍ إقامته في معشر صحبوا الأيام جهّالا
لذاك كنت اعتزلت القوم منفرداً حتى أقاربك الأدْنَين والآلا
وما ركنت الى الدنيا وزخرفها ولا أردت بها جاها ولا مالا
لكن سلكت طريق العلم مجتهداً تهدي به من جميع الناس ضلّالا
(مَحْمُودَشُكْرِي)فقدنامنكحبرهدى للمشكلات بحسن الرأي حلّالا
قد كنت للعلم في أوطاننا جبلاً إذا تقسّم فيها كان أجبالا
وبحر علم إذا جاشت غواربه تقاذف الدرّ في لُجَيْهِ مُنْهالا
يامن بشوال قد شالت نعامته نغّصت بالحزن شهر العيد شوالا
أعظم برزئك في الأيام من حدث هزت علي به الأيام عسّالا
أمست لروعته الأبصار شاخصة أما القلوب فقد أجفلن إجفالا
طاشتْ حصاة العلى لما نعيت لها وكلّ ميزان علم بالأسى شالا (١)
اذا نعيّك وافى (مصر) منتشراً جثا (أبو الهول) يشكو منه أهوالا
وانْ أتى البيتَ (بيتَ الله) رجّ به وأوجس (الركن) من منعاك زلزالا

(*) انشدت في دار الامام الفقيد (١) الحصاة : العقل والرأي. والطيش : ذهاب العقل

أمّا (العراق) فأمسى (الرافدان[١]) به سطرين للدمع في خدّيه قد سالا
بكى الورى منك حبراً لامثيل له أقواله ضُربت في العلم أمثالا
بكوك حتى قد احمرّت مدامعهم كأنّهم نضحوا فيهنّ جِرْيالا[٢]
ولو لفظنا لك الأرواح من كمدٍ لم نقض من حقك المفروض مثقالا
ولا نخصّص في رزءٍ بتعزيةٍ الا علوماً أضاعت منك مفضالا
فان رزءك عمّ الناس قاطبةً يا أكرم الناس أعماما وأخوالا
شكراً لأقلامك اللآئي كشفت بها عن أوجه العلم أستاراً وأسدالا
كتبن في العلم أسفاراً سيدرسها أهل البسيطة أجيالا فأجيالا
أمددتها بمدادٍ ليس يعقبه دمع الأنام وانْ يبكوك أحوالا
وكنت أنت نطاسيّ العلوم بها وكنّ في سَبْرجرح الجهل أميالا[٣]
يامطلعاً في سماء الفكر أنجمه تهدي الى العلم رحّالاً وقفّالا
لو أنني بلغتْ زهر النجوم يدي نحتّها لك بعد الموت تمثالا
ما ضرّ من بعد ما خلّدت من كتب أنْ لانرى لك بين الناس أنجالا
اذا ذكرناك يوماً في محافلنا قضا لذكراك تعظيماً واجلالا
إني أخفّ لدى ذكراك مضطرباً وانْ حملت من الأحزان أثقالا
لأشكرنّك يا (شكْري) مدى عمري وأبكينّك أبكاراً وآصالا
فأنت أنت الذي لقّنتني حكماً بها اكتسبت من الآداب سربالا
أو جرتني من فنون العلم أدوية شفت من الجهل داءً كان قتالا[٤]
فصحّ عقلي وقبلاً كنت مشتكياً من علّة الجهل أوجاعاً وأوجالا
أنا المقصّر عن نعماك أشكرها ولو ملأت عليك الدهر إعوالا
فاغفر عليك سلام الله ما طلعت شمس وماضاء بدر الليل أو لألا

معروف الرصافيّ

(١) دجلة والفرات (٢) أي صبغنا احمر (٣) النطاسي : العالم. والسبر : امتحان غور الجرح وغيره (٤) أوجره الدواء : سقاه اياه

واحر قلباه ! (١)

— للمؤلف —

أتيت بالعيد أهني العيد شوّالا والظن أنك قد أبلت إبلالا
فعدت والقلب ملتاع بلوعته والعين ترسل فيض الدمع إرسالا
فوالدهري ! أما يكفيه مافعلت صروفه في "حتى كرّ" صيالا
بالأمس صاح بإخواني فأخمدهم واليوم صال على الأستاذ فاغتالا
يا راحلاً جدّد الأحزان مصرعه نغصت عيشي وزدت البال بلبالا
قد كنت براً بنا لا تنثني حدباً فمالك اليوم تجفو الصحب والآلا ؟
سئمت منافاً زمعت السرى عجلاً ؟ أم قد رأيت مصير القوم محالا ؟
أم لم يرقك مقام بين أظهرنا لما رأيت رعاء الشاء أحطالا ؟
عليهم من جلود الشاء أردية يخادعون بها الأغنام ختالا
آلت اليهم مقاليد الأمور وهم لا يرقبون سوى أحوالهم حالا !
بالأمس كانت الى جنكيز نسبتهم واليوم صاروا الى قحطان أنجالا
حال لعمرك تبكي كل ذي بصر وتذهل العاقل الفكّير إذهالا
باسم العروبة قد باعوا مواطننا وحملونا على الأثقال أثقالا
وأرهقونا على الإذلال إذلالا وطوّقونا على الأغلال أغلالا

***

يا نائياً عن ديار ودّ ساكنها لو كان يزمع عنها اليوم ترحالا
رحلت فانصبت الأحزان زاخرة عليّ حتى بها سربلت سربالا
واستك سمعي وانشق الفؤاد أسى وكدت لولا الأسى أتلوك إرقالا (٢)

(١) أنشدت في حفلة تأبين ببغداد. (٢) استك السمع : ضاق . وأسى الاولى بفتح الهمزة الحزن . والثانية بضمها جمع أسوة وهي ما يأتسي به الحزين .

مَنْ ذا يمرّ أنيني في مسامعه ... ولا ترى دمعه كالقطر منهالا؟
ما بعد يومك قلب لم يذب كمداً ... وأيّ جفن بفيض الدمع ماسالا
دوى نعيّك في الاقطار فاضطربت ... وضجّ من هوله السكّان إعوالا
ففي (العراق) حزين لا قرار له ... وفي (الشآم) كئيب أفقد البالا
وفي (الجزيرة) مفجوع أخو شجن ... بادٍ وفي (مصر) باكٍ ذاق وَلْوالا (١)
لاغروَ إمّا بكاك الناس قاطبة ... أو أوجسوا من أليم الخطب جِثْلالا (٢)
فأنت أنت الذي جيد العلوم به ... زها وقد كان منها الجيد معطالا
وأنت أنت الذى قد كان « منتظراً » ... فكم « هديتَ » الى الاسلام ضُلّالا
وأنت أنت الذي من بأسه ارتعدت ... فرائص الكفر تشكو الدهر أوجالا
وأنت أنت الذي دانت لهيبته ... قبائل العرب أذواءً وأقيالا (٣)
قد خفت ربك في سر وفي علن ... فخافك الدهرَ من مارىٰ ومن مالا (٤)
وكم أمامك قد ولّى ذوو شبه ... كما تولى جبان راءَ رئبالا (٥)
وما ركنت الى غير العلوم ولا ... دنستَ عرضاً ولا جمّعت أموالا
وراودتك ذِهِ الدنيا بزينتها ... فانصعت عنها وما دنّست أذيالا (٦)
بتّها وكفيت النفس غائلها ... فعشت ما عشت فيها ناعما بالا

---

(١) الولوال : البلبال

(٢) الجثلال : الفزع

(٣) الاذواء ملوك اليمن الذين أسماؤهم ذو رعين وذو كلاع وذو يزن . والاقيال : ملوك حمير

(٤) أي : من شك في الحق ومال عنه

(٥) راء : بوزن راع والاصل رأى قدم الالف وأخر الهمزة ضرورة . قال أبو الطيب المتنبي :

كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي

والرئبال : الاسد

(٦) انصاع : انفتل راجعاً مسرعاً .

وقـد عجمت بني الدنيا بأجمعهـم عجماً فأجفلت منهم بعدُ إجفالا (١)
فعشت منفرداً من غير صاحبـة تشتّت الهـم أو توليك إجمـالا
مضيتَ من بعـد ما أحييت من سنن دُرْس وبددتَ في الأعناق أغـلالا
وطـار صيتك في الآفاق قاطبـةً حتى به ضربوا للنـاس أمثـالا
إن الأُولىٰ حسداً كادوك أو سفهـاً ساؤا لعمرك عنـد الله أعمـالا
تبّـاً لهم من شياطـين مسلّطـة عاشوا مدى الدهر ضُلّالاً وجُهّالا
عاشوا نشاوىٰ بخمر الجهل تحسبهـم - وهم يجرون ذيلَ الأزر - أبدالا
لَيسوا من الدين في شيء وان سجدوا أو سبحوا الله أبـكاراً وآصـالا
إن يسمعوا رنة الدينـار مضطرباً خرّوا سجوداً الى الأذقان إجـلالا
فهم بمـا قدموا من موبقـاتِهِم ساؤا النبيَّ وسـاؤا الصحب والآلا
امـا الإمـام فقـد أولاه صالحة ونالـه ربـه من لطفـه نالا

***

ياشامتـاً راح مسروراً بمصرعـه مهـلا فلم يعـدم الرئبالُ أشبـالا
إن كنت تفرح من فقـدان سيدنا فسوف تلقى من الأشبـال أهوالا
اذا اليراعـة هزتهـا يدي رعفت سما زعافا يهرّي الجسـم أوصـالا
وانْ لسانيَ يومـاً كان منصلتـاً حسبته صـارما يهـتزّ عسّـالا

***

ما أنسَ لاأنسَ (٢) أياماً بصحبتـه حلّتْ، فمرّت وساءت بعد أحوالا
صحبتُ (شكري) من الأعوام أربعة حتى بلغتُ به في العـلم آمـالا

---

(١) عجمه : بلاه واختبره

(٢) - « ما » شرطية : و « أنس » فعل الشرط ، و « لا أنس » جوابه . والمعنى : ان نسيت شيئاً لا أنس كذا .

لولاه لولاه لم ادرك بلوغَ منى والبدر لولا سناء الشمس ما لالا
إني لأبكيه ماناحت مرزأة ثكلى ترنّ مدى الايام إعوالا
لو وجّه الناس منهم نحوه حزناً ازاء حزنيَ ماساءوه مثقالا
يا عين لاترقئي من واكف غدق ياعين سحّي عليه الدمع هطّالا
بات الخليّ على وجدي يفنّدني لم يدر أيّ عظيم ومحه زالا
جلّ المصاب وإنْ أحزن فلا عجب إنا فقدنا إماماً كان مفضالا
ما راعني الدهرَ الايومه ولكم جرى سواه وما قد راع أو هالا
قد كان حصناً حصيناً لي ألوذ به فصرت في حرة جرداء حلالا

***

بغدادُ قد أقفرت من بعد مصرعه فقلقل الركب عن بغداد إهبالا (١)
يا (بَهْجُ) أزمع الى مصر فلست ترى بعد الإمام بها ماءً ولا آلا
هذي المدارس أضحت وهي باكية من بعد شيخ بني الآداب أطلالا
زُمَّ المطيَّ ودع بغدادَ موحشة إني أرى في عرين الليث ذيّالا

***

ياسيداً آثر الأخرى ففاز بها وسار عجباً بها لله مختالا
إن بِنْتَ عنا فلم تبرح بخاطرنا كأنما فيه قد صورت تمثالا
أو ضمّك القبر في أثرائه فلقد نشرت من غرر الآثار أزوالا
لو يعلم القبر مَنْ وارى لتاه على ما حوله من قبور الناس إدلالا
فاذهب عليك سلام الله في دعةٍ ما أشرق البدر في الظلماء أولالا
وجاد قبرك غيث مسبل غدق دانٍ مُسِفٌّ يسح المزنَ إهضالا (٢)

٢٥ شوال سنة ١٣٤٢ محمد بهجة الاثري

(١) أهبل اهبالا : أسرع
(٢) أهضلت السماء اهضالا : سحت بمطرها

في موقف الأسى

لمن تركتَ فنون العلم والأدب ؟ أما خشيتَ عليهـا من يد العطب ؟
تلك المدارس قد أوحشتها فغدت خلواً من الدرس والطلاّب والكتب
ما إن تركت لهـا في العلم من وطر ولا لمنتابهـا في الدرس من أرَب !
إنّ (الألوسيّ محموداً) عرته لَدُنْ لاقاك (محمود شكري) خفّة الطرب
فاهتزّ لابنٍ أبٌ في قبره وغدا يُبدي الحفاوة خير ابن لخير أب
بحرين في العلم عجّاجين قد ثُويا فانصبّ مضطرب في جنبِ مضطرب
من فخر أزماننا في العلم أنهما علاّمتا هذه الأزمان والحقب
عليك (شكري) غدت شكرى مدامعنا تكفيك أدمعها السقيا من السحب
ما كنت فخر (الألوسيّين) وحدَهُمُ بل كلّ من ساد من صُيّابة العرب (١)
ولا رزأت النُهى والعلم وحدهما بل قد رزأت صميم المجد والحسب
ولم يخصّ الأسى داراً نُعيتَ بها بل عم مبتعداً من بعد مقترب
من (العراق) الى (نجد) الى (يمن) الى (الحجاز) الى (مصر) الى (حلب)
لقد ترحلت في يوم بنا انقلبت حوادث الدهر فيه شرّ منقلب
حتى تقدم ما في القوم من ذَنَب فصار رأساً وصار الرأس في الذنب
وبات يحسو الطّلا بالكأس من ذهب من كان يشرب رنق الماء بالعلب
فاذهب نجوتَ رعاك الله من زمن من عاش فيه دعا بالويل والحرب
تستثقل الصدق فيه أذن سامعه وتطرب القوم فيه رنة الكذب
والخير قد ضاع حتى إن طالبه لم يلق منه سوى المسطور في الكتب
أما الرجال فنار الشر موقدة فيهم وهم بين نفاخ ومحتطب

(١) الصياب والصيابة بضمهما ويخففان : الخالص والصميم والاصل والخيار من الشيء « القاموس »

أفعالهم لم تكن جداً ولا لعبا ... لكن تراوغ بين الجد واللعب
اذا جلست اليهم في مجالسهم ... تلقى القوارص فيها ذات مصطخَب
أرقى الصحائف فيما عندهم أدباً ... ما شذَّ منها بهم عن خطة الأدب
قد يطربون لشتم المرء صاحبه ... كأنما الشتم مدعاة الى الطرب
ويستلذون من قوم سبابهم ... كما استلذَّ بحك الجلد ذو جرب
لا يغضبون لأمر عم باطله ... كأنهم غير مخلوقين من عصب
وليس تندى من النكراء أوجههم ... كأنما القوم منجورون من خشب

***

ياراحلاً ترك الآماق سائلة ... يذرفن منسكبا في إثْر منسكب
أجبت داعيَ موت حُمَّ عن قدر ... وأيّ نفس لداعي الموت لم تجب ؟
والناس أسرى المنايا في حياتهم ... من فاته السيف منهم مات بالوصب
هذي جيوش الردى في الناس زاحفة ... لكنهن بلا نقع ولا لجَب
بين الدواء وبين الداء معترك ... فيه قضى ربنا للداء بالغلَب
والناس فيه عتاد للحِمام فلا ... ينجون من عطب الا الى عطب
وإن للموت أسباباً يسبّبها ... مَنْ سدَّ كل طريق عنه للهرب
لا يخلق الله مخلوقاً يجول به ... دم الحياة بلا أمّ له وأب
ولا يميتُ بلا داء ولا سقَم ... ولا يُعيش بلا كدّ ولا تعب
وليس ذلك من عجز بخالقنا ... عن أن يزجّ بنا في قبضة الشجَب
لكنه جعل الدنيا مسببة ... لكل أمر بها لا بدّ من سبب

***

يا من اذا ما ذكرناه نقوم له ... على الأخامص أو نجثو على الركب
لقد تركت يتيم العلم منتحباً ... والكتب راثية منه لمنتحب

إن كنت في هـذه الدنيا لمنقطعاً ... اليه عن كل موروث ومكتسب
أعرضت عنها مُشيحاً غير ملتفتٍ ... الى المناصب فيهـا أوْ الى الرتب
أُولعت بالعـلم تنميه وتجمعه ... منذ الشباب وما أولعت بالنشب
فعشت دهراً حليف العلم تنصره ... حتى قضيت فقيد العلم والأدب

معروف الرصافي

على ذلك الثاوي العظيم تحية (*)

كفى حزناً أني أرى اليوم راثيا ... وعهدي بدمعي أنه كان آبيا
حوادث دهر يصدع الصخر وقعها ... فـكيف بقلب يخفق الدهر داميا ؟
لقد كنت جلداً في الخطوب نوازلاً ... وراجح حلم في الـكروب عواديا
ولـكن هذا الخطب زلزل راسياً ... وأورث أشجاناً وأجرى مآقيـا
فأمسى الذي ما قابل الناس باكياً ... يروح ويغـدو موجع القلب باكيا
خليليَّ ، إنْ لم تسعدا فتعطَّفا ـ ... على مرخصٍ سوم الدموع غواليا
أَلِمَّا فهذا مأتم العـــلم والهدى ... نعينا به للعالمين المعاليـا
ألا في سبيل الله نفس تقطعت ... على الدين يلقى من ذويه الدواهيا
ألا في سـبيل الله نفس عليمة ... أبانت من الأسرار ماكان خافيا
ألا في سبيل الله روح الذي قضى ... كريمـاً وأفنى أنفس العمر هاديا
نعى البرق للأقوام علماً وحكمة ... وللدين مشحوذَ الغِرارين ماضيا
فلست ترى في الناس إلا نواعيا ... ولست ترى في الارض الا مناعيا
فلا يبعدنك الله (شكري) فاننا ... عرفنـاك أخلاقا زكت ومبـاديا
ولا يبعدنك الله شكري فاننـا ... رأينـاك روضا ينبت الفضل زاهيا

(٥) للاستاذ الاديب الدمشقى صاحب التوقيع أنشدها في حفلة تأبين المجمع العلمي العربي بدمشق .

ولا يبعدنك الله شكري أخا العلى فقد عشت للآداب والعلم داعيا
بكيتك في (الزوراء[١]) أمس مدامعاً وها أنا في (الفيحاء) أبكي مراثيا
ترى القوم في النادي حيارى من الأسى ووسم الأسى في أوجه القوم باديا
فما فيهم طرف من الدمع ناضباً ولا فيهم قلب من البث خاليا
لئن لبست فيك (العراق) حدادها لقد لبسته (الشام) أسودَ ضافيا
عزيز علينا أن نرى السيف مغمداً وقد فلَّ بالأمس السيوف المواضيا
وان نجد الغيث الذي كان شاملاً تقشع لايروي من القلب ظاميا
وكيف يضم اللحد جثمان سيد هو البحر علماً والبلاد أمانيا ؟
لمنطقه فصل الخطاب فان نضى له قلما خلت الجراز يمانيا
وتحسب أسفار الإمام سوافراً بتبيانه والمعضلات عواريا
ترى البحث فيها مجتنى العقل ناضجا تودّ به لو أن للبحث تاليا
أبى طبعه تقليد من جاء قبله وهل قدَّس العقلُ العظامَ البواليا ؟
فما إنْ قضى من راح بالعلم خالدا وعاش على التقليد في العلم قاضيا
ومجتهداً في دينه عن بصيرةٍ وعن زخرف الدنيا المخادع لاهيا
غدا الزهد في اسماله وهو زائل وراح بمنسوج المحامد باقيا
تعرضتِ الدنيا له مستميلةً فآثر أخراه وأعرض نائيا
وقال لمعطيه الدنانير : عُدْ بها لصاحبها إذ عزة النفس ماليا
هجرتك إن لم ترجع المال هجرةً بها لاترى بيتي (أَنَسْتَاسُ) ثانيا
لأحوج للدينار مني مفيده إذا كان بالدينار يرمي المراميا [٢]

---

(١) يشير الى خطبته التي ارتجلها في الحفلة التي أقمناها ببغداد .
(١) مضى شرح هذه القصة العجيبة في تأبين الاب نستاس

« * »

فهل لرجال الدين يحذون حذوه لكيما يصونوا أوجهاً ونواصيا ،
أرى الدين بالأخلاق قام عموده وليس سوى الأخلاق للدين واقيا
فلا دينَ للمرء الذي ساء خلقه ولم يحمدوا منه التقى والمساعيا

« * »

ولولا رجاءٌ لي بأنصار فضله و (بَهْجَتِهِ) ماكنت للحزن ساليا
لأذويت مغروس الأماني لأمتى وأطلقت محبوس المدامع هاميا
ولوكان (شكري) موته موت غيره (ببغداد) ما ألفيتونيَ شاكيا
على ذلك الثاوي العظيم تحية وجادت ثراه المعصرات غواديا

(دمشق) عز الدين علم الدين

مَنْ لي مِنْ بعدك ؟

إني أرى (بغدادَ) نوّاحةً كأنها قامت على قبر
تقول من وجد ومن ترحةٍ مَنْ ليَ من بعدك يا (شكري)

عز الدين علم الدين



عالم العراق وأديب مصر (*)

﴿ الألوسي والمنفلوطي ﴾

الليل بعد الراحلَيْن طويل أو ما لصبغك يا ظلام نصول ؟
يطوي الزمان النابغين فينطوي لذهابهم أمم ويهلك جيل
ولربّ نعش غاب في طيّاته فتح أغرّ وموطن وقبيل
والناس أسياف : فمنها مغمد صدىء ، ومنها الصارم المسلول
في كل يوم للجزيرة كوكب يهوي ، وسيف يعتريه فلول
قبر بعاصمة الرشيد ، وآخر في مصر حق ستوره التبجيل
بدران قد بكر الأفول عليهما ولكل بدر طلعة وأفول
ومشيعان الى القبور بموكب يرتدّ عنه الطرف وهو كليل
فيه رعيل من ملائكة العلا ومن الجدود الاكرمين رعيل
عيسى وأحمد والكليم عصابة فيها الأمين المنتقى جبريل
ما للجزيرة ؟ أين نور نبوغها ؟ الزيتُ جفّ وأُطفيء القنديل
بغداد شاكية ومصر مرنّة والشام حاسرة القناع ثكول
تلك الأقانيم الثلاثة واحد بَرَدى ، وشاطيء دجلة ، والنيل
لاتنكروا حقّ الحياة لأمّة فيها النبوغ على الحياة دليل
لم تخبُ أنوار النبوغ وانما مرعى النوابغ في البلاد وبيل
ما قلّ فينا النابغون وإنما عدد الأُلى قدروا النبوغ قليل

بدوي الجبل

(*) من قصيدة طويلة لصاحب التوقيع انشدت في حفلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد اقتطفنا منها مايتعلق بالرثاء فقط .

فياويح بغداد ! [1]

أعلاّمة الاسلام كهف زمانه قُم ِ اليوم أنقذ أهله من نطى الخطب
فللهدم ما شادته آل أميّةٍ وملك بني العباس للسلب والنهب
رأينا بك الاخلاص لله رائداً وآثرتَ في كل الامور رضا الربّ
طويتَ بِبُرْدَيكَ السماحة والتقى فأذكرتنا أيام أحمد والصحب
زهدت بدنيا نالها كل بائع لها الوطنَ المحبوبَ من امم الغرب
وهل يستوي الخصمان : راضٍ عن العدا يسومونه سوءاً ، وغضبان للشعب
وما يستوي البحران : هذاك مالح أجاجٌ ، وهذا أعذب سائغ الشرب
فيا ويح بغـــداد اذا جدَّ جدُّها وأعوزها التحقيق في النازل الصعبِ
لَتَسوية الحبر (الألوسي) بغيره لدى مشكلات العلم من أبين الكذب
اذا ما بكاك الحق « شكري » وأهله فقد كنت شمس الحق تجلو عمى القلب
ستبكيك ياشكري المعاهدُ بعد ما بك ابتسمت حيناً طوته يد الكرب
سيبقي لك التاريخ ذكراً مخـــلداً رفيعاً بما أخلدتَ من أثر عذب

***

ألا رحم الله الألوسيّ شيخنَا فقد حلّ في دار النعيم على الرحب
وما ماتَ من كان « السميُّ » مريده ووارثه في الدين والعلم والحبّ

***

أيا « بهجةَ » الآداب زينة أهلهـا لقد ردّ روضَ العلم فضلُكَ في خِصْب

---

(١) بعض قصيدة لحضرة الاستاذ الجليل صاحب التوقيع . وما جاء فيها من الثناء على تبعاً لرثاء استاذنا الامام فقد اضطررت لذكره ولولا رغبة السمى الصديق في اثباته لاستغنيت عنه فأشكره على حسن ظنه

ومالي لا أثنى عليك وإنما … عليك لقد أثنت علومك في الكتب
كأن تآليف الألوسي روضة … مبللة من شرحكم بندى السحب
أناطت يد التحقيق منك بجيدها … قلائد من ماسٍ ومن لؤلؤ رطب
كأن شبا أقلام (بهجة) في الوغى … قواطع تردي الخصم كالسمر والقضب
اذا هزها فوق الطروس حسبتها … قذائف من (منطاد) تقذف في الحرب
وقفت لأصحاب الرذيلة وقفة … أعدت بها أيام أحمد والصحب
يريدون من ليلى وهند ومريم … سلوك سبيل خطها نسوة الغرب
يعاقرن بنت الحان في الحان جهرة … ويرقصن في الملهى مع الرجل الخب
بربك هل هم مسلمون ؟ وهل هم … من العرب؟ حاشا أن يكونوا من العرب !
فلو برزوا قدماً على عهد يعربٍ … لشن عليهم غارة الطعن والضرب !

دمشق — محمد بهجة البيطار

أسى الفيحاء (*)

دموعك أرسلها فا كبادنا حرى … فما ثم من لوم فتلتمس العذرا
عفا ربع ليلى والليالي تصرمت … فديتك قف بي ريثما «نبك من ذكرى»
أتملك دمعاً من مآقيك بعدما … شهدت أسى (الفيحا) ونوح بني (الزورا)
وقد أصبح الدين الحنيفي سارياً … أمام إمام الناس سبحان من أسرى
على هذه الدنيا العفا إن حلوها … لمرٌّ ولكن نحن نستعذب المرّا
لها كل يوم جولة بين معشر … « فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى »
تداوي كلوماً من دماء قلوبنا … اذا سالمت زيداً فقد كافحت عمرا
يعز على العليا مصاب محنك … له همة تستنزل الطائر النسرا

(*) أنشدت في « فاتحة » الحلة الفيحاء

إمام به قد كان شرع محمد يشد لقمع الجاحدين له ازرا
تغيبت يابدر الدجنَّة بعد ما رأى الملحدون النجم من غيظهم ظهرا
عييتُ فقل لي ما أقول فانني فقدت شعوري يوم فقدك والشعرا
يكلفني صبراً «هذيم» وما درى بأن رزايا الدهر تحتدم الصبرا
على منبر التدريس بعدك وحشةٌ وقد قوس المحراب من حزنه الظهرا
بنفسي ذاك الحبر من كان قابضاً على دينه والناس لا تقبض الجمرا
يبيت يجافي جنبه عن فراشه لتأويل نص أو لفلسفة أخرى
لقد كان بحراً في الحقيقة قاذفاً لمستمنح الارشاد من كنزه الدرا
وكان (جمال الدين) مقول أهله وكان لهم يمنى وكان لهم يسرى
عليه رضا الرحمن من متزود من العلم والتقوى ولم يقترف وزرا
تسربل أبراد العفاف تكرماً ولم يشتك يوماً كاضرابه الفقرا
همام اذا ما المنكرات تزاحمت يرد على الاعقاب جحفلها قهرا
يسل على الباغين مرهف عزمه فتأتي له الاغيار طائعة قسرا
فكم طاعن في الدين قد جاء جاحداً فآمن لما أن رأى الآية الكبرى
فكل قياس من قضاياه موصل الى الحق لا كبرى تعاب ولا صغرى
وبرهانه اللمي يشرح كنهه يراع له قد قارع البيض والسمرا
قضى نحبه ذاك اللسان واصبحت ربوع المعالي اليوم من بعده قفرا
قضى نحبه والعلم حول سريره يكفكف وكف الدمع من عينه العبرى
قضى نحبه والروح راح بروحه لمقعد صدق لا يجوع ولا يعرى
ووافاه رضوان بروح مبكراً وحيته بالريحان حوراؤه العذرا

الحلة : نافع الحلي

مامات شكري (*) !

لا السجن يبكينا ولا التبعيد كلاّ ولا الإرهاب والتهديد
سنظلّ نهزأ بالخطوب تجلّداً مهما استمرّ الضغط والتشديد
واذا تناوشت الحراب صدورنا هتفت اليها في الصدور كُبُود
إنا تحالفنا على نيل المنى وتسجّلت منا بذاك عهود
والصبر شيمتنا وليس يهمنا ان قال فينا ما يشاء حسود

***

لكنما تهمي مدامعنا على شيء يُراع لهوله الصنديد
شيء فقدناه بيوم كريهة لم يكفه نوح ولا تعديد
فقد العميد وتلك أعظم نكبة هيهاتَ ما بعد العميد عميد
إن لم تجد عيني عليه بدمعها فلأيّ شيء بعد ذاك تجود ؟
واذا أنوحُ فلست أول نائح قد ضاع منه طارف وتليد

***

كان العراق محطّ آمال الورى تأتيه من أقصى البلاد وفود
أيام كان العلم يزهو روضه وله على هام النجوم بنود
فاستهدفت بغداد فاجعة بها اسـ ـتولى على تلك الحياة جمود
فغدا العراق مقيداً بعوائد جاءت اليه بها الخطوب السود
والقيد مهما أُحكمت حلقاته لا بدّ أنْ ينتابه التبديد

***

في فترة العلماء أنجب قطرنا حرّاً يذب عن الهدى ويذود
فاستبشر الأجداد فى أجدائهم أكرِمْ بعهد ترتضيه جدود

(*) أنشدت في الحفلة التأبينية ببغداد

«محمود شكري» أنت ناصر ديننا ... لله درّ أبيك يامحمود
أحييت بالتنقيد ميت عقائد ... مامسّها فحص ولا تنقيد (؟)
ومشيت نحو الحق مشية وازع ... ما صده عما أراد (مُريد)
فتجدد الاسلام فيما جئته ... لبني الهدى ، ياحبذا التجديد
قلتَ ارجعوا ياقوم عن أوهامكم ... فالدين غاية أمره التوحيد
لم يثنك الحكام عن إرشادنا ... حتى أحاطت فى حماك جنود
ونفيت عن بغداد غير مروع ... حاشا تراع من الذئاب أسود
ولكم اهين المصلحون لغاية ... فنيت وهم في العالمين خلود
وبرغم ما صنع العداة رأيتهم ... بعدوا كما بعدت هناك ثمود
ورأيت (شكري) في العراق تحفه ... بعد الملائك أمة ووجود
ألقى اليه المسلمون قيادهم ... وبذاك تمّ لهم به التقليد

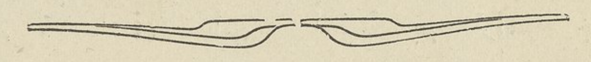
***

ستون عاماً في المدارس عافها ... للعلم يرشد قومه ويفيد
ماذا أقول وهذه آثاره ... كالشمس لم يطلب لهنّ شهود
أسفي على تلك المعالي أصبحت ... تحتاطها بعد الطروس لحود
والله لو أن المنية تُفتدى ... لفداه منا سيّد ومسود

***

مامات شكري حيث خلّف بعده ... علماً على طول الزمان يزيد
فعليه ما بكت العيون تحية ... نفحاتها التقديس والتمجيد

ناجي القشطيني



واإماماه! (*)

مات الإمام ولا سـواه إمام فبكى عليه الدين والاسلام
ليت السماء قـد انطوت لمصابه والأرض قد خسفت وعمّ ظـلام
من ظن أن الشمس تـكسف في الضحى والبدر يلقى الخسف وهو تمام ؟
ويغور بحرٌ ما له من ساحل ويضمّ (رضـوى) جندل ورجام
(محمود شكري) قد قضى نحباً وقد ناحت عليه العرب والاعجام
عشرون الفاً شيعوه لقبره مثل الملائك خلفه وإمام !
ودويّ تهليلاتهم وصـلاتهم كدويّ نحلٍ هاج فيـه ضرام
فسرى كنوح والسفينة نعشـه والدمع طوفان عليه سـجام
هذا سليمان وذاك بساطه والريح أكتاف الورى والهام
قد كان حراً مطلقا بعلومه ما قيدت أفكاره الأوهـام
قد كان يرجو للبلاد تقدما ومُناه فيهـا أُلفة ووئام
يمضي على العزمات غير مقصّر عن امة منها الحقوق تضام
قد طـلق الدنيا ثلاثاً انـه ما غرّه عـرض بها وحُطـام
وعلى محبّته القلوب تزاحمت والمورد الصـافي عليه زحام
نِطْس ذكيّ عبقـريّ متقن عفّ الضمير وفي الدجى قوّام
تبدو البساطـة والوقار ببرده وبوجهه الإجلال والإعظام
ما مات من أحيا العلوم صـلاحه وكذاك موت المصـلحين منام
يا غرفةَ الدرس اهبطي من بعده وتهدّمي فالدرس فيك حرام
خرّي سجوداً واركعي فبموته قد غاب عنك العلم والالهـام
يا قائد العلماء بالرأي الذي يعنو اليه الجيش وهو لهـام

(*) انشدت في حفلة التأبين ببغداد

أنت الإمام ابن الإمام المرتجى ... من شأنك الاخلاص والإقدام
لله ما ألفت من كتبٍ لها ... تصبو العقول وتهتف الأفهام
لك مثل (أحوال الأعاريب) التي ... (ببلوغها) تتفاخر الأقوام
جئناك يوم الأربعين ودمعنا ... يجري على الوجنات وهو سجام
جئنا نؤبّن منك روحا ضمّها ... روح وريحان الرضى وخزام
ولو انّنا بعنا بحبّك أنفساً ... لسنا على بيع النفوس نلام
أعلمتَ ما خلّفتَ (شكري) في الورى؟ ... خلفت ما خضعت له الأحكام
ولطالما هزت عروش ممالكٍ ... هذي الدواة وهذه الأقلام
من بعد فقدك يا ابن آلوس العلى ... كسر اليراع وأغمد الصمصام
نم واسترح فالدهر غير مسالم ... والقبر فيه راحة وسلام
الموت يجري في الأنام ولم يكن ... فيه لهم نقض ولا ابرام
مشت الانام على الأنام وبينهم ... صلة بها تتأصل الأرحام
أقدامهم سارت على قدمائهم ... واليوم تمشي فوقهم أقدام
أنتْ عظام جدودهم من تحتهم ... وجميع ما فوق العظام عظام
لا ميت يبقى ولا حيّ بها ... فكأننا وكأنهم أحلام
فالكل موتى لا تعذر بينهم ... لولا الحمامُ كفى الأنام حمام
الناس تمشي والليالي مثلها ... ولكل شيء في الحياة قيام
نم في جوار الله (شكري) آمنا ... فعليك من رب السماء سلام

عبد الرحمن البناء

واإماماه (*)

أي خطب عرا وأيّ مصاب هدّ طود العلوم والآداب
هدّ ركناً للدين كان قوياً ورمى ربع مجده بخراب
فادح في الاقطار ألقى دوياً كاد يقضي على ذوي الألباب
هزّ بغداد والشآم ومصراً ورمى البيت والصفا باضطراب
هو موت الإمام (محمود شكري) قد أذاب القلوب قبل الإهاب
إن (شكري) قد كان خير إمام وهمام ما كان بالمرتاب
نفع المسلمين بالعلم منه وسقاهم من ورده المستطاب
وهداهم إلى صراطٍ سويّ وتفانى لهم بغير حساب
كان حرّ الضمير حبراً تقيًّا عبقريّ الخصال رحب الجناب
راح لله طاهراً وزكيا بعد ما خطّ منهجاً للصواب
كان للناس بحر علم وفهم كيف قد غاض فيضه في التراب؟
كان بالحلم والرزانة طوداً فطواه المنون طيّ كتاب
فكأن الحياة لمحة نورٍ تتجلى أو لمعة من سراب
خير ندب قضى لدى الحق نحباً بعد ما قد قضى حقوق انتداب
قوضت بعده المدارس حزناً وتداعت دعائم الكتاب
لطمت وجهها الطروس عليه وكذا الكتب أعولت بانتحاب
ونعاه الركوع لله ليلاً وبكاه السجود في المحراب
خطفته المنون بالرغم عنا ثم مرّت به مرور سحاب
فكأن المنون آراء شعب ونفوس الأخيار كالأحزاب

(*) أنشدت في « فاتحة » حي الحيدرية ببغداد .

فلهذا اختارت يد الموت (شكري) فسقانا مصابه كأس صاب

***

أيها الموت بالأعاظم رفقاً إن هذا ياموت منك تحابي
كل يوم تختار منا إماماً كل يوم تأتي بشيء عجاب
كل يوم من أفق (آلوس) شمس تتوارى وقت الضحى بضباب
فرقد إثر فرقد يتهاوى وشهاب يخرّ خلف شهاب
أنت منا قد انتخبت عظيماً للمنايا وذاك شر انتخاب
واغتصبت الفذّ الأبيَّ اغتصاباً ويك هذا ياموت شر اغتصاب
قد جرحت الاكباد بالرزءِ منا وتركت الدموع ذات انسكاب
حينما قد فجعتنا بامام خاض بالاجتهاد كل عباب
فيلسوف الاسلام في الشرق طراً لم يخالف أحكام آي كتاب
ان أقلامه لدى الذب عنا هي تغني عن الظُّبا والحراب
ذو علوم أفكاره قد أماطت عن شؤون الاسلام كل نقاب
إن ما ألف الفقيد مفيد لذوي اللبّ من بني الآداب
حيث في الدين صالحات هداه باقيات على مدى الأحقاب
حاملات الى الشعوب بياناً ذا معان قشيبة الجلباب
حارب الجهل والأولى اتبعوه بيراع ما كان بالهياب
كم حديث رواه عن دين طه باختصار يشف عن اسهاب
وعن الفقه كم قيود رماها هي كانت سلاسلاً في الرقاب
بعده النحو بات مثل جريم علقته المنى من الأهداب

***

يا إماما يد المنون رمته بمصاب أعظم به من مصاب

قد جرعنا عليك كاسات صبر وشربنا الأسى بلا اكواب
غبت عنا وأنت منا قريب تسمع الصوت من وراء حجاب
كنت فينا (أبا المعالي) رشيداً لملوك الأحساب والأنساب
كم ترامت على يديك ثغور كترامي العطاش فوق الشراب
نم هنيئاً فالناس بعدك موتى كل شيء مصيره للتراب

عبد الرحمن البناء

الامام الالوسي (*)

سار في همة له ووقار قاصداً بالمسير غير ديار
سار لاماشياً على الارض لكن رفعته أنامل الافتخار
سار في موكب يموج كبحر هاجه عاصفٌ من الاكدار
كَرِه العيش في ديارٍ رآها خاليات من مثله أحرار
فامتطى النعش وهو مركب مَنْ لا يرتضي عيش ذلةٍ واسار
قدس الله سرَّهُ من أبيّ ما ارتدى في الحياة ثوب صغار

***

رضع العلم وهو طفل الى أنْ شبّ فيه ذا مكنة واقتدار
فتجلى من بعد عشرين عاما وهو ذاك النحرير في الأمصار
مصلحاً مرشداً فقيهاً حكيماً عالماً عاملاً عفيف الازار
سابقاً في حلائب الفضل من كا ن مجدّاً فى ذلك المضمار
من يجاريه يا ترى وهو بحر ما له من نهاية وقرار ؟

(*) أنشدت في حفلة التأبين ببغداد .

ولدينا آثاره شاهدات له بالسبق بين كل مجاري

***

كدت أقضي من شدة الحزن لمّا أن نعته النعاة في (أيّار)
وسرى نعشه الموقّر ما بيـن دويّ التهليل والأذكار
ليت يدري ذيّالك النعش ما كا ن حواه من سودد وفخار
ماحوى غير بحر علم وفضل وعجيب إذ ضمّ وسع البحار

***

لاتقولوا مات الإمام كمن ما ت وأمسى في غارب الاندثار
ماأراه إلا تنقّل من دا ر فناءٍ الي ديار قرارِ
فهو يحيى في جنة الخلد الآ نَ مع الصالحين والأبرار
سارحاً مارحاً بأهنأ عيش في رياضٍ مزدانة بالجواري
غير راءٍ هناك ما كان يشكو في الدُّنا من ضلالة الأغرار
فعليه السلام ما جنَّ ليل وتزاهت كواكب ودراري

ابراهيم منيب الباججي

يوم التأبين

جئنا نقيم بهذا اليوم تأبينا والدمع كالغيث يجري من مآقينا
جئنا نجدّد ذكرى ما ألمّ بنا من المصاب لو آن الذكر يجدينا
جئنا نشاهد آثاراً مخلدة تهدىٰ الينا ونهديها لتالينا
جئنا نعزي المعالي والعلوم بمن الى طريق الهدى قد كان يهدينا
الله أكبر مات العلم واندرست آثاره وخلت منه نواديها

الله أكبر ما للدهر يفجعنا ما ان نصادقه الا يعادينا
لا تعتبن على دهر يفرقنا فشيمة الدهر تفريق المحبينا

***

يا كوكباً غاب في الأحداث منطفئاً وجوهراً بات تحت الترب مدفونا
لئن نسيت عهوداً في محبتنا فنحن لسنا لعهد منك ناسينا
بعدت عنّا ولم تسمع تحيتنا وطالما كنت يا (شكري) تحيينا
قم من ضريحك وانظر امة وقفت تبكي علاك وتبكي العلم والدينا
قم من ضريحك وانظرنا بعين رضا فنظرة منك بعد اليوم تكفينا
مذ سرت سار الهنا عنّا وودّعنا والحزن ظلّ مقيماً في نواحينا
تركت أنجالك الطلاب في جزع مشتتين مدى الأيام باكينا

***

كانت أمانٍ لنا ياقوم زاهية بموت (شكري) لقد ضاعت أمانينا
عزوا المحافل عزوا اليوم (بهجتها) عزوا المدارس بل عزوا الدواوينا
عزوا تلاميذه الأنجاب قاطبة وعزوا أسرته الغر الميامينا!

عبد الكريم العلاف

وامصيبتاه (*)!

صبراً وان كان المصاب جليلا قد طبق الدنيا بكاً وعويلا
ويلاه من هذا الزمان فانه لم يدر الا الغدر والتنكيلا
أبداً يريش نباله لكنه لم يصم الا أصيداً ونبيلا
لله أي مصيبة ورزية أضحى لها طرف العلوم كليلا

(*) انشدت في دار الامام الفقيد .

يا أيها النبأ المغادر دجلة عزّ الفرات بهـا وعز النيـلا
اليوم قد رزىء العراق بفقد من مقلُ الورى سَحّت عليه سيولا
اليوم بيت العلم طاح عمـاده فانهار من بعـد السمو مهيلا
اليوم أقفرت المدارس وانمحت منهـا الرسوم وعطلت تعطيلا
اليوم أقفلت النوادي كلهـا اليوم أصبحت الديار طلولا
اليوم شمل العلم عاد مشتتاً مذ بات عقد نظامه محلولا
هيهات بعد (أبي المعالي) أن نرى لعلومه بين الأنام مثيلا
من ذا ترى (للحيدرية[1]) بعده في العـلم والتقوى يكون بديلا
ياراحلاً والمـكرمات تحفّه يمّمت ظلاً في النعيم ظليـلا
مالي أراك وأنت تسرع في السرى هلاّ وقفت الى الوداع قليـلا
ما شيّعوا للقبر نعشك وحده بل شيعوا التـكبير والتهليـلا
قد كنت للزوراء أقوى ساعد واليوم ساعدها انثنى مشلولا
سلَّ الزمان عليك عضباً مرهفاً ياليت مرهفـه انثنى مفلولا
مولايَ يومك ما أجلَّ مصابه أذهلْت فيـه من الأنام عقولا
إني وددت بأن أكون لك الفدى لو كان يرضى الموت فيّ بديلا
وأبيت قبلك في التراب مغيباً لو أنني ألقى لذاك سبيلا
فلأرثينك ما حييتُ على المدى ولأبـكينّك بكرة وأصيـلا

عبد الـكريم العلاف

(١) أي مدرسة جامع الحيدرية الذي شاده الوزير داود باشا

الرزء الفادح

من سميري على السهاد الطويل ومعيني على البكا والعويل ؟
من نصيري على خطوبٍ توالت وشريكي لدى الأسى وزميلي
ياخليـليّ إن في القلب ناراً تتلظى من فرط حزن دخيـل
ياخليليّ فالمصاب عظيم وجليـل لفقد شيخ جليـل
فدح الأمر ، ربّ هوّن وسلّم ربّ وابعث لنا بصبر قليـل
أيموت الشيخ الذي كان فينـا لسبيل النجاة خير دليـل ؟
بمن اليوم نقتدي ثم نهـدى ونولّي وجه المنى والسول ؟
فلدار السلام سار وقد كا ن بدار السلام خير نزيل (١)
برّد الله في القلوب لهيباً لفقيد ما إن له من مثيـل
طيب الله من ثراه طهوراً بنسيم من النعيم بليل
وسقى الله ذلك القبر برداً من معين الرضا ومن سلسبيل
لك يامنتهى الرجاء سلام واحترام مدى الزمان الطويل
وثناء ورحمة لك تهدى كل يوم وغدوة وأصيل
كم شجيّ لهول منعاك فينا وعليـل من الأسى كم عليـل
فتهنّـأ بالنوم بعد سهاد كنت لازمته بخير سبيل

***

فات عينيّ مشهد سار فيـه الشـــيخ والصبر والنهى في رحيـل
وكأني بالنعش فوق رقاب من ألوف الرجال في تبجيل
قد أحاطوا به بُكيًّا حيـارى في ضجيج النواح والترتيـل

(١) دار السلام الاولى هي الجنة ، والثانية بغداد عاصمة العباسيين

يترامون كالسيول فما بَيْـــــنَ نشيج وزفرة وذهول
ذاك يوم وأي يوم عظيم رب يوم من الزمان مهول
فعليك السلام ما غاب نجم مثلما غبت ، وانتهى للأفول

الموصل فاضل الصيدلي

عالم العراق (*)

بعضُ قصيدة :

أيّ حر لم تعره الاتراحُ ومن الدهر لم تصبه جراح
قلبته الأتراح بطناً لظهر بعـد ما قد طابت له الافراح
ويعيش الانسان كالطيف عيشاً حيث يودي به القضاء المتاح
فلك الكائنات تم انتظاماً فهدوء طوراً وطوراً صياح
وانقضاء الأيام إمّا هناء أو عناء أو فرحة أو نواح
في الورى للخطوب أمر ونهي طاوعتها الأجسام والأرواح
ولهذي الحياة أيّ ازدهاء قلّما في صفائها نرتاح
في الجسوم الأرواح تزدان شكلا معنوياً وهكذا الأشباح
وطراد المنون في الخلق يجرى مثلما في الفضاء تجري الرياح
كل فرد لا بد يلقي براحاً وحريّ عن الحياة البراح
هل صباح لا يعتريه مساء ومساء لا يعتريه صباح
للمنايا على الأنام هجومٌ ليس يغني عنه هناك سلاح
كيف لا والزوراء أمسى لديها طافئاً بعد ضوئه المصباح

(*) انشدت فى حفلة التأبين ببغداد

قد توارى في الترب بدر كمال فتوارى تقى الورى والصلاح
ذاك (شكري أبو المعالي) المفدى مَنْ لصدر الاسلام فيه انشراح
هو في عالم الديانة حبر ولأبواب سرها مفتاح
غمر الناس علمه وحجاه فله ألسن الثناء فصاح
جهبذ في العراق كان وحيداً وإمام يزينه الايضاح
هدَّ ركن الاسلام (محمود) لما زعزعته من المنايا رياح
شرعة المصطفى لقد ندبته وا إماماه أين هذا الرواح ؟
هل نرى بعد فقدك اليوم ندباً بهداه لنا يتم النجاح ؟
مات والله من به فقد النو رُ لدينا واطفىء المصباح
إنما المسلمون لو شيّعوه ببكاء لما عليهم جناح
هو نبراس طلعة النجم زاهٍ ولزند الفخار فيه انقداح
وهو روض بزهرة العلم يزهو ولفرع الأصول ماء قراح

***

لك (بغدادُ) حسرة بعد شكري وبكاء وصفقة ونواح
فعليه دارَ الخلافة نوحي [ما على كل من يموت يناح]

***

يا ضريحاً قد ضمّ محمود شكري إنما أنت في ثراك الضراح
أين ذاك التدريس أين القراآ ت وأين اللغات والاصلاح ؟
أين ذاك الايمان في قلب حرّ أين ذاك الكمال أين الصلاح ؟
قد مضى للجنان أرخ : ببشر ولشكري وسط الجنان نجاح

١٣٤٢ هـ

البصرة : عباس العبدلي

فقد الهادي

خطبٌ ألمَ ففتّ في الأعضاد … وأسال دمع العين من بغداد
ومن الرزية للبلاد وأهلها … كثر الضلال بها وفقد الهادي
فقد العراق بفقد (شكري) والورى … [رجل الرجال وواحد الآحاد]
ونعاه لي طير البريد عشيةً … [فرأيت كيف خبا ضياء النادي]
قد كنت يا (شكري) إمام أئمة … وحكيم فلسفة وحبر رشاد
قد كنتَ خرّيت الصناعة ماهراً … بالفن مجتهداً بكل سداد
وسرى حديثك في البقاع جميعها … حتى روته حواضر وبَوَادي
لله درك من مشيد مجده … بيديه لا بمآثر الأجداد
ما للألى قد شيعوك الى الثرى … طراً قد ازدحموا على الأعواد
تبكي عيونُهُمُ عليك وهم على … قسمين فيك مسالم ومعاد
ما ذاك إلا لارتقائك ذروةً … للمجد لفت طارفاً بتلاد
وكذا العظيم بموته وحياته … له (؟) حرمة عظمى بكل فؤاد
والمرء في هذي الحياة مسافر … فليجعلنّ الذكر خير الزاد

***

إني اذا أرثيك لست بخاسر … إذ أرثي(؟) منك خصائل الامجاد
والفضل والعلم الغزير وما حوى … منك الفؤاد من الذكا الوقّاد
مَنْ للشوارد بعد يومك جامع … من كل فصحى من بنات الضاد
قد عشت في دنياك غير مهناً … وكذا حياة العالم النقّاد
ستنال في أخراك غايات المنى … وتحوز ما ترجوه في الميعاد
بلّت ثراك مدى الزمان سحائب … تبكيك بين روائح وغوادي

نزيل لندن : كاظم الدجيليّ

الامام المجدد

بعض قصيدة :

أرى الدهر لايختار إلا مسوَّداً لحا الله دهراً مولعاً بالمسوّد
ففي كل يوم منه نرمى بنكبة ولكنها - واحسرتا - في المجدّد
ألا إنَّ موت المصلحين مصيبةٌ ولا سيما موت العظيم المسدّد
فقدنا بفقد الحبر محمود شكرنا مناهلَ تروي كل صادٍ بفدفد
أخو عزمات لاتلين لغامز وقد كان يسعى دهرَهُ للتجدد
ويسعى لتنوير العقول بعلمه وتكسير أغلال الجمود المقيّد
فمن بعده يحمي الشريعة إن سطا عليها ذوو الإرجاف من كل معتدي؟
لقد نكب الحق المبين بموتهِ فخرَّ صريعاً كالهشيم المبدّد
فوا لهفي مُذْ غيبوا منه أبحرا من العلم في ذاك التراب المحدّد
وا لهفي ! والمجد أصبح بعده يطوف على الأقطار للفضل يجتدي
فما فقده فقدان فرد من الورى ولكنه فقدان جمع مؤيَّد
وكم ذاهب في إثره ألف ذاهب ولكنهم لايوزنون بمفرد

***

فيا راقداً من بعد طول انتباهه لتهنك جنات النعيم المخلَّد
ويهنك عفو الله والرحمة التي ستكسى بها ثوب الجلال المؤبد

الكويت عبد العزيز الرشيد



رثاء الامام الالوسي

غبت عنّا أيها البدر المنير فدهينا
وعرا أوطاننا الخطب العسير فبكينا

كم بعثت النور يجلو الظلمات في الليالي
أسئمت العيش في هذي الحياة بانعزال ؟

قد يغيب البدر في جوف الغمام ثم يطلع
ويواري كوكب الليل القتام ثم يسطع

كنت أنت النيّر الباهي الطلوع بازدهار
أيها الراحل عنا : هل رجوع للديار ؟

كنت سامي الروح محمود الخصال غير ساه
لم ترم غير ثواب ونوال من إلهي

أصحيح غبت عنا نائيا ؟ لا لعَمْري !
سوف يبقى كل آن زاهيا اسم (شُكْري)

بغداد ! (ابن السموأل)

دمعة الكرخي

الشعر العامي أوسع صدراً وأفسح مجالاً من الشعر الفصيح في تمثيل الشعور وبسط المقاصد وسرد الحقائق كما يشاء المرء من غير أدنى تكلف. فلذلك كانت له عند علماء الاجتماع وفضلاء الباحثين في آداب الأمم وأحوال الشعوب منزلة لا تقلّ عن منزلة الشعر الفصيح، والأدب الصحيح، وربما كان عند بعضهم أفضل منه بكثير. وقد تنبه الى ذلك مؤسس علم الاجتماع العلامة ابن خلدون فاستشهد به في مقدمته على كثير من حوادث المغرب الأقصى.

وقد رأينا أن تكون إحدى قصيدتَيْ شاعر العراق (الكرخي) في رثاء الإمام، مسك الختام. قال:

مَنْ يعزّي المصطفى سَيْدَ البَشَرْ بالألوسي السيّد الشيخ الأغرّ

مَنْ يعزي المصطفى خير الأنامْ ويُبَلّغهُ عن الأُمّه السَّلام
ثم يخبرْهُ: ألإمام ابن الإمامْ قد قضى، مَنْ كان أهلاً للفخَرْ
قوموا عزّوا الكون إن البدر غابْ هزّ منه الفلك الأعلى أضطرابْ
في أمور الدين صار الانقلاب زهقَ الحقْ بعدَهُ الباطِلْ ظَهَرْ
كان وَجْه العلم فيه دائماً يتلألأ نوره مبْتَسما
مُحْدِقَهْ فيهِ ملائكْةْ السّما حافّين النعْشْ تلقاهم زُمَرْ

***

أيها المجتهدْ والشيخ الخطيبْ قم بنا وارقَ على المنبر خطيب
صاحب البرهان والفكر المصيبْ خير من حجّ ولبّى واعتمَر
رزؤكم سهمه بالشرع الشريف قد أصاب وخرَقَ الدين الحنيفْ
كنت بالاسلام ياشيخي كليفْ حِكْمَهْ قوْلَكْ وبلاغ مختصر

أنت واحدٌ من رجال الموزمَهْ (١) … كم لكم يا سيدي من مكرمَهْ
فهل ممكن نحسب نجوم السّمَه (٢) … أم من المعقول احصاء الدرر ؟
علمكمْ قد شاع في كل المللْ … طالما بعلمكْ يضربون المثَلْ
لا أرى غيركْ الى العلم أهَلْ … ولا ورَبْ مكهْ وزمزمْ والحجرْ
ان سوق الأدَبْ من بعدَكْ كسدْ … غيركم ليس له كفواً أحَدْ
فالبَحَرْ عاداتهُ جزرٌ ومدّ … فقطْ علمكْ يستحيلْ من الجزرْ

***

لم تلِدْ قطعاً ولا تأتي النساءْ … مثلكم لا والذي مدّ السماء
فعلى الدنيا وأهليها العفاءْ … الأدَبْ والعلم انْفَصَمْ منها الظَّهرْ
وارث العلياء من ابٍ وجدّ … وَهْوَ أنت الشبلُ من ذاك الأسَدْ
بكمُ - واللهِ - تنْحَلّ العقدْ … وبكم في المَحْشرِ نزول الخطَرْ !
في الأنام اليوم أزكاهم أبا … بالورى أعلى وأرقى حسَبا
أسرةُ المَجْدِ وأشرفْ نسبا … لمنِ (٣) النبيّ المصطفى صحّ الخبر
العلِمْ في بيتْكُمْ وْحِلمِ وْصلاحْ … هوَ يأتيكم غدوّاً ورواح
بعدكم يسمعْ لهُ ضجه وْصياح … والأدبْ قوّض وراكم بالأثر

***

في فلسْطينِ وْيمَنْ رزؤكُمْ عَمّْ … والحجازِ وْسوريا وْهندِ وْعجَمْ
والعراقِ وْمِصْرْ أدهى وأمرّ … ونجدْ والأحساءْ ورياضِ وْقطَرْ

* * *

---

(١) أي من الرجال القائمين بأعباء الامة

(٢) اي السماء وقد يقولون (السما) بكسر السين وبالقصر كما مر في البيت الثالث .

(٣) أي من النبي وقد يلفظونها على الوجه الصحيح

(الأثري بهجة)و(معروف)الفحول[١] علماء وشعراء أهل العقول
لقنتهم إنت آداب وأصول من جنابك حاز والعز والفخر

* * *

منَ المرسل قد سمعنا جدكم ألموت لا بدْ يلتقط أخياركم
صدق الله الذي لقنكم كل شيء بقضاء وقدر
سيدي(شكري)ويارب الفطن هذه الدنيا عبارة عن فتن
انا شاهدت الأسى في هل زمن[٢] حبذا ميت ونا[٣] عمرى شهر
انت طب نفساً وقر عيناً لقد جاورت مولاكم الفرد الصمد
نحن في الدنيا بقينا للشدد[٤] ونقاسى من الدهر هم وقهر
سعد دعني من الدنيا ذنب ضب عندك نموذج عسى تنفي الكرب
الشوك والصفصاف والطرفة وغرب ماحدّ يرجمه خالي من الثمر
البحر في أسفله الدر انصدف وترى من فوقه تعلو الجيف
هل طرق سمعك على النجم انكسف اولا تظن يكسف سوى الشمس وقمر

* * *

فان تبكيك شريعة أحمدا فلقد أبكتك أعلام الهدى
لو أرى الموت يوافق بالفدا في ملايين أفتديك من البشر
كنت أفدي لك عموم البخلاء وكذا كل الوحوش الأغبياء

---

(١) يشير الى مؤلف هذا الكتاب والى الشاعر معروف الرصافي ، والعامة تستعمل صيغة الجمع للتثنية

(٢) أي في هذا الزمن

(٣) وأنا

(٤) للشدائد

وهُمُ الخانو وطَنْهم [١] حمقاء   لِمنافع ذاتهم هَلْ كم نَفَرْ [٢]
يدعون الوطنيَّه وصادقين   كذبُوا والله مافيهم أمين
الْكُل منهم خائنُ وْناعمْ متين   بهم قد صح المثل «خيط الوَتَرْ»
أُوصارْ في عقلي خلل من هَلْ مصيرْ [٣]   شاهَدِتْ تاجِرْ قَبِلْ هذا أجيرْ
يركبِ السيّارَهْ غاطسْ بالحرير   إوْ كانْ يمشي حافيًا يلبسْ شعَرْ
الْكانْ يشربْ ماي [٤] في علبةِ خشَبْ   صارْ يتزَقْنَبْ [٥] بكأسٍ من ذَهَبْ
من [٦] أقول الحق سبّيت [٧] العنب   أُوْ ضَجَّهْ صارَتْ بالبلَدْ عبدكْ كفرْ
إلْكلبْ من ماى الصفا [٨] حالاً وردْ   والأسد ظمآن بالهيمه شرد
والحمار اليوم يلعبْ مُنْطرَدْ [٩]   والحصان إجلالْ ما فوقَهْ وْنُفرْ
ما بُقتْ قيمه الى العلمُ وْأدَبْ   أُوْ صارْ رأس الكانْ بالماضي ذَنَبْ
والدخيل اجتازْ من أعلى الرُّتَبْ   والأسد (ياشيخْ) فرّْ من البقر
النسْرُ والعنقاء مأكلْ للجرادْ   صارَوُا وْفرخ القطا شاهينه صادْ
والجحشْ حطّوا عَلَيْهْ سرج الجياد   وابْنُ آوىٰ صارَ حارسْ بالخُضَرْ

---

(١) وهم الذين خانوا وطنهم

(٢) هل هنا بمعنى هؤلاء . وقد استطرد الشاعر هنا الى وصف الحالة الحاضرة وانقلاب الاوضاع الاجتماعية رأساً على عقب مما لم يسبق له نظير ، وذلك هو دأبه في كل موقف يقفه لا يخشى سلطة ولا يبالي بشيء !

(٣) أي : وصار في عقلي خلل من هذا المصير

(٤) أي : الذي كان يشرب ماء الخ

(٥) بمعنى يأكل أكلا غير سائغ

(٦) بمعنى من : منذ

(٧) أي : سببت

(٨) من الماء الذي صفا من الكدر

(٩) يقولون لميدان السباق « منطرد »

من أريدْ أنظم الحق واستدلّ — واذا صاحوا : كِذِبْ أنتَ تزلّ
يصير رُمْحُ طْويلْ يـْضُمَّه عِدِلْ — أوْ طرقْ سمعك يشفْ ماي البَحَرْ
يصير بالمنخلِ تُسِدْ عين الشّمِسْ؟ — يصير عالمْ من غبي ياخذْ دَرِسْ ؟
أنا لو خيّرت شنقًا أوْ حبسْ — كنت أختار الشّنِقْ فيـه الفَخَرْ
في محرمْ عشرهْ عاشور أين من — قاتل الابطالْ أبا السبط الحَسَنْ
وعشرهْ في ذي القعده عاشور الوطن — هذه في النـاس أدهى وأمرّ (١)
هَلْ عزاء الديني ما فيه كلامْ — والعزآء الوطني يلزمْ دوامْ
يقتضي انْقيم المآتمْ كلّ عام — أوْ نُصْبغْ أثْياب الحُزُنْ مدى الدَهرْ



(١) يشير الى حادثة سياسية خطيرة ثار لها الشعب وكانت في نظر شاعرنا أدهى من مقتل الحسين رضي الله عنه ، وهي تصديق مجلس الامة معاهدة الانتداب البريطاني

كلمة الختام

الى هنا وقفنا جواد القلم . وكنت قد بدأت بتأليفه على أثر وفاة الإمام ثم شغلتني عنه شواغل الى غرة المحرم سنة ١٣٤٤ هـ فقصدت الرحلة الى الشام للنزهة وللوقوف على حالتها ومثافنة علمائها وأدبائها ، فقضيت في دمشق وبيروت ولبنان نحو شهرين . ثم رجعت أدراجي الى بغداد وقد ألمّ بي مرض كان يقضي عليّ باجتناب العمل ومراعاة الراحة ، ولكن نفسي صارت تنازعني لاتمام ما بدأت به وأبت عليّ الا المضيّ في العمل . فاستأنفت الكرة متوكلا على الله سبحانه وثابرت على الكتابة ، ولكن في أوقات متقطعة ، الى أن فرغت منه في أواخر شعبان سنة ١٣٤٤ هـ وبحمد الله وشكره تتم الصالحات م



اعتذار

اضطررنا الى نشر بعض الصور - ولا سيما صورة الامام السيد محمود شكري - من أصل فطوغرافي ليس على مايرام من الاتقان ، لأننا لم نجد أصلاً أجود منه

فهرس

كتاب أعلام العراق

صحيفة

٣ اهداء الكتاب

٤ المقدمة

[الألوسيون]

٦ تمهيد ـ الأسرة الألوسية

٧ نسبتها ونسبها

١١ السيد عبد الله صلاح الدين

١٢ ١ ـ السيد عبد الرحمن

١٤ ٢ ـ السيد عبد الحميد :

١٧ شعره

٢١ ٣ ـ السيد محمود شهاب الدين :

٢٧ صفاته

٢٨ مؤلفاته

٣٢ إنشاؤه

٣٤ نماذج من انشائه

٤٠ شعره

٤٤ ١ ـ السيد عبد الله بهاء الدين :

٤٧ مؤلفاته

٤٨ نموذج من انشائه

٥٠ أولاده

صحيفة

٢ ـ السيد عبد الباقي :

٥٣ ترجمته ورسمه

٥٥ مؤلفاته

٥٦ ابنه السيد عاكف

٥٧ ٣ ـ العلامة السيد نعمان خير الدين :

رسمه وترجمته

٦٣ صفاته وشمائله

٦٥ مؤلفاته

أولاده :

٦٨ ١ ـ السيد ثابت

٧١ ٢ ـ السيد علي علاء الدين

رسمه وترجمته

٧٤ خطبة له

٧٧ مؤلفاته

٧٨ شعره

٨١ ٤ ـ السيد محمد حامد بن السيد محمود

٨٣ ٥ ـ السيد احمد شاكر » »

ورسمه في ص ٨٢

[الإمام السيد محمود شكري]

٨٦ رسمه

صحيفة

المقالة الأولى

٨٨ مولده وتسميته
٨٩ دراسته
٩١ شيوخه
٩٢ تصدره للتدريس
٩٣ فوزه في مضمار لجنة اللغات الشرقية في استكهولم
٩٥ كتاب كرلودي لندبرج الأول اليه
٩٦ كتاب » » الثاني اليه
٩٧ تحرره وحادثة نفيه

وفيه بحث عن العلماء المصلحين

١٠٣ اتصاله بالسياسة :
عزلته وفشله فيها ـ اتصاله بالوزير سري باشا وتحريره في الزوراء ـ اتصاله بجمال باشا سفره الى نجد ـ ما بعد سقوط بغداد وزهده في المناصب
١٠٧ أواخر أيامه ووفاته
١٠٨ الحفلات التأبينية

المقالة الثانية

١١٢ أحواله وأخلاقه
١١٥ كلمة للرافعي فيه
١١٦ قصيدة لأحمد بك الشاوي

صحيفة

١١٧ أميز أطواره وفيه وصف المتمجدين وعلماء الشعار وغرور المتعلمين
١٢٣ سيرته في بيته

المقالة الثالثة

١٢٤ مميزاته
١٢٥ الدين وعنايته به
١٣٢ اللغة وعنايته بها
١٣٦ التاريخ وعنايته به مؤلفاته
١٤٠ مؤلفاته الدينية الاصلاحية
١٤٥ مؤلفاته اللغوية والأدبية
١٤٩ مؤلفاته التاريخية والعلمية
١٥٣ أسلوبه الكتابي
١٥٤ ثراء اللغة العربية
١٥٦ التفسير العصري
١٥٩ تطبيق بين سنن الجاهليين وسنن غلاة الحشويين
١٦٠ التقليد
١٦١ التعصب ـ الكرامات الكاذبة
١٦٢ رسالة في التعزية

[التـآبين]

١٦٥ ١ ـ رسائل التعازي
١٦٥ رسالة البيطار
١٦٦ » عيسى المعلوف

صحيفة
١٦٧ رسالة أبي عبد الله الزنجاني
١٦٨ « محمد سعدي ياسين
١٦٩ « ابن الضالع
١٧٠ « راغب القباني
١٧٢ « الشيخ عبد الله الخلف
١٧٣ « عبد العزيز الرشيد
١٧٤ « لويز ماسينيون
١٧٤ « السيد رشيد رضا
١٧٥ « احمد تيمور باشا
١٧٥ « احمد زكي باشا
١٧٦ « المس بِل
١٧٦ « المستر سميث

٢ — المقالات

١٧٧ التأبين في الجاهليـة والاسلام للمؤلف
١٨٣ عالم العراق لصاحب المنار
١٨٦ فقيدنا العلامة الألوسي للباني
١٩٠ الامام السيـد محمود شـكري الالوسي للـكرملي
١٩٧ الألوسي في نظر علماء الاستشراق للويز ماسينيون الافرنسي
٢٠١ المصـاب بالألوسي للمعلوف
٢٠٣ الألوسي في نظر التاريخ للعزاوي

صحيفة

٣ — القصائد

٢٠٦ وا اماماه للرصافي
٢٠٨ واحر قلباه للمؤلف
٢١٢ في موقف الاسى للرصافي
٢١٤ على ذلك الثاوي العظيم للتنوخي
٢١٦ من لي من بعدك — له
٢١٧ عالم العراق واديب مصر لبدوي الجبل
٢١٨ فياويح بغداد للبيطار
٢١٩ أسى الفيحآء لنافع الحلي
٢٢١ مامات شكري للقشطيني
٢٢٣ وا اماماه للبنآء
٢٢٥ « له ايضاً
٢٢٧ الامام الألوسي للپاچچي
٢٢٨ يوم التأبين للعلاف
٢٢٩ وا مصيبتاه له
٢٣١ الرزء الفادح للصيدلي
٢٣٢ عالم العراق للعبدلي
٢٣٤ فقد الهادي للدجيلي
٢٣٥ الامام المجدد لعبد العزيز الرشيد
٢٣٦ رثاء الامام الألوسي لابن السموأل
٢٣٧ دمعة الكرخي
٢٤٢ كلمة الختام

فهرس الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٧	٨	المنجر	المخبر
٨١	٤	٣ —	٤ —
٨٣	١	٤ —	٥ —
٩٠	٨	الطحاوي	الطحطاوي
١٠٠	٢٢	فان	بأن
١١٣	٢١	ملقول	ماتقول
١٢٩	٣	على اممهم	على أديان أممهم
١٣٠	٣	بدعته	بدعةً
١٣٠	٣	سنته	سنةٍ
١٣١	١١	انتحى الى المذاهب	انتحى المذاهب
١٣٦	١٦	بلا آئه	بلألا ئِهِ
١٣٨	١٧	وعزّوا	وأعزّوا
١٤٨	١٤	جزأين	جزْءَيْن
١٥٣	١٤	يتطالع	يتظالعِ
١٥٩	١٦	لتتبعون	لتتبعن
١٧١	٢١	يعترّ	يعتزّ
١٨٧	٩	بقول	بقوله
١٩٥	٣	حراراً	جرازاً
٢٠٧	١٤	قضا	قنـا
٢١٠	٥	الأولى	الاُلى
٢١١	٣	ماساءوه	ماساووه
٢١٦	٦	ما الفيتوني	ما ألفيتموني
٢٢٧	٨	همة	هيبة

كتابان معدّان للطبع :

١

الشعوبية والعرب

أو

نقض كتاب المثالب لابن الكلبي

بقلم محمد بهجة الأثري

٢

أشهر مشاهير العراق

في

العلم والأدب والسياسة والرئاسة والظرف والفنون الجميلة

منذ القرن الثالث عشر

تأليف — **محمد بهجة الأثري**

نشرت منه نماذج في مجلة (لغة العرب) و (المعرض) ببغداد — :

وممن ترجم فيه من العلماء : جماعة من السويديين . جماعة من الألوسيين . جماعة من الحيدريين . عبد الله الرحبي . عبد العزيز الرحبي . علاء الدين الموصلي خالد النقشبندي . الطبقجلي . البيتوشي . ياسين العمري . الشوّاف . عبد السلام . عيسى البندنيجي . طه السنندجي . موسى سميكه . عثمان الخطيب . كاظم اليزدي . داود بن سليمان . الشيرازي . الخالصي . محمد فيضي الزهاوي عثمان بن سند . امين الواعظ . مصطفى الواعظ . صالح السعدي الموصلي .. الخ الخ

ومن الادباء وفيهم الشعراء والكتاب : كاظم ورضا الازريان . عبد الحميد الاطرقجي . عمر رمضان . صالح التميمي . عبد الغفار الأخرس . عبد الباقي العمري . احمد عزت باشا العمري . السيد حيدر . حسين العشاري . محمد

الغلامي . احمد الجساني . عبد الفتاح الشواف . حسن الاصم . حسن البزاز . ابراهيم الطباطبائي . لطف الله افندي . مصطفى خروس . احمد بك الشاوي . عبد الحميد بك الشاوي . الشيخ جابر الكاظمي . محمد سعيد الحبوبي . جميل الزهاوي . معروف الرصافي . رضا الشبيبي . انستاس الكرملي . محمد حبيب العبيدي . عبد المحسن الكاظمى . سياهبوش . صالح الحريري . وناس آخرون من أهل القرن الثالث عشر

ومن الامراء والاعيان : عبد الغني جميل ابن النائب . محمود شوكت باشا . محمود سامى باشا العمري . السيد سلمان النقيب . نعمان الپاچچى الكبير . عبد الرحمن الباججى . ابن كبه . محمد باشا الداغستاني . جماعة من الجليليين . يوسف السويدي . عبد الرحمن النقيب . طالب باشا النقيب . عبد اللطيف المنديل . عبد الله أفندي باش أعيان . ياسين باشا الهاشمي . عبد المحسن السعدون . وجماعة من امراء السعدون . جعفر العسكري . ناجي السويدي . وناس غيرهم

ومن التجار : جماعة من الخضيريين . عبد القادر دله . محمد سعيد الشابندر وابنه محمود . مناحيم دانيال . وجماعة كبيرة من تجار القرن الثالث عشر

ومن الظرفاء : الملا طعمة . عبد الله الخياط . والملا حمادي . محمد الخشالي السيد محمد سعيد آل مصطفى الخليل . السيد عبد الغني .

ومن الموسيقيين : شلتاغ . ابو حميد . الحاج محمد . ملا احمد بن الخلفة . ربّاز

ومن القراء : الحافظ عثمان الموصلي . خليل بن مظفر . محمد بن كبار

ومن أهل الفنون الجميلة أعني الخطاطين والرسامين : سفيان أفندي . عبدالوهاب نيازي . خلفه نعمان الذكائي . عبدالقادر الرسام . محمود الثنائي . بكر أفندى . ميرزا موسى . ميرزا هادى . علي صابر

وسيكون هذا الكتاب في بضعة مجلدات . وفيه مقدمة كبيرة في تاريخ العراق السياسي والعلمى والأدبي

